عبد السلام محمد خليل

صرخة مسلم

منشورات
دار مكتبة النور
طرابلس - ليبيا

الطبعة الأولى
١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠ م

عبد السلام محمد خليل

عيسى أبو يوسف اللويشي

صرخة مسلم

قدم له

فضيلة الشيخ محمد نمر الخطيب

رئيس الرابطة الإسلامية - بيروت

منشورات
دار مكتبة النور
طرابلس - ليبيا

الإهداء

إلى أبناء أُمة القرآن — في كل مكان — أتقدَّم بهذه الهتافات المتفجرة من الأعماق متلوة بعـــدد من الدراسات والأحاديث التوجيهية الواعظة ، عسى أن يكون لها بعض الأثر بين عباد الله : ﴿ الذينَ يستمعونَ القولَ فيتبعونَ أحسنه ﴾ ولن تعدم الأصوات المؤمنة آذاناً صافية تسمع وتعي ، وقلوباً مفتوحة تفقه وتستجيب ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

المؤلّف

مقدمة

بقلم فضيلة الاستاذ الشيخ محمد نمر الخطيب

إنّ من تصفح كتاب الله عز وجل يرى تلك العناية الإلهية ، التي خصّ بها هذا النوع الانساني ، ويرى ان عين الله سبحانه ، كانت مع هذا البشر منذ خلق تكلأه أنّى اتجه ، وترعاه اينما سار ، وتأخذ بيده كلما تعثر .

فمنذ اللحظة الاولى التى اهبط الله فيها آدم ومن معه الى الارض ، زوّدهم سبحانه ، بوصيته العالية السامية ، ورسم لهم الطريق ، ووضع امامهم السبيل فقال تعالى :

﴿ فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ﴾

﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة اعمى قال ربي لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا ؟؟ قال : كذلك اتتك آياتنا فنسيتها و كذلك اليوم تنسى ﴾(١)

ونلاحظ ان هذه الوصية الجامعة الرائعة ، التي انزلت مع الانسان منذ انزل وهبطت عليه قبل ان يهبط هو الى الارض ، ووضعت امام عينيه ، قبل ان يبصر الارض ، وقبل ان يتعرف على معالمها ، وقبل ان يمارس اي عمل فيها ، وقبل ان يضع رجليه عليها .

ولقد كانت هذه الوصية ، كافية لآدم وذريته الى ان يبلغ الكتاب اجله ، والى يوم ان يطوي الله السماوات و الارض طي السجل ، ويقوم الناس لرب العالمين .

ولكن رحمته تبارك وتعالى ، توالت وأبت الا ان تتوالى ، فما خطى الانسان خطوة بعد ذلك ، وماالتت امة من الامم ، الا بعث الله اليها نذيراً ، وأرسل معه الآيات : ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾(٢)

---

(١) طه : آية ١٢٢ - ١٢٦ (٢) النساء : آية ١٦٤ .

ومن هنـــا كان الانبياء والرسل الذين لا يبلغهم عد ، ولا حتى يأتي عليهم حساب ، حتى اجملهم القرآن بقوله :

﴿ وإن من أمة الا خلا فيها نذير ﴾(١)

وعلى كثرة ما قصّ تعالى من قصص الانبياء في القرآن ، فقد طوى الكثير ولم يأت لهم على ذكر ، فقال تعالى :

﴿ منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ﴾(٢)

وما زال مدد الرسل يتواصل ، ومـا زالت اجنحة الامين جبريل ، تتنزل على الارض ويصّعّد في السماء ، وما زال وحي الله يوصل السماء بالأرض، ويربط الأرض بالسماء ، حتى ختم الله الرسالات والرسل بمحمد صلى الله عليه وسلم .

وختم الكتب بكتابه الخالد المحفوظ ابد الدهر ، (القرآن الكريم) ﴿ إنا نحن نزّلنا الذّكر وإنا له لحافظون ﴾ (٣)

وختم الاديان بالاسلام ، وجعله دين العالم وارتضاه له،وجعله دستور الدنيا :

﴿ اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً ﴾(٤)

بقي علينا سؤال لا بد من الاجابة عليه :

وذلك السؤال: لماذا لا يستغني الانسان بما زوده الله من عقل،وما اودع فيه من فهم ، وما زينه من فكر وبصيرة ؟؟؟

افلم يكن كل ذلك كافياً للانسان ، ومغنياً له عن الرسل والانبياء ، وعن الوحي والكتاب .

ونقول في الاجابة عن هذا السؤال ، بطرح سؤال مشابه له :

ان الله سبحانه وتعالى خلق الانسان وزوده ايضاً بهذه العيون الواسعـــة ، فلماذا لم يستغن بها عن شمس تضيء له بالنهار ، وعن قمر ينير له في الليل ، يرفع عنه كثافة الظلمات ، ويبصره معالم الطريق ويقيه العثرات . ؟

فكما ان البصر لا يستغني عن نور وضياء ، كذلك العقل لا يستغني عن نور النبوة ،ولا عن ضياء الوحي ، ولا عن مدد السماء : ﴿ ذلكم الله ربكم فتبارك

(١) فاطر : آية ٢٤ (٢) غافر : آية ٧٨ (٣) الحجر : آية ٩ (٤) المائدة : آية ٤ .

الله أحسن الخالقين ﴾ (١)

ولنعد بحديثنا الى الانبياء والرسل،ولنتساءل بماذا استطاعوا (عليهم السلام) ان يجابهوا اقوامهم ، وأن يجادلوا خصومهم ، وأن يقارعوا معانديهم ؟

وبأي سلاح استطاعوا ان يجمعوا حولهم الجموع ، وينصروا الحق ، ويهزموا الباطل ، وبأي سلاح استطاعوا ان يخلدوا اسماءهم ودعواتهم على الدهر ، وان يجعلوا التاريخ يسير وراءهم حاكياً وراوياً ؟ .

لقد لجأوا واستعملوا من السلاح أمضاه وأسناه ، وأعلاه وأبقاه ، لقد لجأوا الى الكلمة يرققونها ويحسنونها ، حتى تدخل الآذان بلا استئذان ، لتستقر في القلوب في أعماق الاعماق .

لقد لجأوا الى الكلمة ، يحملونها وحي الله ، ويمزجونها بأنفاسهم الطاهرة ، المخلصة . فتكون أمضى من السيف ، وأنفذ من السهام .

لجأوا الى الكلمة المخلصة يحملونها على جناح الرفق واللين :

﴿ أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾

﴿ وجادلهم بالتي هي احسن ﴾

﴿ فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر او يخشى ﴾

فكانت هذه الكلمة الخالصة المخلصة ، هي سلاح الانبياء ، وبها شقوا الطريق ، ورسموا الحدود ، وفتحوا امامهم كل مغلق ، وبها طاروا مشارق الدنيا ومغاربها .

وأدرك المخلصون ما للكلمة من أثر ، اذا احسنوا استعمالها ،فاقتفوا اثر الانبياء عليهم السلام وساروا على نهجهم واتبعوا سبيلهم ، ففتح الله بهم اعيناً غُلفاً ، وآذاناً صمُاً وقلوباً عمياً .

ولا تزال الكلمة الى اليوم سلاح الدعاة والمرشدين،والعلماء والواعظين ، كما لا تزال الكلمة ، سلاح الدول تقوم عليها الاذاعات ، وتحبرها الجرائد والمجلات وترسل عبر الاثير ومداد الاقلام .

ولقد أكرمني الله عز وجل فتصفحت صفحات من ذلك الكتاب الذي يدل

---

(١) غافر : آية ٦٤ .

اسمه على مغزاه وفحواه « صرخة مسلم » للاخ بالله في ظهر الغيب، والداعية في سبيل الله ، فضيلة الشيخ عبد السلام محمد خليل .

وتخيلته وهو يرسل صرخاته هنا وهناك داعية يذوب في دعوته ، ويتحسر على أمته ،التي نسيت أمجادها يوم أن كانت خير أُمـــةأُخرجت للناس، وتركت إسلامها الذي اخرج الله به اجدادها من الظلمات الى النور ، ومن عفن الجاهلية الى طهارة الاسلام ، ففتحوا بهذا الاسلام العالم كله .

وسادوا بهذا الاسلام الدنيا كلها ، وكانوا بهذا الاسلام أمـــة خلدها التاريخ وطأطأت لها رؤوس اعدائها .

لقد تمنى المؤلف كما يتمنى كل مخلص ان لو أقلع المسلمون اليوم عن تقليد الغرب والتطلع الى رذائله ومنكراته ليعودوا أُمة كما ارادها الله ،تفتح الدنيا بالايمان ،وتملأ الارض عدالة بالقرآن ، وتطهر العالم بالاسلام .

ان العالم اليوم في جاهلية اعظم من الجاهلية الاولى التى كانت قبل الاسلام .

وسيظل العالم هكذا في ظلمات بعضها فوق بعض ،وفي جاهلية فوق جاهلية حتى يأخذوا بيد الاسلام ، ليأخذ الاسلام بأيديهم .

وسيطرق المسلمون كل باب ، وسيتبعون كل صائح ونابح ، وسيمشون مع كل غاد ورائح .

وأخيراً سوف لا يجدون الا الاسلام ديناً ...

وسوف لن يجدوا غير محمد هادياً وزعيماً .

وسوف لن يجدوا غير القرآن إماماً ودستوراً .

جزى الله المؤلف كل خير على مـــا بذل من جهد ، وأضمر من خير ، وجعل عمله مبروراً ، وسعيه مشكوراً .

و « إنما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى »

وصلى الله على محمد معلم الناس الخير ومن سار بسيره واهتدى بهديه الى يوم الدين

بيروت — لبنان

٢٧ شوال ١٣٨٩ — ١٩٧٠/١/٦

محمد نمر الخطيب

رئيس جمعية الرابطة الاسلامية

مقدمة المؤلف

إن من أسمى الرسالات التي ينهض بها الانسان في الحياة ، أن يعيش دائماً في عالم الكلمة يسمعها ويقرأها ، ثم بدوره يُسمعها أو يقرئها ، بأي جهاز يتواجد لديه ، وفي أية فرصة تتهيأ له .

وتقتضي أمانة البلاغ وشرف الكلمة أن يكون حين تصديرها الى عقول الآخرين قد استوعبها إطاراً ومضموناً ، وأضاف اليها من عناصر التشويق ومظاهر الرواء والإغراء ما يحافظ على مستوى نبضها وحيويتها ، ويزيد من تأثيرها وفاعليتها حتى لا تنتقل الى سواه ميتة عديمة الحرارة ، لا تحدث أي تفاعل ولا تثمر في الأذهان أي إخصاب.

إن على كل انسان وُهِبَ القدرة على الفهم وأوتي بسطة من العلم أن يكون رسولاً للكلمة بتشرُّب مدلولها والإفادة من أثرها ومفعولها ، ثم تحويلها الى المحيط الخارجي كشعاع يومض ورنين يوقظ وحكمة تهدي وطاقة تبني .

ولو أن كل فرد جاد على المجتمع بحصيلة ما قرأ وما سمع ، وكان سخياً بما يعلم على من لا يعلم ، وكان بالتالي سلكاً جيد التوصيل بالنسبة للمقروء والمسموع من معارفه ، أو الذاتي المبتكر النابع من داخله ، لكانت الثقافة على تنوع فنونها وموضوعاتها أوسع انتشاراً ، وحقل المعرفة الانسانية أكثر ازدهاراً ، وظلام الجهالات والضلالات الفكرية أشد انحساراً ، ومستويات الشعوب وحيوياتها أقل هبوطاً وانحداراً .

إن من الحقائق الثابتة أن المعرفة على اختلاف منابعها وأفانينها ميراث

انساني مشاع بين الجميع ، لا يجوز أن يحتكر أو يحصر في أضيق الآفاق ، بل يتحتم أن يذاع وينشر على أوسع نطاق ، ولهذا فإن من أجلّ المبادىء التي يعتنقها الفرد ، ويوجّه في سبيلها مسيرة الحياة أن يحمل رسالة الكلمة ويسخّر نفسه جندياً لتبليغها الى جميع الناس حتى ينعكس ضوؤها في القلوب ، ويُظِل لواؤها كل الشعوب . ويوم تصبح الكلمة ذات الاشعاع قدراً مشتركاً بين أبناء البشر قاطبة ، يومها تشهد الانسانية انتصاراً للمثل الرفيعة والقيم السامية ، وازدهار الحياة الروحية والخلقية ، وتقلص ظل النزعات المادية وشهوة التسلط والبغي والعدوان ، وحب الأثرة وتقديس الذات ، ويبطل مفعول شريعة الغاب التي كانت دستور الانسان قبل انبثاق فجر الحضارة ، ثم عاد ينتهج سبيلها وهو يتبوأ قمة الحضارة .

واذا أصبحت المعرفة بمفهومها الأسمى هي الطاقة النورانية التي تحكم عقول البشر ، وأشرقت في حياة الناس خالصة من الشوائب والطفيليات ، وغير خاضعة لتيارات الأهواء ، فحتماً ستسود تعاليم الله في الأرض حاملة معها راية الحق والعدل والمساواة وزوال الفوارق والامتيازات بين مختلف الألوان والأجناس .

لذلك فإن أقدس واجب يؤديه المرء في دنياه بعد القيام بشعائر دينه هو التبشير بالمعرفة والدعوة الى الاستهداء بنور الحكمة التي هي ضالة كل مؤمن وليلى كل انسان متدين ، يتعشقها ويهيم بها ، لأنها سر انسانيته والتاج العلوي الذي كرّم الله به آدميته .

وأداءً لأمانة الكلمة نحو أمتنا الخالدة وانفتاحاً على آفاق الآمال المتوهجة الواعدة التي بشّر بها قول الكتاب المكنون ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ ، أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾.

وتجاوباً مع الصرخات التي تنطلق من حين لآخر قوية راعدة من أجل أن

يتحول أبناء هذا الدين إلى قوم مؤمنين صالحين مثلما كانوا قبل مئات السنين ، حتى يكونوا أهلاً لتسلم وراثة الأرض والقبض على ناصية العالم من جديد .

لهذا كله وجدتني أندفع على غير استعداد الى اقتحام الحلبة ، والانتظام في موكب الزمرة المؤمنة من حملة المشاعل ، وفي يميني هذا السراج الخافت الضياء ، وبين جوانحي ينبثق رجاء ، ومن قلبي يتصعد دعاء أن ينير هذا القبس الصغير جانباً من الدرب الكبير ، وأن يلهم ولو طائفة قليلة من شعوب أمة القرآن طريق العودة الى رحاب القرآن وحظيرة الايمان .

والعالم الاسلامي اليوم أحوج من أي وقت مضى إلى إلقاء المزيد من الأضواء على أفق حياته المظلم ودق الأجراس ليل نهار لتنبيه أبنائه إلى واقعهم الحزين المؤلم .

وحيث أنني لا أقوى على صنع الكثير لتحويل إدبار الأيام الى إقبال ، وإهمال التاريخ وازوراره الى تقديس وإجلال ، كما كان شأنه مع هذه الأمة المجيدة طوال أجيال وأجيال ، فإنه لا أقل من الاسهام في الملحمة المقدسة ملحمة التوعية والتنوير بهذه الكلمة التي قد يكون لها وميض وأثر مفيد . وذلك هو سلاح الضعيف وجهد المقل ، ورُب قليل يثمر على المدى القريب أو البعيد ، وفيه تبصرة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

ورجائي للقارىء الكريم ألا يبسط لسانه بالنكير لما قد يبدو له من أوجه الشبه بين هذه النداءات التي تشكل الجزء الأول من الكتاب ، اذ أنها وإن اجتمعت أحياناً عند نقطة التقاء واحدة من حيث الهدف والمضمون ، إلا أن القارىء بشيء من تدقيق النظر يرى أن كلا منها يتميز بطابع خاص وينفرد بقدر من المفاهيم لا يشاركه فيه سواه ، ثم لا يلبث أن يلاحظ أنها بصورة عامة ذات صبغة خطابية ، وهذا اللون من الأساليب الأدبية لا يعيبه تنوع طرق التعبير مع اتحاد المعنى المراد ، بل ان ذلك يعتبر من خصائصه ومقومات

الجمال فيه لأنه يزيد من تألقه وسطوع بيانه ويعمق من فاعليته ويضاعف من قوة تأثيره ، وأنا لا ابتغي بهذه الاشارة العابرة إلا مجرد تنبيه الأذهان الى أن هذه النداءات الواردة في الصفحات الأولى من الكتاب والمتسمة بالطابع الخطابي ليست من قبيل الحديث المعاد كما قد يتوهم البعض استناداً الى تشابه معالمها ، وتركيزها اجمالاً على مصب واحد هو حتمية العودة الى منابع الإشراق إن أريد لقافلة الاسلام أن تستأنف الانطلاق . ويشهد الله وملائكته انني لا أبرىء هذا الجهد المتواضع من النقص ومواطن الضعف ، ولا أزعم أنه بلغ مستوى من الكمال في اطاره أو مضمونه ، بل يداخلني يقين بأن في وسع الأقلام الناقدة أن تتحسس فيه كثيراً من المآخذ والفجوات لخلوه من الحصانات التي تثمرها التجارب السابقة في أي مضمار كان .

وصرخة مسلم – هو بالنسبة لهذا القلم القصير الباع أول وليد يهبط عالم النشر والتأليف كإسهام صغير في ازدهار رصيد المكتبة العربية ، وتفجير الوعي بين جماهير أمتنا الاسلامية استنهاضاً للهمم الراكدة واستصراخاً للطلائع المؤمنة الرائدة لتنتفض انتفاضتها الجبارة من أجل صنع الفجر الموعود وتقريب أجل البعث الاسلامي المنشود .

وعلى الله قصد السبيل وهو حسبي ونعم الوكيل .

المؤلف

الفصل الأول

هتافات من الأعماق

محتويات الفصل :

١ ــ كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر .
٢ ــ لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صَلُحَ به أولها .
٣ ــ هذه العيدان المتناثرة يجب أن تتجمع .
٤ ــ أساس المجتمع الاسلامي الجديد .
٥ ــ تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما .
٦ ــ الطريق الوعر الطويل .
٧ ــ بين الاسلام ومدنية الغرب .
٨ ــ ذلكم هو سبيل الفوز بكأس المجد .
٩ ــ الى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .
١٠ ــ الى كتاب الله وسنّة رسول الله .
١١ ــ إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم .
١٢ ــ رسالة هذا الدين .
١٣ ــ اليكم ايها السابحون بين غمرات الأحلام .
١٤ ــ تلك هي الصورة المتكاملة لرواد القافلة .

١٥ – متى ينقشع هذا الظلام الكثيف .
١٦ – هلم الى الركن الأمين .
١٧ – إنما المؤمنون اخوة .
١٨ – أكذوبة ابريل إحدى انعكاسات ظلام الغرب .
١٩ – الى الأغنياء وأرباب اليسار .
٢٠ – شخصية الفرد المسلم في اطارها المتكامل .

كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ

أيها المسلمون في كل مكان . يا من أسبغ عليكم التنزيل هذا الوصف السامي الجليل ﴿ كنتم خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للنّاسِ ، تَأمُرُونَ بالمعْروفِ وَتنهوْنَ عنِ المنكرِ وتؤمنونَ بالله ﴾ .. فهل حافظتم على هذا الشرف العظيم الذي قلدتكموه السماء ؟ .. هل ما زلتم تتبوأون المكانة التي أحلّكم فيها ربُّ المشرق والمغرب ، هل بقي وصف الخيرية على جميع الأمم ملازماً لكم في امتداد تاريخكم أو أنكم أضعتم ذلك التاج من الفخار بأيديكم ؟ .. وانسلختم عن ذلك الشرف السماوي بأعمالكم الخاضعة لسلطان أهوائكم ورغائب أجسادكم ؟ وانحدرتم من تلك القمة الشامخة المتسامية على سائر الأمم والشعوب ، الى دنيا الأتباع والأذناب ، والضعاف المغلوبين على أمرهم ، فلماذا بربكم أصبحتم تقفون وراء الصفوف الخلفية ، بعد أن كنتم زهرة الأمم وبيت قصيدها ؟ وفجر الهدى والنور الذي سحق ليلها وأزال عذابها وويلها ، أليس السبب فيما منيتم به من تخلف وانهزام هو قعودكم عن النهوض بأعباء الرسالة الكبرى ، رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي استوجبتم من أجلها وصف الامتياز والخيرية وحق الشرف والأفضلية ، إن مدلول الأمر بالمعروف عام يشمل كل ألوان البر وضروب الخير ، ويندمج تحت مفهومه الضخم كل معنى من معاني التقدم الديني والدنيوي ، وكل شكل من أشكال

التطور المادي والمعنوي ، فالدعوى الى طلب العلم مهما كان نوعه وموضوعه أمر بالمعروف ، والدعوى الى محاربة الفقر والقضاء على أسباب المرض أمر بالمعروف ، والدعوة الى الكفاح من أجل ازدهار الحياة الاقتصادية بالأساليب النظيفة المشروعة أمر بالمعروف ، والدعوة الى بناء القوة العسكرية ومسابقة الأمم المتحضرة في انتاجها وابداعها واختراعها أمر بالمعروف، والدعوة الى السلام والمحبة والتعاون المخلص بين شعوب الانسانية أمر بالمعروف ﴿ لا يَنهاكُمُ اللهُ عَنِ الذينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ في الدِّينِ وَلَمْ يُخرِجُوكُمْ من دِيارِكُم ، أن تَبرُّوهُمْ وَتُقسِطوا إليهِم ، إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقسِطِينَ ﴾ وما لم يكن الأمر بالمعروف مستهدفاً لكل هذه الاغراض والمفاهيم ، فإنه ليس بجدير أن يضفي على أمتنا صبغة الخيرية العامة على سائر الأمم ، ولن يكون الجرس القوي المنبه للغافلين والنائمين ، ولن يكون وسيلة التقويم للمنحرفين والمعوجّين، ولن يكون صوت النفير للزاحفين والمنطلقين ، ولكن الأمر بالمعروف لن ينفذ إلى أعماق القلوب ، ولن يكون العلاج الناجع لأمراض الشعوب إلا اذا اؤتمر الآمرون قبل أن يأمروا سواهم بالائتمار، وألزموا أنفسهم بالسير في نفس الخط الذي يوجهون غيرهم الى انتهاجه ، وآمنوا بقدسية هذه الكلمة مع الاقتناع بأنها تنطلق من ألسنتهم لتطرق أسماع الآخرين ، لا يحجبها عن القلوب حجاب ولا تحول دون نفاذها الى أهدافها الحواجز والعقبات والصعاب .

وهكذا استبان لنا كما يستبين النهار أن الأمر بالمعروف مبدأ عام ينتظم كل دعوة بناءة من دعوات الاصلاح ، وكل خطوة هادفة من خطوات البر ، وكل مسعى حميد نحو أي هدف مجيد يتعلق بشأنٍ من شئون الحياة الدينية والدنيوية على السواء .

وذكرنا أن من أسباب نكوصنا الى الوراء عشرات السنين ، وإفلات زمام القيادة من أيدينا الى غيرنا من العالمين ، هو إهمالنا واجب الأمر

بالمعروف في محيط الأفراد والجماعات والدول والشعوب ، ونحن إنما وصفنا في الآية الشريفة بأننا خير أمة أخرجت للناس لأننا نضطلع برسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فندعو الى البناء ، وننادي بالخير والفضيلة ، ونسخّر كل طاقاتنا في سبيل ازدهار الحركات العمرانية والفكرية ، وتحقيق الانتفاضات الحضارية ، كما نحارب في الوقت ذاته الفساد بجميع أشكاله وألوانه ، فلا نسمح لأي منكر أن ينتشر بيننا سواء أكان أخلاقياً أم سياسياً أم اجتماعياً ، ولا نخشى في حربنا للشر لومة لائم ، ولا نبالي من أجل قضائنا على الفساد آصرة قربى أو صلة مودة أو أي سبب من الأسباب التي يعتبرها الناس ملطفة للأجواء ، باعثة على التسامح والإغضاء ، ذلك لأن السكوت على المنكر تشجيع لفاعله بالاستمرار في مقارفته وغشيانه ، والتستر على المنحرفين والمفسدين ، يعني الرضا بما يصنعون ، ومباركة ما يرتكبون . والاسلام الذي جاء يعلن الحق في غير مجاملة ولا مواربة ، ويجأر بدعوة الخير وكلمة البر في وضوح وصراحة ودون لف ومداورة ، ولا يقيم وزناً لأي عامل يمنع صيحة الحق أن تنطلق ، وهاتف الخير أن يصدع ، هذا الإسلام إنما جاء ليطهر الحياة الانسانية من كل الرواسب والرعونات ، ولن يعرف هذا التطهير سبيله الى المجتمعات قبل أن يستنفد أغراضه ، ويصل إلى أهدافه في نفوس الأفراد باعتبارهم الخلايا واللبنات التي تشكل شخصية المجتمعات ، وهو لذلك لا يراعي قرابة قريب ولا صداقة صديق ولا مصلحة أي مخلوق كان ، طالما كانت هذه المراعاة تسبب الانحراف عن مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتدعو الى تعطيل هذا الدستور الذي استوجبنا به أن نكون خير أمة أخرجت للناس .
والنهي عن المنكر يكون حسب استعداد الفرد وقدرته على التغيير فهو درجات ومراتب ، أسماها استئصاله والقضاء عليه بصورة فعلية تطمس معالمه ، وبعدها إعلان السخط عليه ، ومحاولة تغييره بالقول المجرد ،

واذا لم تتيسر هذه أو تلك ، تأتي المرتبة الدنيـا من مراتب النهي عن المنكر ، وهي الإنكار الباطني . وقد فصّل حديث كريم هذه المراتب على النحو الذي أوردناه حيث قال صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » .

وقد جعـل القرآن الكريم ترك النهي عن المنكر من أسباب لعنـة بني اسرائيل حيث قال جل شأنه ﴿ لـُعِنَ الذينَ كـَفـَروُا منْ بَني إسرائيلَ على لِسانِ دَاوُدَ وعِيسى بنَ مَرْيَمَ ، ذَلِكَ بما عَصَوْا وكانوا يَعتدونَ ، كانوا لا يَتناهونَ عَنْ مُنكرٍ فعلوهُ ، لَبئسَ ما كانوا يَفعَلونَ ﴾ . ونحن لا نأمن أن تحيق بنا هذه اللعنة وينفذ فينا هـذا الوعيد ، اذا ظللنا هكذا لا نتناهى عن المنكر ولا نتضافر على محاربة الشر والفساد ولا نقول لمقارف الإثم ومرتكب الخطيئـة في قوة وغير مبالاة : اخطأت وأسأت ، فتب وأنب . ثم نضربه على يديه ونحول دون امعانه في الاجرام والآثام ، بما يتهيأ لنا من وسائل وأساليب رادعة ، اذا لم يرعو عن غيه ويكفكف من غرب شهواته ونزواته ، ويقف عند الحدود التي رسمتها مبادىء السماء وتعاليم محمد رائد الخير والفضيلة وينبوع الإشراق والضياء .

لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها

أيها المسلمون في كل مكان — يا من كنتم بالأمس أئمة البشر وقادة الفكر والمصابيح المشعة في كل عصر .. يا من وضعتم بأيديكم حجر الأساس لحضارة الإنسان ورفعتم قواعدها حتى سمت وأصبح دون ارتفاعها السماكان . يا من كنتم تشكلون الطليعة في كل زحف منطلق نحو الكمال . يا من كنتم للإنسانية معقد الرجاء ومناط الآمال ، يا من كان فيكم من يقول للسحابة الغادية في الأفق : أمطري حيث شئتي فسيأتيني خراجك من قريب أو بعيد ، يا من كنتم تعيشون في أوطان قاصية أو دانية ، ولكن تجمع بينكم وشائج قوية ومبادىء عالية ، كان ينطبق عليكم مفهوم القول النبوي الكريم « مثل المؤمنين في توادّهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » .. كنتم وحدة لا تمزقها الأعاصير مهما كانت عنيفة ومدمرة ، ولا تستطيع اكتساحها أية قوة مهما كانت جبارة غاشمة .

لقد كنتم نقاطاً بيضاء لامعة في سماء العصور ، تهدي وتلهم وتوحي وتعلّم ، إنكم كنتم كذلك وأكثر من ذلك يوم كان نشيدكم الدائم (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وشعاركم الخالد (الله أكبر .. الله أكبر) ترددونه في الحرب والسلام ، فينقشع من حولكم الظلام ، وتنزاح من أمامكم كل العوائق والأهوال العظام ، كنتم كذلك يوم كانت بيوتكم مدارس للاسلام ، تشرق بالنور وتعبق بالعطور ، نور القرآن وعطور

الإيمان ، فما بالكم اليوم قد أصبحتم أشتاتاً متفرقين ليس بينكم من عوامل الألفة وأسباب القرب والمودة إلا مظاهر سطحية لا عمق فيها ولا جوهر ، وكلكم تعلمون ان اتحاد الصف واجتماع الكلمة هو أضخم عناصر القوة وأعظم مقومات المجد ، وان سر عظمتكم في وحدتكم والتئام شمل أمتكم ، انكم لن تحققوا البعث الأكبر الذي تنشدون ، ولن يطلع على دنياكم الفجر الأزهر الذي ترجون ، إلا إذا غيّرتم ما بأنفسكم ، فالله عز وجل لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وإلا إذا سارعتم إلى الحواجز تحطمونها وإلى الحدود تزيلونها ، وإلى الانحرافات تقوّمونها ، وإلى شعائر الدين تعلون منارها وتعيدون الى العالم أنوارها ، وإلا اذا تصافحت الأيدي وتصافت القلوب وأسدل ستار كثيف على الماضي بكل ما فيه من مآسي ومثالب وعيوب ، وإلا اذا ترددت في كل مكان موسيقى الأذان وارتفعت في كل أفق راية القرآن ، وتطهرت الأرواح والقلوب من تقديس المادة وعبادة الشيطان ، وأصبح هم كل عضو من أعضاء الأسرة الإسلامية الكبرى إعلاء شأن الإسلام والتفاني في خدمة الصالح العام ، وبذل النفس والنفيس من أجل دفع القافلة المتعثرة الى الأمام ، وإلا اذا تلاشت الفوارق والامتيازات وساد جميع الأقطار والأمصار مبدأ العدالة والمساواة ، وتطهرت كل النفوس من تقديس المنفعة الخاصة وحب الذات ، وكان رائد الأفراد والجماعات التسابق في سبيل الخير ومحاربة قوى الشر والفساد والظلم والاستبداد ، وماتت في القلوب شهوة الحكم والتكالب على السلطان والتنافس غير الشريف في سبيل المناصب والرئاسات .

أيها المسلمون : لقد قال إمام دار الهجرة وحامي تراث السنة مالك بن أنس رحمه الله قبل بضعة عشر قرناً : « إنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها » وقد صلحت الطلائع الأولى من أمتنا المجيدة وانطلقت في صعود مستمر لأنها كانت مسلحة بالمثل الرفيعة التي عرضنا نماذج منها ، ومزودة بطاقات جبارة مستمدة من قرآنها وإيمانها وسنة نبيها ،

وما لم ترجعوا الى هذا القرآن تقبسون نوره ، وإلى هدي الرسول تعتمدون دستوره ، وإلى منهج آبائكم الأماثل تتبعونه ، والى موكب العصر تجارونه وتسابقونه فإن يوم البعث لن يكون قريباً وإن تحقيق الانتفاضة المرجوة سيكون عصيباً ، وكفاكم استسلاماً للأحــلام وإمعاناً في التخبط بين متاهات الظلام ، فإن الزمن لا ينتظر ، ومنطق التطور لا يعــذر ، ويومئذ ـ تخطئكم حركة التاريخ ، فتهبطون وتنحدرون ، والإسلام لا يرضى لأتباعــه الهبوط والانحدار بل مزيداً من التحليق والصعود والتطور والازدهار .

محمد بن عبد الله الكرويشي

هذه العيدان المتناثرة يجب أن تتجمع

أيها المسلمون في كل مكان : يا من أنرتم بعلومكم فترة طويلة من تاريخ الإنسان ، وأبدعتم بعبقرياتكم جانباً ضخماً من حضارة البشر ، وصنعتم بتعاليمكم الدينية الرفيعة ومثلكم الإنسانية العليا ، وقيمكم الروحية والأخلاقية السامية ، أفضل مجتمع عرفه الناس ، وأعظم دولة نشرت لواء الحق والعدالة في كل مكان ، وأرست قواعد المساواة والحرية على أساس من الإخاء والمحبة والتعاون النزيه من أجل خير الناس ونصرة الدين ، وانتشار آياته الباهرة بين شعوب العالمين . تلك هي مكانتكم بين الأمم وذلك هو دوركم في صنع التاريخ ، وتلك هي رسالتكم في سبيل محاربة الشر والجهل والفساد ، وإسعاد البلاد والعباد ، ولكن ما للمكانة المرموقة قد هبطت من القمة إلى السفح ، وما للدور التاريخي الجليل قد اتخذ شكل النقيض ، وما للرسالة الحضارية الكبرى قد انعكس مفهومها وانقلب خط سيرها رأساً على عقب ، وما لكرسي الصدارة قد تبوّأه قوم آخرون ، وما لشاشة مسرح المجد قد ظهرت عليها وجوه جديدة ، وما لحلبة السباق قد ازدحمت بملايين المتبارين إلا أنتم فرسانها الأولين ، وروادها الأقدمين ، قد اختفيتم وتلاشيتم ولم يعد لكم بين المتسابقين مكان ؟ فحتام وأنتم تحت ركام العصور لا تحاولون الخروج إلى النور ، وتنفضون عنكم غبار القبور ، أما آن لتلك الطاقات الإشعاعية الهادية أن تعود إلى سالف إشراقها ؟ وإلى تلك القوى الجبارة البانية أن

ترجع إلى عهد اندفاعها وانطلاقها ؟ واذا كان ليلكم قد امتد واستطال فإن لكل ليل نهاية ، وقد أزفت هذه النهاية ، نهاية الظلام الرهيب ، ودقّت ساعة البعث الإسلامي الجديد الذي سينبلج فجره وشيكاً ، ليمزق كل الدياجير ، ويعجل إشراق المصير ـ مصير الأمة المجيدة الخالدة التي سلخت من عمرها مئات السنين ، بعيدة عن دنيا الإبداع والإشعاع ، وهي التي كانت ربة هذه الدنيا ومالكة ناصيتها ، غير أن ذلك الفجر المنتظر لن يطلع على العالم إلا اذا أطلعتموه أنتم بتكتلكم في قوة وإخلاص ، ووحدتكم في تفان وإيمان وبذل وتضحية ، وعودتكم إلى ظلال القرآن ، تتفيأونها منيبين مذعنين ، وإلى منابع السنة ترشفون نميرها عطاشاً متلهفين ، ذلك لأن الذي عصف بأمجادكم وأتاح للأعداء سبيل استعبادكم ، والهيمنة على موارد بلادكم ، هو انقسامكم شيعاً وأحزاباً ، وانصرافكم عن الجهاد إعلاء لكلمة الله ، ونشر القيم الحضارية والمثل الإنسانية ، فوالله ما دب إليكم الضعف وتمكن من عزائمكم الوهن ، وسادت هممكم روح الانهزامية ، إلا بعد أن تقاسم مُلْكَ الرشيد في المشرق عشرات الحكام والسلاطين وتوزع ملك عبد الرحمن في الأندلس بين عشرات القادة والملوك مما أطمع الخصوم المتربصين فيكم وهيأ لهم فرصة ضربكم والوثوب عليكم ، ويسّر لهم بالتالي تحطيم العيدان المتفرقة الواحد بعد الآخر ، وقد كانت من قبل مجتمعة في حزمة واحدة صلبة متماسكة ، لا تقوى على كسرها ونثر أجزائها أية قوة مهما بلغت من السطوة والجبروت ، واعلموا أنكم لن تستعيدوا هيبة الرشيد وعظمة الناصر وشخصية صلاح الدين ، إلا اذا اتحدت عيدان الحزمة من جديد في تعانق ومحبة وانسجام ، وإلا بارتجاع ما اغتصب من أوطان الإسلام ، فلا قبلية ولا إقليمية ولا عنصرية ولا عصبية ، الرب واحد والدين واحد . قوة روحية تغمر القلوب بفيض من الأنوار ، وقوة مادية تحمي الذمار ، وتذود عن كيان الديار ، وتفجر بين

ربوع الأوطان ينابيع الخير وتدفع مواكبهـــا المتعثرة في طريق التقدم والازدهار .

أيهـــا المسلمون : إن عودتكم الى رحاب الله وخروجكم من سجن أنفسكم ، وإيمانكم بماضيكم وقدرتكم على صنع المعجزات وانصهـار شعوبكم في بوتقة واحدة ، هـذه العوامل ضرورية وحتمية لتحقيق حلمكم الكبير ، وما لم تتواجد فيكم هذه الطاقات ، فما لكم من أمل في الحياة والانبعاث ولكنكم ستخلقونها خلقاً لتعيدكم مرة أخرى إلى تبوءِ مركزكم الأول في هداية العالم وقيادة الإنسانية .

أسس المجتمع الإسلامي الجديد

لطالما ارتفعت النداءات حارة متصاعدة تهتف بأبناء هذه الأمة لكي يحشدوا جهودهم المبعثرة ويجمعوا صفوفهم المتفرقة ، ويجندوا كل طاقاتهم في صعيد واحد وتحت لواء واحد من أجل إعادة بناء المجتمع الإسلامي على أُسس روحية ومـادية قوية سليمة ، ترضي الله ورسوله وتلبي احتياجات المسلمين أينما كانوا وحيثما وجدوا ، وتملك القدرة على دعم كيانهم المنهار وإرجاع آية نهارهم الى إبصار ، وتتهيأ لديهـا العوامل والأسباب لاستكمـال مقومات المجـد الذي تحلم به أجيـال اليوم والغد ، من أتباع محمد ، وتبوء مراكز القيادة والسيادة التي كان يتبوأها أفراد الطليعة الأولى من نجوم تاريخنا ، التي ظلت تعكس الضيـاء على آفاق الحياة الإنسانية في حالكات العصور ، غير أن انبعاث المجتمع الإسلامي المثالي في هذا الإطار الذهبي المشرق لن تحفل به دنيا واقعكم ولن تعيشوه حقيقة مادية باهرة إلا اذا جددتم عناصره ولبناته تجديداً كلياً يتناول الجوهر والمظهر ويتجاوز القشور الى اللباب ، ويغوص الى البواطن والأعماق ، وإلا اذا طعَّمتم أفراده وجماعاته بأمصـال القيم الجيدة والمبادىء الرفيعة والمثل الإنسانية والأخلاقية العليا ، وإلا اذا نجحتم في التوفيق بين المفاهيم المادية والمفاهيم الروحية للتعاليم الإسلامية ، واقتبستم منهـا نظاماً تقدمياً حكيماً مزدوج الغاية والهدف ، يستروح نسمات السعادة مَنْ يتفيأ ظلاله ، ويحس جمال الحيـاة من ينضوي تحت

رايته ، وليس هذا النظام الذي نريده دستوراً لأمتنا الإسلامية بالأمر الجديد المستحدث ، وإنما هو ذلك النظام المشع الهادي الذي سار عليه محمد صلى الله عليه وسلم ، فأبدع للبشرية عالماً جديداً ، وصنع لهـا تاريخاً حافلاً مجيداً ، واستهدى بإشراقاته (عمر) فحقق لموكب الإسلام انطلاقة عملاقة ، وبنى لأمة الإسلام أمجاداً لامعة ألآقة ، واستطاع أن يرسخ قواعد دولة كبرى دانت لها شعوب الأرض جمعاء وتعلقت بحبهـا قلوب الملايين من أبناء آدم وحواء ، لما نشرته في كل مكان من رايات السلام والعدالة ، وما أشاعته من أنوار الحق والهدى والمعرفة ، وما لم نستلهم ذلك الدستور المقدس ، دستور محمـد وعمر آيات الإصلاح والبناء ، وطاقات الخلق والإبداع ، ومـا لم نستهدف في نضالنا بمـا يشع به من أضواء ، وما لم نرجع إلى مضمونه كل ما جد في الحياة من مفاهيم وكل ما ابتكرته العقول من ابداعات وما صنعته الأمم من انتفاضات ، ونحاول أن نعيشها وقائع مادية متواجدة ، ما لم نفعل كل ذلك فسيظل غدنا الذي نتطلع إليـه مجرد أحلام ، وأمانينا الوردية البهيجة في البعث المنتظر مجرد خيالات وأوهام ، والأمر كله بعد هذا يتوقف على نوعية أفراد المجتمع وطبيعة خلاياه ولبناته التي نادينا بإعادة بنائها في بداية هذا الحديث فإننا نريد أن تكون عناصر مجتمعنا المثالي المنشود على غرار (عبد الله بن مسعود) في قوة الإيمان والاستعداد للتضحية والبذل من أجل العقيدة ونصرة الحق وإعلاء كلمة الله . وحيَّا الله (عبد الله بن مسعود) في دينه وأمانته ، يأتيه رسول الله وصاحبه أبو بكر وهو غلام يافع يرعى قطيعاً من الغنم لسيد من سادة قريش ، فيطلبان منه لبنـاً وهو لا يزال على جاهليته فيقول لهما الغلام : اني مؤتمن وما كان لي أن أتصرف فيما لا أملك ، فأكبر الرسول فيه هذا الخلق العظيم وابتهل إلى الله في سره أن يكون هذا العنصر القوي عضواً في أسرة أتباعـه ، ثم طلب إليه أن يأتيهما بشاة غير حلوب ، ومسح

الرسول على ضرعها فانسكب منها لبن غزير ، فشرب ثلاثتهم حتى أرووا غلتهم ، وبهر الغـلام لهذه المعجزة وتملكه عجب شديد ، وسأل عن الرجلين فأخبر بأنهما محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر ، فترك الغنم لربها وأسرع إلى رسول الله يعلن بين يديه كلمة التوحيد ، وكان أول صوت ارتفع بتـلاوة آيات القرآن في رحـاب الكعبة هو صوت عبد الله بن مسعود رضي الله عنـه ، حتى استهدف للضرب والتعذيب من قبل المشركين ، وقد صعد ذات يوم شجرة ليجني الثمار لرسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك جماعة من الصحابة لما رأوا من هزاله ودقة ساقيه ، فقال لهم رسول الله : « ما بالكم تضحكون ؟ .. إن هذين الساقين لأثقل في الميزان من جبل أحد » .

هكذا أيها المسلمون نريد رجالاً يشكلون مجتمعنا كـ (عبد الله بن مسعود) في علمه وإيمانه وخلقه وجهاده وتضحيته وايثاره واحتقاره لشهواته ونكرانه لذاته ، رضي الله عنـه ، وبعث في مجتمعنا الآلاف من أمثاله حتى ينهض من كبوته ، ويمضي قدماً نحو غايتـه ويحقق المجد والخلود لأمته .

تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا

أيها المسلمون في كل مكان – يا من كنتم تشكلون أضخم طاقة من طاقات الخلق والإبداع ظهرت على مسرح الحياة ، يا من كان أمسكم أعظم نافذة من نوافذ الإشعاع في تاريخ البشر ، يا من أشرقتم على الدنيا بأروع نظام عرفه الناس ، جمع في إطاره المضيء بين الحياتين المادية والروحية ، وكفل للعالمين أجمعين السعادة في العالمين : عالم الدار العاجلة وعالم الدار الآجلة ، فحتام أنتم قاعدون متخلفون ؟ لا ترسلون في آفاق الحياة المظلمة أية ومضة باهرة ولا تقومون بأي دور مجيد بناء ؟ يبعث في حاضركم روح غابركم ، ويضفي على غدكم صبغة أمسكم ، ويضع في أيديكم من جديد زمام القيادة ، ويرتفع بأمتكم مرة أخرى إلى مركز السيادة ، فمتى يا قوم تنهضون من كبوتكم ؟ ومتى تفيقون من غفوتكم ؟ ومتى تنتبهون إلى أخطائكم فتصلحونها ؟ وإلى مواطن الضعف فيكم فتقوونها ؟ وإلى أسباب الإرتكاس وعوامل الإنتكاس فتحطمونها ، وإلى مجموعة الأدواء والأمراض السارية في مجتمعكم فتستأصلونها ، وإلى سرطان الفرقة والإقليمية فتسحقونها ، إنكم والله لن تنتصروا على أعدائكم في الداخل والخارج إلا اذا انتصرتم أولاً على أنفسكم ، ولن تستطيعوا النصر على أنفسكم إلا اذا تحررتم من أنانيتكم ، وتغلبتم على شهواتكم وغرائزكم ، ونظرتم إلى وطنكم الكبير كوحدة روحية كبرى لا ينبغي أن تتمزق ، وإلى مئات الملايين

الهائمين بين أصقاعه وبقاعه ، كقوة هائلة مترابطة الأجزاء لا يجوز أن تتفرق ، إن إحرازكم الفوز في حربكم ضد أنفسكم ورغباتكم النفسية ومطالبكم الجسدية ، هو إرهاص لفوزكم في حربكم ضد الجهل والفقر والانقسام والطفيليات الواغلة على شرقكم ، مهبط الوحي والنور من عالم آخر غارق في الوحل والفجور ، ويتحكم في مصائر أفراده وشعوبه التكالب المادي المسعور .

أيها المسلمون - في كل مكان - إنكم ما لم تعمدوا إلى دينكم الإسلامي الحنيف ، تجددون شبابه في أرواحكم وعقولكم ، وكل أنواع سلوككم الفردي والاجتماعي ، وتمكسون ضياءه ، في كل ميدان من ميادين حياتكم السياسية والاقتصادية والثقافية ، فإنكم لن تقووا على الصمود مهما بذلتم من محاولات ولن تدفعوا بعالمكم الإسلامي الى دنيا المجد والخلود ، مهما اتخذتم من وسائل وسلكتم من طرقات . وقد وعد الله بإتمام نوره ولو كره الكافرون والمشركون ، فهلموا أنتم لحمل مشاعل هذا النور ، وإعادة إشعاعاته الى جميع أنحاء المعمور ، حتى يشرق من جديد بالضياء ، ضياء الحق والعدالة والسلام كما كان كذلك طوال مئات من الأعوام ، إن سر الهبوط الذي انزلقت إليه شعوبكم ، ومبعث الظلام الذي ارتكست فيه قلوبكم ، هو بلا ريب تنكبكم المسير في المحجة البيضاء ، التي ليلها كنهارها ، وإهمالكم الاستهداء بدستور السماء ، حين اجتاحتكم جحافل الليل من كل مكان ، فأضعفت في نفوسكم سلطان العقيدة ، وأرخت قبضتكم على كتاب الله وسنة رسول الله ، وإذ ذاك صدق فيكم الوعد الضمني الوارد في القول النبوي الكريم « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما ، كتاب الله وسنة رسوله » ولقد تركنا الإعتصام بهذين الكنزين منذ حين ، وألقينا وراء ظهورنا ما يشعّان به من مقدسات، وضللنا عن سواء السبيل ، وتقلص ما كنا نمرح في مرابعه وجناته ، من ملك عريض طويل ، ولكن

فرصة العودة إلى الفردوس المفقود .قد أصبحت اليوم مواتية سانحة ، واحتمالات انبثاق الفجر الموعود قد باتت الآن ـ جد قوية ومتوفرة ، فاستغلوا الثواني قبل الدقائق ، والدقائق قبل الساعات ، والساعات قبل الأيام ، والأيام قبل الأعوام ، والله يهديكم إلى مراشدكم ، ويهبكم الوفاء البنّاء لدينكم ونبيكم وقرآنكم وأمتكم ، التي وصفت في التنزيل بأنها خير أمة أخرجت للناس ، ونريدها أن تكون كذلك الى الأبد ، رغم الحاقدين والمتخاذلين ﴿ وَيَأبَى اللهُ إلاّ أنْ يُتِمّ نوره ولو كَرِهَ الكافرونَ ﴾ .

الطريق الوعر الطويل

أيها المسلمون - في كل مكان - يا من كنتم في طليعة مواكب الزحف فأصبحتم في المؤخرة ، يا من كنتم تحملون المشاعل المضيئة أيام كان ليل الجهالات والضلالات يخيم على آفاق الحياة الإنسانية فيحرمها أن تتنسم أريج الحرية ويحجب عنها إشراقات العدل والمدنية ، يا من كنتم تتبوأون الصدر وتتحكمون في مصائر البشر ، تهدون الضالين ، او تقوّمون المنحرفين وتنشرون مبادىء الحق وأشعة المعرفة بين العالمين ، يا من كنتم فئة قليلة ولكن تملكون ما للكثرة الكاثرة من قوة قاهرة وعظمة باهرة . يا من كنتم شعوباً مختلفة الألسن والألوان ولكنها جميعاً تنضوي تحت راية القرآن وينتظم قلوب أبنائها كافة شريط المحبة والإيمان ، يا من كنتم بالأمس تتكلمون فترهف الدنيا أسماعها ، وتحكمون فتدين الأرض لمشيئتكم ، مـا بالكم الآن وقد أربى تعدادكم على مئات الملايين لم لا تكونون اليوم كما كنتم بالأمس فرسان الميـدان وأساطين الحضارة والعمران وأقطاب الفكر والعرفان وسادة الإنسان في كل مكان ، لماذا تداعى الصرح الشامخ المرتفع وتمزق الشمل القوي المجتمع ، لماذا فشلتم وذهبت ريحكم ؟ لـماذا نكصتم على الأعقاب بعد التعلق بأهداب السحاب ؟ ما الذي عاق سير القافلة المنطلقة ؟ ما الذي أطفـأ الشعلة المتوهجة المؤتلقة ؟ .. ما الذي جعل الشمس تشرق في عالم غير عالمكم وجحافل الليل تعود ثانية لاكتساح دنياكم التي لم يعرف الظلام اليهـا

سبيلاً طوال قرون عديدة ؟ إنكم والله لتعرفون سر تقهقركم بعد الانطلاق ، وسر هذه الحلكة الدامسة بعد الضياء والإشراق ، وسر هذا الضعف والهبوط والانهيار بعد القوة والرقي والازدهار ، إنكم جميعاً تدركون السر ولكنه إدراك سلبي لا يتعدى مجرد الأسف على ما فات والتباكي على الأيام الخاليات والإحساس بالألم والمرارة دقائق معدودات .

إن هذا السر الذي تتمثلونه وتتجاهلونه وتهملونه هو احجامكم عن ركوب المركب الصعب الذي امتطاه أسلافكم من قبل رغم ما فيه من أهوال كبيرة وتضحيات مريرة ، إنه جهاد في سبيل الله ، لا يستهدف إلا إعلاء كلمته ، ونصرة الحق وسحق الباطل ، والتحرر من عبودية الشهوة وسلطان الهوى وإيثار المنفعة الذاتية ، وإيمان عميق الجذور في القلوب ، وتضامن صادق وثيق يجمع بين الأمم والشعوب ، فلا فردية تتحكم ولا إقليمية تسيطر بل هدف الأفراد والجماعات وغاية الرعية والرعاة تحقيق السعادة والخير لكل إنسان ، وإشاعة الطمأنينة والسلام في كل مكان ، ثم تناهٍ عن المنكر وأمرٍ بالمعروف وتواصٍ بالحق والصبر ، وبذل وتضحية في سبيل العقيدة وإقامة العدل في أرض الله وتبشير بالمعرفة والنور بين عباد الله .

ذلكم هو الطريق الطويل الوعر الذي إذا دفعتم إليه بمسيرتكم استطعتم أن تصححوا وضع أمتكم ، وأن تعيدوا إلى هامتها التاج السليب وإلى يمينها الخاتم والقضيب .

بين الإسلام ومدنية الغرب

أيها المسلمون — إننا نعيش اليوم في عصر قفز أهله الى أسمى مراتب الرقي المادي والتطور الفكري والحضاري ، مما لم يكن يخطر على قلب بشر ولا يحلم به انسان في أي زمان ولكنهم مع هذا الصعود الذي يبلغ الأوج والقمّة ، وهذا الانطلاق الذي يتجاوز جميع الأبعاد والآفاق انحدروا الى الحضيض أخلاقياً وهبطوا الى الدرك روحياً ، وطغت عليهم العوامل المادية وتوزّعتهم الخلافات المذهبية ، فابتعدوا وأوغلوا في البعد عن دنيا القيم ، وعالم المثل والفضائل الذي يخضع لسلطان الروح وتنتصر فيه المبادىء والنزعات الانسانية ، أليست الحروب تشتعل نارها من حين لآخر ولا يكاد يهدأ لها أوار ؟ . . ومناجل الموت تحصد الآلاف من الضحايا تنازعاً على البقاء وتكالباً على المكاسب وتنافساً على مناطق النفوذ ، وليس من هدف لهذا الصراع العقائدي المسعور الذي ما له من ضابط سوى شريعة الغاب ومنطق المخلب والناب ، والا تحقيق المزيد من الهيمنة والاستئثار والتحكم المطلق في مصائر الاحرار ، والسيطرة الكاملة على مقدّرات الشعوب ، كأنما يملك هؤلاء الأقوياء صكاً منزّلاً من السماء يخوّلهم حق الاستيلاء على مصادر الثروة في أي جزء من العالم ، وحق إخضاع البشر لرأسماليتهم المستغلّة المستعبدة وشيوعيتهم المهدرة لشخصية الفرد المستبدة بانتاجه ومواهبه الخلاقة المبدعة .

وانه لعجب من العجب نفسه أن ينكر أنصار الإفناء الجماعي

والإبادة الشاملة على الاسلام تجريده السيف لمحاربة الظلم والظلام وترسيخ قواعد العدالة والسلام ، ونشر ألوية المساواة والنظام في عـــالم هابـط متخلّف تسوده النزعة البربرية والعقيدة الوثنية ، وتحكمه الانظمة القبلية وتنحط فيه المدارك البشرية الى اسفل المنحدرات . قدّس الناس الاحجار وعميت عليهم الحقيقة في وضح النهار وجاء الاسلام يمجد انسانية الإنسان ويحارب الأثرة والتعسّف والطغيـان والتسلط والعدوان ، ويحرر العقول والارواح من عبودية الجهل وإسار المادة وسلطان البدائية ، لا هدف له الا نصرة الحق وتحطيم الباطل ونشر المعرفة ونثر ورود الاخـاء والمحبة في التربة الانسانية التي كانت يومها تضطرم بالعداوة والبغضاء ، فأين رسالة الاسلام في إشراق مظهرها وسمو جوهرها ونبالة غاياتها من مدنية اليوم صانعة المعجزات التي ضاق بها العالم السفلي فتطلّعت الى العـالم العلوي تستجلي آياته وأسراره وتسبر خباياه وأغواره ، ولـكنها رغم هذه الانطلاقات العملاقة تقف عاجزة لا تستطيع أن تصنع شيئاً أمـام انقسام الشعوب وانتشار الحروب ، ولا تستطيـع كذلك أن تزرع ذرة مـن حـب في القلوب ليحل التفاهم والصفاء محل العداء والشحناء ، ويتوقف هـذا السيل المنهمر من الدماء .

أيها المسلمون ـ إنـكم اذا تفيأتم ظل كتابكم ورجعتم الى هـدي نبيكم وغيرتم جذرياً ما بأنفسكم وتلاقيتم جميعاً في رحاب الود والاخاء والمحبة ، تستطيعون ان تكونوا منطقة الامان في عالم انعدم فيه الامان ، وأصبح الإنسان عدو أخيه الإنسان ولم يعد فيه لغير الاعتبارات المادية مكان .

أيها المسلمون ـ أطلّوا على الدنيا الحالكة بمشاعل نوركم وأنقذوا العالم المنقسم المتمزق بآيات دستوركم ، فقد فعلتم ذلك يوم كنتم قلّة قليلة ، فما بالـكم اليوم لا تمثلون نفس الدور ، وقد أصبحتم كثرة كاثرة ، وفي مقدوركم أن تشكّلوا قوة غلاّبة قاهرة تقدر على نصرة الصديق وردع

العدو ، وحذار ان تكونوا كما وصفتم في الاثر .. (غثاءً كغثاء السيل) لا تقوون على رد الضيم ودفع المذلّة ، ومـا لـكم من سبيل الى صنع المجـد وتجسيد الامس في الغد ، فوحّدوا يا قوم خط سيركم وساهموا في عملية البناء بدوركم ، فإنـكم والحمـــد لله كثير ، وفي أوطانكم الخير الوفير ، وسوف لن يستعصي عليـكم اي أمر عسير طـالما تمسكتم بدينكم وجمعتم عيدان حزمتكم واعتمدتم في نضالكم على ربّكم ، فهو مولاكم ، فنعم المولى ونعم النصير .

ذَلِكُمْ هُوَ سَبِيلُ الفَوْزِ بِكَأْسِ المَجْد

ايها المسلمون في كل مكان - إنكم لن تبلغوا ما تنشدونه لأمتكم الخالدة من عظمة فكرية وسياسية ونهضة عمرانية زاهرة باهرة ، ولن تستطيعوا استعادة مركزكم العظيم بين شعوب الارض ، والقيام بدوركم التاريخي الجليل في تطوير الانسانية وتحريرها من كل ألوان العبودية ، واستنقاذها من طغيان العوامل المادية وملء حياتها أمناً وسلاماً ورخاء وعدالة وهدى ونوراً ، وإفعام قلوب ابنائها اخاء ومحبّة وتعاطفاً وروحانية ، لن تكونوا قادرين على النهوض بكل هذا الا إذا اتّبعتم سنن أسلافكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، واستهديتم بمنهج قرآنكم في سركم وجهركم ، وقطاعات حياتكم الخاصة والعامة ، والا اذا اصبح واقعكم الاجتماعي والسياسي انعكاساً صادقاً حقيقياً لقول نبيكم الكريم : « مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتواصلهم ، كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » كما كان آباؤكم قبل مئات السنين تجسيداً مادياً حياً لمضمون هذا القبس المحمَّدي الوهاج ، انهم لم ينتصروا على أضخم قوة في الارض مع قلة العدد وضآلة العدد ، الا بعد أن انتصروا في خوض المعركة الاولى ضدّ أنفسهم بالحد من غلوائها ومحاربة أطماعها وأهوائها وسحق نوازعها الانانية وإخراس أصواتها الشهوانية ، التي لا تنفك عن الصراخ والنباح تكالباً على السلطان وايثار النفس بكل شيء والاستجابة لمطالبها التي لا تتناهى ، وإرضاء جشعها

الذي لا يشبع ، لقد حطّموا كل هذه الدوافع والنزوات الحيوانية المركبة في طبعهم كمخلوقات بشرية بالارتواء من ينبوع الفيوضات النبــوية ، والتحرّر من سجن المصالح الشخصية ، وفتح صدورهم للاشراقات الدينية والتحليق بأرواحهم في آفــاق إنسانية علوية ، لا يغشاها ضباب المنافع الذاتية ، ولا يسموا اليها غبار الصراع الجهنمي المسعور بين جحافل القوى المادية ، فاذا انتصرتم مثلهم في حربكم مع أنفسكم وتغلّب فيــكم جانب روحانيتكم على جانب ماديتكم وحيوانيتكم ، فانكم حتماً ستنتصرون على جميع أعدائكم في الداخل والخارج ، وحتماً ستفوزون في مباراتكم من أجل الفوز بكأس المجد ، وحتماً ستنجحون في تحقيق أحلام اليوم والغــد ، ولــكن هذه السلسلة من الانتصارات التي هي جـــد ضرورية وحتمية لتحقيق بعثــكم المنتظر وانطلاقتــكم العملاقة ، لن تكون دانية القطوف قريبة المورد ، الا إذا حشدتم مـــا استعرضناه من وسائل ومعدّات ، وجندتم ما نعتناه من أجهزة وطاقات لأن مجرد الأماني الوردية والعيش في أحلام الماضي الذهبية ، والقعود عن الأخذ بالأسباب لإحداث تغيرات جذرية في واقع مجتمعاتنا الاسلامية ، ينتظم حياتنا الاقتصادية والسياسية كل هــذا لن يقربنا من اليوم الموعود ولن يدفعنا قيد أنملة نحو الهدف المنشود ، ولن يرتفع بنا شبراً واحداً نحو السماء التي نتطلع اليها — سماء العظمة والخلود — وانمـا ذلك هو نذير الفشل وخيبة الأمـــل ، فلندسه بأقدامنا ولا نستسلم لوساوسه وأوهـــامه ، ولا نرضخ لظروف الواقــع الكريه ، شأن المنبتّ الذي عدم الوسيلة والحيلة ، بل يجب أن نبــدأ المسيرة بروح قوية عالية وآمـــال نابضة متجددة وإرادة صلبــة مؤمنة وايجابية عميقة بنّــاءة ، وان لم تكن الطريق معبدة ولم تكن القـــافلة

بمتطلبات السير مزوّدة فـلا بد وأن ننطلق عـــبر التلال والجبال رغم تكدس الاشواك وتراكم الاوحال ، فمعارك المجد وتحقيق الوجود الحضاري والسياسي وبعث الأمم من رقادها وصنع التاريخ لأجيال الغد ، كل هذه تحتم على ابطـالها التعرض للمزيد من المغامرات ، والاستهداف للاحداث العاصفة والاخطار الرهيبة والأهوال الشديدة المزلزلة .



إِلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ

لعل هـذا الهتاف المتصاعد من الاعمـاق ، رغم خفوت صداه وقرب مداه ، ان يتلمس طريقه نحـو القلوب فيهز كيانهـا ويطرق أبواب النفوس فيحرك وجدانهـا حتى تحجم عن استهتارها في عبثها وغفلتها ، وحتى تنتبه الى مواطن الضعف فيهـا ، فتقويها بالايمان والعرفان وحتى تفتح أعينهـا على مظاهر الفساد وأسباب الزلل والانحراف ، فتعمل على اصلاحها وتقويمهـا والحيلولة دون استفحالهـا وانتشارها ، إن عشرات الاصوات المؤمنة لا تفتأ تناديـكم لتمسكوا بزمام القـافلة التي ضلت طريقها ، لأنهـا فقدت الرائد والدليـل ، فتكونوا لها رواداً وأدلاء ، وتعيدوها الى السير في المحجة البيضاء . إنهـا بعدت كثيراً وأمعنت في البعد عن مصدر الاشراق ونقطة الانطلاق ، منذ أن افلت قيادها من أيدي مرشديها قبل مئات السنين ، وراحت تتخبط وسط الظـلام في مسارب ملتوية ومهامه شائكة موحولة ، فهبوا ايهـا المسلمون لنجـدة قافلتكم التائهة ، وحسبكم مـا مضى من ركود وجمود وتخلف وقعود ، فعساكم أن تجعلوا قافلة الاسلام كما كانت قبل ألف عـام ، طليعة كل زحف الى الامام ، وقاعدة كل بناء ومركز كل اشعاع وضياء ، ولكنكم لن تدركوا هـذا الهدف الكبير الا بوحدة الغـاية والمصير ، والا اذا سددتم الثغرات التي تتخلـل صفوفـكم ، والا اذا قضيتم على الاطماع التي تمزقـكم وتوزع طاقاتـكم ، وتشتت جهـودكم وتجعلـكم منقسمين

على أنفسكم ، وتحصر كلاً منكم في قوقعة مصالحه الذاتية ، ودائرة غاياته الفردية ، والا اذا اتخذتم من كتاب الله رائدكم الى كل مجد تتطلعون اليه ، وقائدكم في كل ميدان تقبلون عليه ، وجعلتم من سنة رسول الله لمشعل الذي تهتدون به في الظلمات وتستلهمونه الرشد والسداد في كل ما يعرض لكم من شئون الحيـاة ، والا اذا عمدتم الى بنائكم الروحي والاخلاقي تصلحونه وتدعمونه وتحولون بكل قواكم دون تداعيه وانهياره ، كما هو عليه الآن .

أيها المسلمون في كل مكان . . إن أوضاع عالمنـا الاسلامي اليوم ، ليست حرية بنهوضنا من كبوتنـا ، وخروجنا من غياهب محنتنـا ، وليست كفيلة بتحقيق صعودنا الى القمة التي ننشدها وبلوغنا الأهداف التي نجدها ، وليس فيها أي تباشير لانبلاج الصباح الذي نرجوه ، والذي سيعم نوره كل شبر من أرض الإسلام ، وتنفذ أشعته الى كل قلب من قلوب أبناء الاسلام وتأسو أنامله الرفيقة كل ما يعذب أمتنا الخالدة من جراح وآلام ، وتطاحن وانقسام ، ان هذه الأوضاع الحزينة التي ترهقنا من أمرنا عسراً ، وتجعلنا نبتعد كل يوم مراحل جديدة عن الاتجـــاه الصحيح الذي يجب أن ننتحيه والغد المشرق الذي نرتجيه ، ليس لهـا علاج الا ما قلناه قبل سطور معدودات ، ودعونا اليه عشرات المرات ، وهو أن نبدأ من حيث بدأ الموكب الاول للدعوة المحمدية الصاعدة ، ونسبغ على أنفسنا كل مقومات ذلك الموكب وخصائصه وصفـــاته ، تحرُّر مطلق من سلطان النفس ، وتطّهر كامل من الخبائث والرعونات ما ظهر منها وما بطن ، وتفان غير محدود في الجهاد من أجل الخير ، ونصرة الحق ، ونشر القيم العليا وإعـلاءِ شأن الاسلام في محيط القلوب والشعوب وفي كل مجالات الحياة المادية والمعنوية ثم كفاح دائب متصل في سبيل تحقيق الازدهار الفكري والحضاري لأبناء الانسانية جمعاء ، وبعد

هذا اخـــاء ومحبة وعدالة وسلام ، يتفيأ ظلها الظليل جميع البشر ، والقوة هي السر الذي يكمن وراء هـــذا كله ، فما لم تتحقق رهيبة جبارة ومـا لم توجد في أيدينا قاهرة مسيطرة ، ومـا لم نمتلك أسبابها شاملة كاملة ، فان يوم البعث لن يكون قريباً ، وان ساعة الرجوع الى نقطة البداية لن تحين وشيكاً ، والذي نرجوه أن يقترب هذا اليوم وأن تدق هـذه الساعة دقاتها المنتظرة في موعد جد قريب ، وعسانا أن نستجيب لهذا النداء ، فنخلق عوامل القوة ، ونسحق أساليب الضعف والانهزامية ، وننصب على القمة راية قرآننا المجيد ، ونصنع بعزائمنا الفولاذية فجر أمتنا الجديد .

إلى كتاب الله وسنة رسول الله

إن غاية ما نرجوه أن يكون لكلمات الحق ودعوات الاصلاح صدى يسهم في ايقاظ شعوبكم ، وأن يكون لها نور ينعكس على أرواحكم وقلوبكم ، اننا لا نريد أن ندفعكم الى الماضي لتعيشوا فيه بخيالاتكم الوردية ، وتسبحوا بأفكاركم في جنة أحلامه الذهبية ، وإنما نريدكم ان تستمدوا من ذكرياته طاقات تسند ظهوركم في زحفكم نحو غدكم المجيد ، وتقبسوا من أضوائه اشعاعات تنير سبيلكم الى مستقبلكم السعيد ، نريدكم أن تستعرضوا أخطاء تاريخكم لتتفادوا الوقوع فيها الآن في حاضركم ، وتتزودوا برصيد ضخم من تجارب آبائكم في كفاحكم من أجل الوصول الى دنيا الكمال والمجد ، لتتخذوا منها مشاعل هادية ودروعاً واقية ، نريدكم أن تجعلوا من تعاليم دينكم وامكانيات شرقكم قوى خلاقة بانية ، تسهم في تشييد صرح الحضارة البشرية وتعمل على تجديد انطلاق القافلة الاسلامية ، وتحرير العالم كله من سيطرة العوامل المادية والأغراض الشهوانية ، اننا نريد من هذه الجماعات الصغيرة المتفرقة أن تتوحد لتصبح قوة لا تغلب ، نريد من هذه الأحقاد المشتعلة في الصدور أن تخمد وتنقلب الى أخوة صادقة ومحبة دافقة ، نريد من هذه المجتمعات الغارقة في أوحال الإثم والرذيلة أن تتطهر من أدرانها وأن تعود منيبة نقية الى عالم الخير والفضيلة ، اننا نريد أن تنتصر القيم الرفيعة في كل قطر من أقطار الاسلام وأن تكون المثل العليا هي شعار الافراد

والجماعات في الحرب والسلام ، وأن تكون القوة الضابطة لكل انسان مسلم ، هي كتاب الله وهدي محمد عليه الصلاة والسلام ، ثم وراثاتنا القديمة المشرقة وتقاليدنا العربية النبيلة ، ثم اقبالاً على مشارق النور في هـذا العصر للاستهداء بها في انتفاضتكم الموعودة ، وسباقاً مع هـذه الكواكب المندفعة الى أهدافكم المنشودة . إن الاسلام لا يريدكم أن تقدسوا القديم لمجرد أنه قديم ، وأن تعبدوا الجديد لمجرد أنه جديد ، فذلك ينافي الروح المضيئة المتطورة التي تسود تعاليمه الخالدة ، والطابع التقدمي الذي تتسم به كل مناهجه وتشريعاته ، بل انه يريدكم أن تأخذوا من القديم كل مـا يفتح على حياتكم نافذة من نوافذ الضياء ، ولا تقفوا عند مجرد التغني بالمفاخر واجترار الذكريات دون تجـاوب واقتباس ، وأن تأخذوا من الحديث كل شيء لا ينـافي مقدساتكم ، ولا يأباه منطق أخلاقكم ووراثاتـكم ، من كل علم ينير الطريق وكل فنّ يساعد ركبكم المنطلق على ازاحة دوافع الفشل وأسباب التعويق .

إن الاسلام لم يشرع لطائفة خاصة من الناس في زمن خاص ، وانما شرع لجميع البشر مـا تعاقبت أجيالهم في عالم الوجود ، وهو نظام انساني شامل من صنع السماء وتبليغ محمد ﷺ ، انه نظام قابل للتفاعل مع كل حركة اصلاحية واحتضان كل ثورة اقتصادية واجتماعية ، تستهدف خير الانسان وإسعاده في كل زمان ومكان ، فهو يمجد العلم ويقدس التطور ، ويبارك كل زحف في سبيل ايجـاد عالم انساني أفضل ، يعيش في ظل وارف من السلام والحرية والعدالة الاجتماعية الشاملة .

أيها المسلمون في كل مكان ــ ذلك هو المنهج الذي يجب أن تسلكوه إن أردتم بعث ماضيكم الحافل واعادة نجمكم الآفل ، بكل ما يشع به من أضواء ، وان أردتم لأمجادكم الخالدة أن تبعث من جديد في أجيالكم الصاعدة ، فانطلقوا ولا تيأسوا ، فـانه لا ييأس من روح الله الا القوم الـكافرون .

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ

إن بعث الحياة في أية أمة أخطأتها حركة التاريخ وخلّفها موكب التطور في مجاهل الماضي المعتمة نتيجة لاختلال مقاييس العمل وانطماس مفاهيم المجد ومعاني السمو والاشراق في أذهان أبنائها ، لا يكون دفعها من جديد الى التحليق والصعود ، واعادتها الى الزحف نحو قمة العظمة وآفاق الخلود بمجرد الاماني الباسمات ترف في القلوب ، والكلمات الجميلة الحلوة تنطلق على الألسن واعدة مؤمّلة ، بل إن بعث الأمة من رقادها وربط عجلتها بقافلة الحياة في اندفاعها وتصمادها يتطلب قبل كل شيء تغييراً جذرياً لعقليات أفرادها وتحويلاً أساسياً لنفسياتهم واتجاهاتهم من الأوضاع المنحرفة الجامدة التي يرتكسون في ظلماتها الى نوافذ الضياء في دنيانا الجديدة حتى ينتزعوا أنفسهم من غمرة أحلامهم التي تبهرهم بسرابها الخادع ، فيستنيمون الى واقعهم الكريه في استكانة وتبلد وخنوع ، مرددين لأنغام الماضي ، مسحورين ببريق صفحاته ، متعامين عن فرص اليوم والغد التي اغتنمها الآخرون ، فأحرزوا الفوز في حلبة السباق ، وبعد التوعية الشاملة لأبناء الأمة وفتح أعينهم على هذه الأنوار التي تغمر الكون من حولهم ، تستلزم عملية البعث المنتظر تجميع الاجزاء المتفرقة في نظام واحد وعلى صعيد واحد وتحت شعار واحد ، ثم تجنيد كل القوى وتسخيرها متضامنة متكتلة لسحق رواسب التخلف وتطهير البيئة الاسلامية من عوامل النكوص وأسباب الضعف

وبواعث الانحلال والانهزامية ثم تطعيم جميع العقول بعناصر التقدمية الواعية والافكار البناءة المؤمنة وتمزيق ما يكتنفها من ظلمات الرجعية والبدائية والجهالة بأشعة النور ، نور الثقافة الذي حوّل حياة البشر الى نهـار دائم ومزّق الى الأبـد ذلك الليل ، ليل التأخر والهبوط الفكري والحضاري الذي ظلت البشرية تتخبط بـين متاهاته الحالكة مئات السنين ، فـاذا تمت عملية التنوير والتطوير وأزيحت الأنقـاض والمخلفـات وأشرقت الاذهان بنور العـلم وتطلعت النفوس في شوق وطموح الى استرداد زمام القيادة واستعادة مركز السيادة ، لم يبق بعد هذا الا البدء في البناء بسرعة وإحكام وتخطيط ونظام ، البناء الروحي والبناء المادي على السواء ، اذ أن هـذا الازدواج في عملية البناء المرجو وحركة البعث المنشود هو جد ضروري لإقامة صرح العظمة الاسلامية في مجال الفكر والحضارة ، وهو جد ضروري كذلك للارتفاع بمستوى الحاضر والمستقبل الى سماء الاشراق الاسلامي الاول والتحليق بأجيال الغد في آفاق المجد العربي الأمثل .

تلك هي المقدمات التي لا بد من توفرها لتحقيق الانتفاضة الكبرى التي يحلم بها كل مسلم مهما كان لونه ولسانه ، تغيير ما بالنفوس والعقول من مفاهيم مغلوطة وأفكار جامـدة معوجة وتطهير البيئة الاسلامية من ركام العصور وغبار الوراثات الفاسدة وتشابك الأيـدي وتساند الأذرع في شجاعة وتصميم وإيمـان واستعداد خـارق للتضحية والبذل بأغلى الممتلكات في كل زمان ومكان .

ذلكم هو سبيل البعث الاسلامي المرجو فاتبعوه ، وذلـكم هـو متن المجد المأمول فامتطوه .

رسالة هذا الدين .

إن هذا الدين قد جاء ليطهر البيئة الانسانية من أمراضها ، ويحرر النفس البشرية من أطماعها وأغراضها ، ويبعث الفضيلة من تحت أنقاضها ، انه جاء ليخلق أفراداً صالحين بنّائين يعملون للدنيا عمل الخالدين المؤبدين ويعملون للآخرة عمل الراحلين المودعين ، لا يثنيهم عن السير في المحجة البيضاء شعور برهبة أو رغبة ، أو بريق طمع أو نذير فزع ، لأن عوامل الخوف ونزعة حب البقاء قد تضاءل أثرها في نفوسهم ، فهي لا سلطان لها عليهم ولا سبيل لها اليهم .

وهكذا شأن النخبة المتجردين الذين لا يخشون الا الله ، ولا يرون أحداً سواه ولا يعملون الا في سبيل رضاه ، لا تحركهم الا قوى الخير ولا تدفعهم الاّ طاقات النور لتحقيق مزيد من النور ، وبذلك استطاعوا أن ينطلقوا الى الاهداف الكبرى التي رسمها لهم دستورهم ، لا يبالون وعثاء السفر ، ولا يحفلون بما يتهددهم من خطر ، بل ان العقبات تجدد فيهم الايمان بوجوب الثبات والصمود ، وتبعث فيهم عزماً قوياً على مواصلة الزحف .

أشواك الجهاد في اعتبارهم ورد ، والظمأ والجوع وفراق الأهل وهجير الصيف وزمهرير الشتاء ومصارعة الأهوال في الحرب ، كل اولئك في نظرهم بسمات ونسمات لا تزيدهم الا مضياً واندفاعاً ولا تزيد ايمانهم الا توهجاً وإشعاعاً .

وبهذه الروح المستمدة من روح الله ، وبهـذه الشخصية المنبثقة من شخصية محمـد صلوات الله وسلامه عليه ، وبهذه الشعارات النابعة من هدي القرآن أتيح لأولئك الرواد أن ينتصروا أولاً على دوافع بشريتهم وضرورات آدميتهم وأن يقفزوا الى القمة ، قمة العظمة الفكرية والحضارية أيام كان غيرهم في الظلمات يعمهون وفي حضيض الجهالات يتخبطون .

ونحن أيها المسلمون . . ما لم نكن كأسلافنا الذين مثلوا تلك الادوار الطليعية ، فنخرج من قوقعـة مصالحنا ونتغلب على تيارات أهوائنا ، ونقبض بشدة على زمـام أنفسنا ونستل من أعماقنا جـــذور النفعية وسرطان الأثرة والأنانية ، ونسبح بعقولنا وأرواحنا في آفاق الاسلام العلوية لا فردية تتحكم ولا عنصرية تسيطر ولا مادية تطغى وتسود ، ما لم نكن كذلك فلن نستطيـع أن نغيّر مجرى التاريخ ، ولن نقوى على تحويل عقرب الساعة في الاتجاه الذي نريد ، ولن يكون في وسعنا أن نشكل الفلك الكبير الذي تـدور فيه أجرام الآخرين تستمد منه الضياء ، في غير هيمنة ولا استعلاء . اننا نريد من الفرد المسلم والجمـاعة المسلمة والدولة المسلمة أن يكون ثلاثتهم نماذج مجسدة للفرد والجماعة والدولة في عهود الاشراق الأولى ، يوم كان الاسلام في ريعان شبابه ، أنوار هداية تتألق ، ورايات مجد تخفق ، وانتفاضات في مجـال الفكر والعلم والسياسة تتحقق .

ولعل الذي يحيي الأرض بعـد الموت قادر على أن يبعث في أمتنا الحياة ، اذا هي غيّرت ما بنفسها واستجابت لهاتف دينها ، وهي إن شاء الله ستفعل ولا بـــد يوماً أن تفعل ، فهي تملك قابلية الانبعاث ويكمن في طبيعتها سر البقاء والارتقاء .

إليكم أيها السابحون بين غمرات الأحلام

منذ قرن من الزمان أخـــذت شعوب الانسانية تستيقظ من سباتهـا العميق ، الذي ظلت تسبح في آفاقه الحالكة مئات السنين ، على رنين الجرس القوي جرس النهضة الحـــديثة ، الذي انبعث من عالم الغرب ليبعث الأمم الغافية من رقادها ، ويفتح أعينها المغمضة لكي ترى طلائع النور الجديد ، وهبت عشرات الشعوب تستقبل موكب الضياء بلهفة بالغة وتعطُّش شديد ، وتتيح لأشعته أن تنفذ الى عقولها ، فتمزق ظلامها والى نفوسها فتكتسح جمودها ، والى جوانب دنياها المعتمة فتغمرها باشراقاتها ، اللهم إلا .. أنتم معشر المسلمين .. يا من كنتم بالأمس مصدر كل ضياء وقادة كل زحف ، ورادة كل مجد ، وبناة كل عظمة ، أنتم وحدكم لم تتجاوبوا مع تلك الهتافات المدوية الداعية الى الانطـلاق المبشرة بانبثاق عهـــد الاشراق ، وأنتم وحـــدكم بقيتم في حيز النيام ، تسبحون بـين غمرات الاحلام ، وكأنما بضعة عصور سلختموها هاجعين ، لم تشبعكم رقاداً ، وكأنما خيل اليكم أن ذلك الليل الذي غشى عالمكم الكبير بعد نكبـة بغداد ومأساة غرناطة سيكون أبدياً لا يعقبه صباح ، كلا يا قوم .. — إنكم لواهمون ، ان صدّقتم أن واقعكم الكريه لن يتغير ، وأن نكوصكم الى الوراء عدداً من القرون لن يتحول الى زحف نحـو الامام ، وأن الأفكار السود التي سيطرت على عقولكم وجعلت اليأس يتمكن من نفوسكم ، ويخمد فيهـا كل إشراقة من رجاء وكل شعاع من أمل نتيجة لتوالي

المحن والخطوب وتعاقب الارتكاسات التاريخية والفتن والخلافات الداخلية ، أقول إن هـذه الأفكار السود التي توسوس اليكم بكل هـذا وتفرض عليكم استشعاره والاستسلام له ، انما هي مجرد أوهام يجب أن تتبخر ، وعلامات ضعف وتخـاذل في الهمم والعزائم يجب أن تتلاشى وتندثر ، فما أنتم الا أخلاف أولئك الأسلاف ، الذين صنعوا أمجادكم الأولى ، وما تزال اسرار عظمتهم كامنة فيكم وعناصر قوتهم جـارية في دمائكم ، وطاقاتهم الايمانية سارية في أرواحكم ، وليس يعوزكم أن تكونوا مثلهم في كل شيء ، وتمتلكوا قدرتهم القادرة على كل شيء حتى المستحيل ، الا أن تتدينوا كتدينهم وتؤمنوا بالله وبأنفسكم كإيمانهم ، وتتخلقوا بنفس أخلاقهم ، وتستيقنوا في أعماقكم بأنكم نسور يجب أن تحلق دائماً في السماء ، وتسبح بين طبقات الجو العليا ، ذلك هو ما ينقصكم في تحقيق بعثكم الجديد وبناء مستقبلكم المجيد ، إنه تقوية الجانب الروحي من كيانكم الانساني ، وتطهير قلوبكم من عبادة الشهوة وتقديس المادة . والتكالب المجنون على بهارج الحياة وزخارف المدنية البراقة الخادعة . إن عليكم أن تؤمنوا بأن هذا النور الذي انبثق من دنيـا الغرب قبـل ثلاثة أجيال من الزمان ، انمـا هو في جوهره قبس من نوركم ، وامتداد لذلك الفجر الغامر من العلم والحضارة الذي صنعتموه بأيديكم ، فهو وإن انبعث من الغرب ما زال يحمل طابع الشرق وسر مجد العرب ، لأنهم مبدعوه وصانعوه أول مرة ، فهلم يا أتباع محمد لاسترداد نوركم وإحيـاء دستوركم وتحمل أعباء رسالتكم الروحية والمـادية والنهوض بدوركم الحضاري الضخم من جديد فان القافلة ماضية في المسير ولا عذر لـكم بعـد اليوم في الانزواء والتقصير ، وإن طبيعة العصر لا تحتمل التأخير .

تلك هي الصورة المتكاملة لرواد القافلة

إن السبيل الذي رسمه الاسلام خط سير لكم ، والذي أوقد محمد صلى الله عليه وسلم على جانبيه المزيد من الشموع لتستهدي بنورها قافلتكم في انطلاقتها العملاقة ، نحو أوج المجد والسمو والكمال ، هذا السبيل هو سبيل الله الذي لا يعتسف ولا ينحرف سالكوه ، ولا يزلّ ولا يضل عابروه ، لأنه منهج مستقيم واضح المعالم لا عوج فيه ولا التواء ، ولأنه من جميع نواحيه مغمور بالأضواء ، انه محجة الاسلام البيضاء التي ليلها كنهارها ، ولكن رغم وضوح هذه المحجة وخلوها من العوائق والعراقيل ، ورغم وضوح الهدف والغاية ، فلا بد للقافلة الزاحفة من (رادة) يخففون اندفاعاتها وقادة يحددون اتجاهاتها ، ويحولون دون نكوصها على الأعقاب وانخداعها بما يطالعها من دِمَنٍ ، أو يلوح أمامها من سراب ، وهؤلاء الرادة والقادة أصحاب الادوار الطليعية في توجيه القافلة الاسلامية ، يجب أن يكونوا في أنفسهم وفي أخلاقهم وفي بواطنهم ، وفي جميع أنواع سلوكهم المستور والمنظور ، نماذج صادقة حية لتلاميذ المدرسة الاولى من مدارس الوحي التي كان القرآن منهجها الذي يدرس ، وينبوع الحكمة والنور ، محمد ﷺ أستاذها ونبراسها ، وتعاليمه المضيئة شعارها ودستورها ، ولقد كان أولئك التلاميذ المتخرجون من مدرسة واحدة ، تباشير الفجر الذي حوّل ليل الإنسانية إلى نهار وبواكير ثمار الدوحة النبوية التي انعكست ظلالها على جميع

الأقطار والأمصار ، وما لم يكن قادة الأمة الاسلامية في المجال الروحي والأخلاقي وهم العلماء امتداداً لأسلافهم في المظهر والجوهر ، ينكرون ذواتهم ويكبتون رغباتهم ويتناسون غاياتهم ، ويؤثرون ولا يستأثرون ، ويترفعون ولا يتضعون ، ويتجاوزون ويتسامحون ولا ينتصفون ولا ينتقمون ، حتى يتخذوا من أنفسهم عنواناً على حقيقة دينهم ، ورمزاً لأخلاق نبيهم ، وقدوة صالحة لسواهم من عباد الله ، إذا قالوا كانوا لهم من السامعين ، وإذا أمروا كانوا لهم مطيعين مذعنين ، وإذا ساروا في أي طريق انطلقوا في اثرهم مسرعين لاطمئنانهم الى شرف الغاية ونبالة الهدف وسلامة الاتجاه . إن على أرباب الرسالات من بناة الارواح والعقول وحملة مشاعل الاصلاح والتوجيه أن يكونوا كذلك رسل هداية ومعرفة وقوى أخلاقية ضابطة ، تبصر المنحرفين بمعالم الصراط المستقيم ، وتهدي السارين في ليل الحياة البهيم ، لا يهبطون الى حضيض الشتائم والمهاترات ، ولا يتراشقون بسهام القذف والتجريح وهتك الاسرار وكشف العورات استجابة لهوى النفس الأمّارة بالسوء ، وإشباعاً لنزعات التشفّي وحب الانتقام .

إن مهمة رواد القافلة أسمى وأقدس من أن تحوم حولها الريب أو ترقى الى سمائها الأوهام والظنون ، انها مهمة إسعاد أمة كاملة واصلاح الجانب الروحي من كيانها الانساني ، والحيلولة دون طغيان العوامل المادية على جميع قطاعات حياتها ، مما يبعدها مسافات شاسعة عن منابع الاشراق الاسلامي ومطالع الهدى والنور .

وهذه المهمة تستدعي تجرداً كاملاً واستعداداً شاملاً وتحرراً من سلطان النفس وتيارات العواطف ، وإذ ذاك يستنير بنورهم الكثيرون

وينصلح بصلاحهم الخاطئون والمنحرفون ويكونون موازين للعدل ومقاييس للخير والفضيلة وأمثلة رفيعة للكمال والأسوة الحسنة ، وذلك ما يريده الاسلام وما تستهدفه رسالة نبي الاسلام ، علماء كالشمس ينفعون البلاد والعباد بعملهم وصلاحهم في القول والفعل ، كما تنفع الشمس الانسان والنبات والحيوان بالدفء والضوء والحرارة .

مَتى يَنْقَشِعُ هَذا الظَّلامُ الكَثِيفُ ؟

إن الظلام لا يزال دامساً كثيفاً منذ أن جن الليل على هذه الأمة ، بعد أن أسدل الستار على نوافذ الاشراق فحجب نورها ، ولم تعد كما كانت مصابيح مضيئة يستهدي بها الناس في كل جيل وقبيل ، ويتبينون على سنا إشعاعها طريقهم الى الحياة الصاعدة ، وحقيقة أدوارهم في رواية الاسلام الخالدة ، ولن ينقشع هذا الظلام الرهيب ولن ينجلي هذا الليل الحالك الطويل وتستأنف النوافذ المتألقة التماعهـا وإشعاعها ، وتستعيد الطاقات الممزقة التآمها وانسجامها وتعاود القوى المعطلة خلقها وابداعها ، إلا إذا تشابكت الأيدي وتصافحت القلوب وتعانقت الأمم والشعوب وتوارى الماضي بكل ما فيه من مآسي وآلام ومثالب وعيوب ، وفتح سجل جديد للعمل نقي الديباجة ناصع الصفحات ، وتضافر الجميع على كتابة فصوله ، وتدبيج موضوعاته أمجـاداً وانطلاقات ، ومعجزات وانتفاضات ، وإلا إذا اهتز المسلم على ضفاف المحيط الاطلنطي لمحنة أخيه في كشمير ، وعاش أزمـاته ومعضلاته بقلبه ووجدانه وضميره وجميع كيانه ، وكان لهتافه مجيبـاً ولندائه ملبياً ، ولجرحه آسياً وله مغيثاً ومنجداً ، ومثّل هـذا نفس الدور مع أخيه الطريد الشريد في فلسطين .

أجل لن تعود نوافذكم المضيئة الى الإشراق ، ولن يتحقق لأمتكم التحرر والانعتاق ، ولن تقضوا نهـائياً على أسباب الشقاق ، وعوامل

الفشل والإخفاق ، ولن تستطيعوا تحقيق البعث الأكبر للانسانية جمعاء إلا إذا أصلحتم بيئتكم النفسية والاجتماعية إصلاحاً جذرياً ، وخططتم ليومكم وغدكم منهجاً إسلامياً وفتحتم صدوركم للنور القرآني ، ينبثق فيها كما ينبثق الفجر الكاسح لجحافل الليلة الدابرة ، وإلا إذا كان قوام مجتمعكم أفراداً صلاب العزائم أقوياء الإيمان كبلال ، وحيّا الله (بلالاً) يُطرح أرضاً في وقدة الهجير ، ويُوضع على صدره حجر ضخم كبير ، ويلهب جسمه النحيل بالسياط في قسوة وحشية وهمجية بربرية ، ليكفر بالاسلام ويقدس الوثنية ، فيفقد الإحساس من هول التعذيب ، ويجهده الألم الممض المرير ، فيمضي في غيبوبة عميقة فترة من الزمن ، حتى يظن زبانيته الجهنميون أنه إذا استعاد صوابه ثانية فحتماً سيكفر بمحمد ودين محمد ويهتف (بهبل) وأولياء هبل من طواغيت الشرك وأقطاب الوثنية ، ولكنه حين يفتح عينيه يتجه ببصره الى السماء وتتحرك شفتاه ضعيفة واهنة مردداً نشيده المقدس الذي اتخذه شعاراً لمحنته ومؤئلاً يحتمي به من أتون عذابه « أحدٌ – أحدْ – أحدٌ – أحدْ » إنه يمجد الوحدانية ويكبر حامل لوائها محمد عليه الصلاة والسلام في قوة وإصرار رغم السياط التي تمزق جسمه بلا مرحمة ، ورغم الصخرة الملتهبة العاتية التي تجثم على صدره فتخنق أنفاسه وتزيد عذابه وتضاعف آلامه وأوصابه ، ويعصف بجلاديه غضب مجنون عندما يسمعونه يشدو بلحن التوحيد ، ويتملكهم العجب لثباته واصطباره وقوة ايمانه واحتماله ، ومدى تغلغل عقيدة التوحيد وحب محمد في قلبه ، فيصبُّون عليه البلاء صباً ويسومونه ألوان التنكيل في حقد مسعور محاولين إطفاء الشعله المتوهجة في أعماقه شعلة الهدى والحق ، غير أنهم لا يلبثون أن يسجلوا إخفاقاً جديداً ويستحوذ على نفوسهم يأس لا يعقبه رجاء . هكذا يُمتحن بلال في ايمانه هذا الامتحان العسير المرير ، فيخرج منه بأروع انتصار وعلى هامته إكليل من الغار ، ويفتديه أبو بكر بماله فيضيف صفحة رائعة

لامعة إلى جلائل أعمـــاله ، ويصبح بلال بلبل الاسلام الصداح ، يهز بصوته الجهوري القـوي القلوب فتخشع ، والارواح فتسطع ، ويحرك المآقي فتدمع ، حين ينطلق خمس مرات كل يوم هاتفاً « الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله » .

هكذا أيها المسلمون نريد أن تكون عناصر مجتمعنا ولبنات بنياننا ، لكي نحقق التكامل لوجودنا ونبدع البعث الأعظم لأمتنا ، ونحرز النصر الأكبر لإسلامنا .

هلم إلى الركن الأمين

أيها الإخوة المسلمون ـ ليس أمام شعوبكم اليوم من منقذ ينتشلها من واقعها الحزين ويعود بها الى الركن الأمين حيث تتفيأ ظلال السكينة وتستروح نسائم الطمأنينة ، إلا أن تلجأ إلى رحاب دينها الذي ابتعدت عنه أشواطاً شاسعة فتجد من نوره ما يهديها إلى طريق الحياة الفاضلة ومن مبادئه ما ينجيها من الانحدار الى سفوح الانظمة المستوردة الواغلة .

إن على هذه الشعوب المؤمنة برسالة محمد أن تعيش بجميع كيانها حقيقة هذه الرسالة وأن تتيح لأشعتها فرصة الانعكاس على ما ظهر وما بطن من أنواع سلوكها حتى تنجرف الاوحال والطفيليات الغازية وتنجلي الظلمات المنعكسة من عالم الغرب ، أما أن تكتفي هذه الشعوب بمجرد الانتساب إلى محمد ولا تتميز عن غيرها في السلوك والتفكير ، مظهر بلا جوهر ، وقول بلا عمل ، ودعوى بلا دليل ، فهذا ليس من شأنه أن يقرب طلوع الفجر الجديد المنتظر ، ولا أن يصنع المستقبل الحافل المزدهر ، ولا أن يعيد المركز الضائع المفقود ويحقق الأمل الحبيب المنشود .

إن هذه التيارات الجارفة التي تعصف بأمتنا الإسلامية نتيجة لانغماسها في مادية طاغية ملحدة موردة ليس هناك من قوة تقف في

وجهها وتدرأ شرها وتردُّها على أعقابها وتهيء للقيم الروحية أن تثبت وجودها وتبسط سلطانها على حيـاة الأفراد والجماعات ، ليس هناك من قوة تستطيع كل هـــذا إلا قوة الدين المتضمنة لمجموعة ضخمة من الطاقات المعنوية والمادية : عـــلوم وفنون وإنتاج وإبداع واختراع وإيمان وسلاح ، واستمساك بحبل الله المتين ، المنبثق من هدي محمد والكتاب المبين .

أيها الإخوة المسلمون — اننـا ندعوكم الى أمثل سبيل ، الى سبيل الله ، الى سبيل المؤمنين حيث الفضيلة ، والطهر والصلاح والخير والحق والعدل والجمال والمحبة والتعاون والايثار ، ولن تكونوا أتقياء راشدين ، لن تعودوا كما كنتم هداة الإنسانية ونجوم العالمين ، لن تكونوا أحرياء بالانتساب الى اسلافكم الخالدين ، لن تستطيعوا أن تكونوا الطليعة بين المتسابقين إلا إذا اتبعتم سبيل المؤمنين ، ذلك السبيل الذي لا يخبو فيه ضياء ولا يكبو فيه جواد .

إنَّمَا المُؤمِنُونَ إخْوَة

أيها المسلمون في كل مــكان .. إن سبيل البعث الإسلامي الذي نريدكم أن تبدأوا زحفكم فيه وتولوا وجوهكم اليه ليس هو الخلافات التي تزلزل كيان أمتكم ، وتصدع بنيان وحدتكم ، وتفتح للأعداء المتربصين ثغرات في صفوفكم ، وليس هو تبادل حملات التشهير الحاقدة المسعورة بينكم ، وإعمال وسائل الهدم والتحطيم في بعضكم بعضاً ، مما يؤدي الى التخاذل والارهاق ، وليس هو إيثار المنفعة الذاتية الخــاصة على المصلحة العــامة ، وليس هو إهدار إرادة الجماهير وإرغامها على السير عكس اتجاهاتهــا ورغباتها . إن سبيل البعث الجديد المنتظر ليس هو تصارع الإخوة وتطاحن الأشقــاء ، وليس هو إزهاق الارواح وسفك الدماء ، هـذه الارواح التي كان يجب أن تزهق في سبيل نصرة الحق وإعلاء كلمة الله ونشر القيم والمقدسات الاسلامية في مختلف بلاد الله ، والتي كان يجب أن تكون وقوداً للثورة الكبرى المنتظرة ، ثورة العملاق الاسلامي على الاوضاع الإنسانية الفاسدة والقوى المادية الباغية المسيطرة والمظالم السياسية والاجتماعية الخانقة لحريات الشعوب ، المتجنية على حقوق البشر ، كان يجب أن لا تسيل قطرة واحــدة من الدماء المسامة إلا لتستحيل شمعة مضيئة تزيد التهاب الثورة الاسلامية المقـدسة ، وتسهم بدور بناء في بعث الإنسانية الجديدة ، ودفــع القافلة خطوات واسعة نحو أهدافها المجيدة ، إنه ليهتز في نفس الإسلام ويزعج نبي الإسلام في مثواه

الأبدي أن يلتقي المسلمان بسيفيهما متنازعين متحاربين ، وأن يجمع القوى المسلمة ميدان تناحر وصدام ، وكلّ حريص على قتل أخيه ، بينما يترك الخصوم المتحفزون يستجمعون قواهم ويكمّلون استعدادهم تأهباً للانقضاض على هذه الفلول المتطاحنة ، وضربها ضربة قاصمة ، لا تبقي ولا تذر ، إنهم الآن يرقبون فتنة مندلعة بين الإخوة في شماتة سافرة وتشفّ منهوم ، ويضحكون ملء أشداقهم حين يسمعون الشقيق يتهجم على شقيقه بتوجيه الاتهامات المنكرة وتصويب سهام التشنيع بكل استهتار دون أن يراعي أحد الطرفين في أخيه إلاّ ولا ذمة ، أو يقيم وزناً لأواصر الدم والدين والجوار واللغة والتاريخ المشترك ، والآلام والآمال التي تحتم وحدة المصير بين الفريقين اللذين يخوضان غمار الحرب المزدوجة فوق أديم الأرض الطيبة ، التي انطلقت منها مشاعل النور السماوي الهادي وتدفقت من بين رمالها وجبالها أمواج الفاتحين لتفيض على الدنيا كلها أشعة الضياء والمعرفة ونفحات الخير والمحبة والسلام ، وتظل العالمين أجمعين براية العدالة والمساواة ، أليس من الإجرام الذي لا يعادله إجرام ، أليس من الظلام الذي يتجاوز في بشاعته كل ظلام أن تنقلب الجزيرة — مبعث أمجاد العرب ومركز الإشعاع لأمة القرآن وقاعدة الانطلاق لمواكب الإسلام أشرف الأديان — أن تنقلب اليوم مسرحاً لصراع مسلح بين أحفاد أولئك الأجداد الغر الميامين ، ومقبرة للآلاف من أبناء العرب والمسلمين الذين كان يحتم الواجب المقدس أن يسقطوا شهداء في بطاح الأرض المقدسة ورحاب البيت المبارك الذي كان قبلة للاسراء ، ومثابة للانبياء ومهبطاً لوحي السماء ، ومدرسة لتخريج العظماء ، حتى يغسلوها بدمائهم من العار ، ويعيدوا إلى أحضانها أبناءها الأحرار ، ويطهروا تربتها الملوثة من هذه الخبائث والأقذار ، بالتجميع والنار ؟

أيها المسلمون . . حسبنا تلك العواصف الهوجاء المدمرة التي اجتاحت كيان أمتنا وأدت بالتالي الى ضياع مكاسبنا التاريخية الضخمة من جراء معارك (واقعة الجمل وصفين وكربلاء ، وحرب العباسيين والأمويين والمأمون والأمين والزنج والقرامطة) ومـا الى ذلك من الحروب الداخلية التي مزقت رقعة الدولة الإسلامية ، وكانت لهـا انعكاسات حالكة السواد على آفاق تاريخنا المضيئة ومآس رهيبة مروعة ما زلنا نعاني من آثارها حتى الآن وينوء كاهلنا بمخلفاتها المرهقة .

يا أتباع محمد بن عبدالله . . إننا نناشدكم بأقدس المقدسات أن تتقوا الله في أنفسكم وفي دينكم وفي عروبتكم وفي تاريخكم وتحتكموا الى كتاب الله وسنة رسول الله ، ومنطق المصلحة العربية العليا والأهداف الاسلامية الكبرى ، لعلكم بعد هذا أن تثوبوا الى رشدكم وتستجيبوا الى هاتف دينكم وضمائركم وعقولكم وتنتصروا على أهوائكم وعواطفكم ، وتخمدوا النار المندلعة فتغمدوا السيوف المشرعة ، وتخيبوا آمال القوى الاستعمارية المتربصة ، التي تريدكم دائماً في نزاع مستمر مستعر وجو مكفهر . والله يلهمكم المحبة والوئام ، ويهديكم الى تفيء ظل السلام ويضم شتاتكم في رحاب المودة والتعاون والانسجام من أجل خير العروبة والاسلام .

أكذوبة إبريل إحدى انعكاسات ظلام الغرب

منذ أن غربت شمس الحضارة من آفاق هـذا الشرق لتطلع هناك في آفاق الغرب ، ومنذ أن انحسرت موجات التطور الفكري وبدأت تتراجع كتائب الزحف العلمي في عالمنا الإسلامي لتنطلق في عالم آخر هو العـالم الأوربي ، ومنذ أن انتقل مركز الإشعاع من أرضنا العربية المسلمة إلى مـا وراء البحار حيث الأرض المسيحية ، ونحن نتطلع في شوق ولهفة إلى تلك الدنيا الجديدة التي انتزعت من أيدينا المشعل — مشعل العلم والمدنية — بعد أن حملناه قروناً عديدة نشع ضياءه بين أبناء الإنسانية كرواد وسادة ، وهداة وقادة ، وقد أخـذ تطلعنا الى تلك الأمـة المتوثبة الناهضة يتخطى الجوهر الى المظهر ويتجاوز اللباب الى القشور ، ويترك النور الى الديجور ، ويدع الجد الى الهزل ، حتى أصبح لوناً من المحاكاة البلهاء والتقليد الشكلي البليد الذي يبهره جمال الإطار ولا يقيم وزناً للصورة التي انما خلق الاطار من أجلهـــا ، وهكذا تمكن في مجتمعنا الشرقي هذا المرض — مرض الافتتان بحياة الغرب بما فيها من جوانب مظلمة وزوايا قاتمة ، فغدونا نعتبر كل ما يأتي من قِبَلِهِ شيئاً جميلاً مقبولاً فنحبذه ونمجده ونتقبله بقبول حسن ولو كان منكراً شنيعاً تأباه مقدساتنا الإسلامية ، أو انحرافاً خلقياً تمجه تقاليدنا العربية ، وكما لو كان ذلك الخلق الغريب الوافـد أمراً مقضياً لا يحتمل الجدل والمناقشة ، أو وحياً سماوياً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،

والأعجب من العجب نفسه .. أننـا سباقون الى تقليد شعوب الغرب في مخازيهم ورذائلهم وسيئاتهم . ومتقاعسون عن مجاراتهم في إبداعاتهم وفضائلهم وانتفاضاتهم ، لأن السير وراءهم في القسم الأول سهل وميسور لا يكلفنا إلا ان نتخـذ من بلادنا أسواقاً لبضائعهم ، وإلا أن نشهد أفلامهم ونمتزج بهم في حياتهم اليومية وأوساطهم الاجتماعية ومواطن صخبهم ومجونهم لنتأثر بأخلاقهم ونقتبس من تقاليدهم وعاداتهم ما يسحرنا بسرابه الخـادع وبريقه اللامـع ، أما ترسم خطاهم في مضمار النبوغ العلمي والتطور الفكري والحضاري والازدهـار الاقتصادي والعمراني فهذا مـا لا نسارع اليه ، ولا نتهافت عليه ، لأنـه ليس من البهارج التي تسحر ولا من الشهوات التي تأسر ولا من المناظر الجمالية التي تبهر ، بل هو مجهود عقلي جبار ودراسات متعمقة واعية طويلة الأمد وخبرات وأموال وتخطيطات دقيقة بعيدة المدى ، وكل هذه تقتضي أمـة جادة حازمة تحس بوجودها وتثق بنفسها وتؤمن بماضيها وتشعر بشخصيتها ، وتعتز بتقاليدها ومقدساتها ، ولا تكون إمّعة مهزوزة الكيان تجرفها التيارات وتبهرها الألوان والأصباغ ، ليس لها إرادة تحدد خط سيرها وتحفظ توازنها حتى لا تكون كالظل يتبع صاحبه أينما اتجه أو آلة الهواء تتلاعب بها الرياح في كل اتجاه .

وأكذوبة إبريل نموذج من نمـاذج تقليدنا الأعمى للغربيين ، فمعظم الناس – ولا سيما الأوساط الراقية وأفراد الطبقـة المثقفة – يتعمدون اختلاق الأكاذيب المثيرة في اليوم الأول من شهر إبريل ، كأنما هي شعيرة مقدسة يجب أن تحيى ، ومأثرة تاريخية مجيدة يجب أن تخلد ، ويتفنن القوم في اختراع حوادث رهيبة وقصص عجيبة ينشرونها في الناس على أوسع نطاق متصنعين الجد حتى تنطلي على أكبر عدد من عبـاد الله الطيبين الذين يسمعون فيصدقون وتهوّلهم تلك الأنباء الفاجعة فيأسفون

ويتألمون ، أو تخدعهم تلك الروايات المختلقة في شكل إعلانات عن حفلات أو مباريات أو مسرحيات فيصدقون ويذهبون ، لا لشيء إلا ليضحك (مسيلمة) ملء شدقيه على ذقون هؤلاء السذج المساكين ، ويهتز طرباً لبراعته المدهشة في اصطناع الافتراءات ، واختراع الأحداث . وما أكثر المسيلمات الذين يظهرون في غرة إبريل ليسهموا في شرف القيام بهذه الرسالة السامية ، وإحياء هذه السنّة المباركة في شريعة استاذهم الأول (مسيلمة) وعرف سادتهم الغربيين الذين جعلوا من هذه الرذيلة التي تستنكرها جميع الأديان وتلعن مروّجيها والملوثين بأوحالها فضيلة مأثورة يمارسونها في غير تأثم ولا حرج ، بل يتخذون منها مصدر اساءة وازعاج ومبعث هزء وسخرية ، وكان يجب أن تعلمهم مدنيتهم أن الإنسان المتمدين هو الذي يحترم مشاعر الناس ولا يسمح لنفسه بالضحك عليهم وإهدار كرامتهم ، وإلحاق الضرر بهم سواء كان جاداً أم مازحاً ، أما استدراج مئات الناس إلى الملاعب الرياضية لمشاهدة مباراة مزعومة ، فليس ذلك من المدنية الفاضلة في شيء وإنما هو لون من ألوان الهمجية الغربية وضرب من الاستهتار الأخلاقي الذي ليس له في قواميس العروبة ودساتير الإسلام أي مكان ، ولقد سمعنا عن مآسي أليمة تمخضت عنها أكاذيب إبريل مما يجعلنا نهيب بهذا المجتمع المسلم أن يحارب هذه الظاهرة الاخلاقية البشعة التي هي إحدى الانعكاسات المظلمة للحياة الاجتماعية المنحرفة في العالم الغربي . إن علينا أنّ نقتل في المهد جميع الشائعات المثيرة التي تنطلق في اليوم الأول من إبريل ، ولا نقيم للاخبار المفاجئة أي وزن بتلقفها وسرعة إذاعتها حتى تموت بعد ولادتها بلحظات ، ولا تجد البيئة

الصالحة لتشيع وتنتشر ، إن ديننـــا الاسلامي الحنيف يشكل في مجمـــوع تعاليمه ومبادئه حرباً لا هوادة فيهـا على الرذائل والمـآثم والموبقات ، لأنها تعني القذارة الخلقية ، والاسلام نظيف ، ولأنهـا تعني الظلام ، والإسلام مشرق النور ، ولأنها تعني الانحراف ، ومنهج الاسلام مستقيم لا اعوجـــاج فيه ، ولأنها تعني الهبـــوط النفسي والاجتماعي ، وكل ما في الإسلام يدعو إلى السمو والرفعة ، ويدفـع الى التحليق والصعود .

إلى الأغنياء وأرباب اليسار

إن على الأغنياء وأرباب اليسار أن يستجيبوا لداعي السماء الذي يهتف بهم هتافاً متواصلاً ﴿ وَأَقيموا الصّلاة وآتوا الزّكاة ﴾ ، ويزداد هذا الهتاف عمقاً وحرارة عندما يحل موسم الزكاة حيث تتجلى سماحة الإسلام في أسمى معانيها، ويتبلور في الأذهان مبدأ التكافل الاجتماعي، وتنعكس آثاره في المحيط الخارجي يسراً يقضي على عسر الفقراء ، وفرجاً يُخرج المساكين من حالة الضيق ويبدلهم بشدتهم رخاء ، ويحيل شقاءهم إلى هناء وسعادة، ويتحسس بأنامله القلوب فيزيل سخطها ونقمتها ويطهر ما تراكم فيها من رصيد الأحقاد ورواسب البغضاء ، نتيجة لما يشعر به البؤساء من ظروف الحرمان وساعات الكرب والمسغبة تبرماً بوضعهم الحزين واستياء من أصحاب المال ، وليس عجباً أن يحدث هذا ، فالنفس البشرية إذا استفاضت بالمرارة واكتنفتها ألوان قاتمة من الألم والضيق بسبب ما تعانيه من بؤس الحياة ، تفجر في داخلها إحساس بالنقمة على أولئك الذين في مقدورهم أن يحوّلوا ظلامها إلى إشراق ، وأشواكها إلى ورد ، ولفحات الفقر التي تعصف بها إلى نسمات باردة منعشة تنبعث من رياض الرحمة والإحسان .

وما كان الفقراء لينحدروا إلى هذا الدرك من التعاسة والشقاء في أي مجتمع إسلامي ، وما كانوا ليشعروا بنقمة على أحد أو يضمروا

سوءاً ضد أي إنسان إذا كان جميع القادرين على الزكاة في بلاد الإسلام يؤتون عباد الله من مال الله الذي آتاهم ، ولا يحجبون عنهم شيئـاً من هذا الحق الذي فرضته تعاليم دستورهم ، وإذا كان المال المستحق يوزع على ذوي الحاجة بشكل منظم دقيق تتوخى فيه العدالة جهد المستطاع ، وتنقل الأموال الفائضة من البلد الذي يقل فيه عدد الفقراء إلى من هم أكثر احتياجاً من البلدان الأخرى ، إذ أن بلاد الاسلام وإن فصلت فيما بينها مسافات شاسعة وأبعاد سحيقة فإنها تعتبر قطراً واحـداً متماسك الأجزاء متشابك المصالح ، تجمع بين أبنائه آمال واحدة وآلام مشتركة ، وإن تعددت الألوان والألسنة واختلفت القوانين والأنظمة .

ولقد شرعت الزكاة لتعميق الروابط بين أعضاء الأسرة الإسلامية في نطاق المجتمعات الخاصة وعلى مستوى العـالم الاسلامي كله ، وترسيخ جذور المحبة في جميع القلوب المؤمنة برسالة محمد ﷺ ، واستئصال السخائم والضغائن من الصدور ، كما تهدف فلسفة تشريع الزكاة من وراء ذلك كله إلى تثبيت دعائم الأمن والنظام ، وإلى أن تسود راية السلام جميع بلاد الاسلام .

وإذا كانت الزكاة قد شرعت للوصول إلى كل هذه الأغراض السامية من رحمة ومساواة ، وإخاء ومحبة ، وعدالة اجتماعية ، وترابط وتعاون ، وأمن وسلام ، فإنه لزام على كل مسلم مالك للنصاب ألاّ يتقاعس عن أداء هذا الحق الذي هو من أوجب فروض الاسلام ، بل إنه أحـــد الأسس والقواعد التي قام عليها بنيان الاسلام ، لأن استجابته لداعي الله بتطهير ماله بالزكاة طهارة لنفسه وتنمية لثروته ونوراً ينبثق في قلبه وبركة تشيع في أهله ، وخيراً تتدفق ينابيعه بين يديه ، وفضلاً عـــن كون ذلك محاربة للفقر (أعدى أعداء الانسانية) وإدخـالاً للبهجة على القلوب الحزينة ، وحفظاً لكرامة أخيه المسلم ، وهي أغلى الكنوز التي

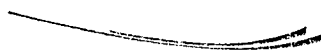
يعتز بها ، وصيانة لأواصر مجتمعه من الانحلال والتمزق وانتشار السرقة والإجرام والنصب والاحتيال بين أفراده .

والإسلام إذ يناشد الأغنياء أن يلتزموا السير على هدى الله بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة يهيب بالآخرين الذين يتقدمون لتلقي الصدقات أن يكونوا من المستحقين للزكاة ، الذين لا مورد لهم ولا عائل لهم يتكفل بأرزاقهم ، ويقوم بتوفير ضروراتهم . فإن من يمد يده لأخذ أموال الزكاة وهو غير مضطر لذلك ولا يمكن أن يعتبر في عداد المحتاجين ، يعد متجرداً من فضيلة التعفف والشعور بالكرامة ، موبوء النفس بالشح ورذيلة الطمع ، ناقص الايمان ميت الضمير ، لا همة له ، لأن النبي ﷺ يقول : « علوّ الهمة من الايمان » ويقول عليه الصلاة والسلام : « اليد العليا خير من اليد السفلى » .

هذه تبصرة وذكرى نوجهها لأولئك الذين يتهافتون على الصدقات ويسدون الأبواب في وجوه المساكين وهم غير مساكين . إنهم يأكلون حقوق غيرهم ويتجنون بطمعهم وصغر أنفسهم على سواهم ممن هم أحق بمال الله .

أيها الاغنياء .. أجيبوا داعي الله ، وحاسبوا أنفسكم على كل صغيرة وكبيرة مما تملكون من البضائع والأموال السائلة والديون المرجوة الخلاص ، وادفعوا ما يجب فيها من زكاة لعباد الله ، وإن لم تفعلوا فانكم ستقعون تحت طائلة هذا الوعيد الشديد : ﴿ وَالذينَ يَكنِزونَ الذّهبَ وَالفضةَ وَلا ينفقونها في سَبيلِ اللهِ فبشّرْهمْ بِعذابٍ أليم ، يَومَ يُحمى عَليها في نارِ جَهنم ، فتُكوى بِها جِباهُهمْ وَجُنوبُهمْ وَظهورُهمْ ، هذا ما كَنَزتُم لِأنفسِكم فذوقوا ما كنتم تَكنِزون ﴾ . ثم استمعوا الى هذا

الهاتف القرآني الذي يجمع بين البشير والنذير : ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ، إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ، فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى ، لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ، وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ، وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴾ .



سبيل المؤمنين

إن سبيل المؤمنين هو ذلكم الذي رسمه الكتاب المبين في قول الله رب العالمين : ﴿ إنَّ الإنسانَ خُلِقَ هَلوعاً ، إذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزوعاً ، وإذا مَسَّهُ الخيرُ مَنوعاً ، إلاّ المُصلّينَ الذينَ هُمْ على صَلاتِهِمْ دائِمونَ ، والذينَ في أموالِهِم حَقٌّ مَعلوم لِلسائِلِ والمحرومْ ، والذينَ يصَدِّقونَ بِيَومِ الدينِ ، والذينَ هُم مِن عَذابِ رَبِّهِمْ مُشفِقونَ ، والذينَ هُم لِفُروجِهِمْ حافظونَ ، إلاّ على أزواجِهِمْ أو مَا مَلَكَتْ أيْمانُهُم فَإنَّهُمْ غَيرُ مَلومينَ ، فمَنِ ابتَغَى وَراءَ ذلِكَ فأولئك هُمُ العادونَ ، والذينَ هُمْ لِأماناتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ راعون ، والذينَ هُمْ بِشَهاداتِهِمْ قائِمونَ ، والذينَ هُمْ على صَلاتِهِمْ يُحافِظونَ ، أولئِكَ في جَنّاتٍ مُكرَمونَ ﴾ .

هذه هي الخطوط العريضة لسبيل المؤمنين . . إقامة الصلاة في إخلاص وخشوع ، وفي الصلاة عصمة من الفحشاء والمنكر ، وصلة دائمة بمنابع الإشراق الإلهي ، وتتويج للانسان بشرف العبودية ، وطبع للنفس على الفضائل والقيم العليا ، وانتزاعها من أوهام دنياها وظلمات هواها ، ورياضة للعقل على تقبل نفحات الخير وإشعاعات الهداية ، وتعويد للجسم على النظام والحركة الدائبة ، وإفعامه بطاقات متجددة من النشاط والحيوية والرغبة في العمل لتحقيق المزيد من المكاسب الروحية والمادية : ﴿ إنَّ الصلاةَ تَنهى عن الفَحْشاءِ والمنكَرِ ﴾ وهي الشعار للمؤمن تسمو به إلى الآفاق الرفيعة من مجال النور إذا كان سجود

القلب يسبق سجود الجباه ، وانطلاق الأرواح في رحاب الله يسبق حركات الأطراف واهتزاز الأجسام ، وما لم تخشع المملكة الباطنية أثناء الصلاة في حضرة المعبود ، يدعوه القلب ويناجيه .. ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ فإن الصلاة لن تكون في صورتها المتكاملة المشرقة التي يريدها الإسلام لأتباع الاسلام ، وهي بهذا الجانب السطحي الظاهري بعيدة كل البعد عن صلاة المؤمنين التوّابين الأوّابين ، ثم تصديق بيوم الدين الذي يجعل المسلم بين الرغبة في المثوبة والرهبة من العقوبة ، ويقف سياجاً بينه وبين عالم الخطايا ، ودنيا الوحل والظلام ، إنّ التصديق بيوم الدين يعمق في النفس الشعور بالوازع والرادع ، ويزيد رصيدها من خشية الله ، ويقوي فيها عوامل الخوف من نقمته وعذابه ، إذ أن اقفار النفس من الإيمان بالجزاء في اليوم الآخر مما يدفع المرء الى الانطلاق في دنياه طبقاً لشهوته وهواه ، بلا حواجز ولا حدود ولا ضوابط ولا قيود ، الأمر الذي يخل بتوازن العالم ويجعل الحياة فوضى لا سلطان يطاع إلا سلطان الشهوة ، ولا صوت يسمع إلا صوت الهوى ، ولا مثل ولا قيم ولا مبادىء تحكم وتسود ، إلا رغبات الجسد ودوافع المادة ، وذلك هو شعار الدهريين الملحدين : إن هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع ، وما يهلكنا الا الدهر . إن هذا الفريق الذي لا يصدق بيوم الدين يعيش كما تعيش الدواب الصم البكم ، لا يرهب عقاباً ولا يرغب ثواباً ، الحياة في نظره فرصة للمتع والملذات ، والدنيا في اعتباره مسرح للهو والمجون والعبث والفتون ، ومعاذ الله أن تكون الدار الأولى هكذا كما يزعمون : رواية هزلية سخيفة تستهدف إشباع الغرائز ، واستجابة لمطالب الحيوان في الانسان ، ولهذا كان التصديق بيوم الدين شرطاً في ايمان المؤمنين ، فاذا انعدم انعدم الايمان ، واذا انعدم الايمان تلاشت انسانية الانسان ، وأصبح يأكل ويتمتع كما تأكل الانعام . وقوله جل شأنه : ﴿ والذين هم مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ، إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ

غَيْرُ مَأمونٍ ﴾ يبين أن الاشفاق من العذاب لا يحل إلا في قلب ملأ الايمان آفاقه ، وطالما وجد الايمان كان قوة ضابطة لسلوك الإنسان تدفعه الى الخير وتهديه الى النور ، وتفجر في نفسه المحبة ـ محبة الله ومحبة الخير للناس جميعاً ـ وقد جاء في معرض المدح للمؤمنين في موطن آخر من الكتاب المبين ، قوله تعالى وهو أصدق القائلين : ﴿ يَرْجونَ رَحْمَتَهُ وَيخافونَ عَذَابَهُ ﴾ رجاء لا يقعدهم عن الطاعة ولا يحملهم على الفتور والاتكالية ، لأن ذلك ضرب من الطمع ، والطمع رذيلة ، ولا مكان للرذائل في عالمهم الطاهر المضيء ، وخوفٌ لا يسلبهم الثقة بالله ، ولا يبعث اليأس في قلوبهم لأنه خوف إجلال وتعظيم ، أما الخوف بمعناه المفهوم فقد ماتت فيهم عوامله وأسبابه ، إذ ان من خصائص المؤمنين الذين تبؤوا مرتبة الكمال في الايمان ، انهم يعبدون الله لا رغبة في ثواب ولا رهبة من عقاب وإنما لأنه المستحق للعبادة دون سواه ، إنهم يعبدونه تقديساً لجمال ذاته ، وإكباراً لروائع آياته وابداعاته . ﴿ وَالذينَ هُمْ لِفُروجِهِمْ حافِظونَ إلاّ عَلى أَزْواجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أيْمانُهُمْ فَإنَّهُمْ غَيْرُ مَلومينَ فَمَنِ ابْتَغى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأولَئِكَ هُمُ العَادونَ ﴾ . من مزايا المؤمنين أنهم يتجملون بالطهر والعفة فلا يخوضون مستنقعات الرذيلة ولا ينحدرون الى المناطق الموحلة لأن سلطان الايمان فيهم أقوى من سلطان الشهوة ، وتأثير السماء في نفوسهم أعمق من تأثير الإغراء ، أما على أزواجهم فلا لوم ولا عتاب ، فهم مفطورون على ذلك بحكم بشريتهم ، والرضوخ لقانون الطبيعة مشروع في غير الممنوع ، أما تجاوز الحلال الى مزالق الضلال فذلك عدوان على الفضيلة واستهتار بالقيم النبيلة ، وتعدٍّ لحدود الله لا يرضاه الله .

وتمضي الآيات في عرض خصائص الكاملين من أهل الايمان ! : .
﴿ وَالذينَ هُم لِأماناتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعون ﴾ إن الأمانة خلق الأنبياء ،

واذا فقدت الأمانة انعدمت الثقة ، وإذا انعدمت الثقة اضطربت موازين المجتمع ، واختل نظام التعامل بين الناس ، ومعنى فقدان الامانة تعطل محكمة الضمير ، وانسلاخ الناس عن الدين ، وضعف اثره في النفوس . والأمانة بمفهومها العام لا تعني الحفاظ على أموال الآخرين وودائعهم فحسب ، بل هي أشمل من ذلك بكثير ، فمن مدلولاتها صيانة الجوارح من التردي في حمأة الرذيلة ، والانحدار الى حضيض الدنايا ، واحترام أعراض الناس تعففاً ونزاهة ، وعدم التطلع الى عورات الجيران والمحافظة على حرماتهم ، وكذلك الأسرار أمانة ، لا يذيعها الا ضعيف الشخصية والخلق والدين ، ولكم صنع هؤلاء الذين يحملون أمانة السر وهم ليسوا اهلا لها من المآسي الرهيبة الدامية بتسرعهم ونزقهم ، مما أشعل نيران الفتن وهزّ أركان الممالك وعصف بحياة المئات والآلاف . ان الاستهتار بالأمانة وعدم الوفاء بالعهد خيانة وغدر وفجور ونكر ، وهذه كلها لا تصدر عن المؤمن الحق لأنها تتنافى مع كمال الايمان اذ لا يجتمع الظلام والنور ، وهي من أقبح ما اقترف البشر من ألوان الخسة والقذارة ، لذلك اعتبر نبي الإسلام الخيانة من خصال المنافقين ، ونقض العهود من أخلاق اليهود .

فمن أحب أن يكون من هؤلاء او أولئك فليهبط بنفسه الى هذا الدرك ، وليسر في هذا الطريق المظلم الذي ينتهي به في الدنيا الى الاذلال والاحتقار ، ثم يكون جزاؤه في الآخرة نقمة الجبار وعذاب النار .

وقوله عز وجل : ﴿ وَالذينَ هُمْ بِشَهاداتِهِمْ قائِمونَ ، وَالذينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ يُحافِظونَ أُولئِكَ في جَنّاتٍ مُكرَمونَ ﴾ استمرار في تمجيد المؤمنين واستعراض صفات الكمال التي يتحلون بها ، أي أن من مزايا هؤلاء أنهم يقيمون الشهادة ويؤدونها على خير وجه ، ولا يحابون قريباً لقرابته ولا صديقاً لصداقته صيانة للحقوق من الضياع ، وأنهم يؤدون الصلاة في اوقاتها ويحافظون على أركانها وشروطها وسننها وآدابها ، أولئك الموصوفون بما تقدم في جنات ونعيم وهم مكرمون في جوار الله .

الفصل الثاني

الإسلام يكرّم المرأة ويبارك مسيرة العلم والحضارة

محتويات الفصل :

١ — قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة .
٢ — الدعوة إلى الله في آفاقها الواسعة .
٣ — قوام المدنية الفاضلة .
٤ — دعوها في عالمها السحري لا تخرجوها منه .
٥ — وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت .
٦ — نحن لسنا أعداء التطور .
٧ — الإسلام براء مما يرجفون .
٨ — مفاهيم مغلوطة عن الإسلام .
٩ — منهج الدعوة إلى الله .
١٠ — الكلمة وحدها لا تثير الإصلاح المنشود .
١١ — إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .
١٢ — الأسرة الصالحة أساس المجتمع الصالح .

قُل هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ

لقد أوحى الله إلى نبيه أن يكون المبدأ الذي يجب أن يعتنقه في تبليغ رسالته ، ويتخذه شرعة ومنهاجاً يسير على هديه هو أن يدعو إلى الله رباً واحداً ، ويبشّر بكتابه دستوراً رائداً ، ويجأر بالحق ممسياً ومصبحاً ، قائماً وقاعداً ، وهو على يقين بأن ما ينادي بـه تنزيل من الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

لقد أمره عز وجل أن يحـــارب الشرك بجميع صوره وأشكاله ، ويسخّر جميع طاقاته في سبيل نشر تعاليم الإسلام وتحرير المجتمع من الظلم والظلام ، وتطهير البيئة الإنسانية من رواسب الجاهلية ، والقضاء على ما يسود العالم إذ ذاك من نزعات الشر ومظاهر الفساد ، والنفاذ إلى أعمـاق النفس البشرية بزرع بذور الخـــير والفضيلة ، واستئصال الخبائث ما ظهر منها وما بطن .

ونحن أتباع محمد اليوم مأمورون بانتهاج هذه السبيل التي رسمها الله جل شأنه لنبيّه لأننا ورثة دينه وخلفاؤه في حمـــل مشاعل الرسالة وإشاعة نورها في الأرض ، مجنّدين من أجل تحقيق هـذا الغرض كل ما يتهيأ لنا من جهود وطاقات . إن علينا أن نحارب هذا الغزو الغربي الشامل المتمثّل في (الموضات) والتقـاليد المستحدثة الحـاملة لشعارات

المدنية ، ونقف في وجهه بكل سلاح نملكه لأنه يستهدف إضعاف كياننا الأخلاقي ، وزعزعة إيماننا بقيمنا الرفيعة ووراثاتنا النبيلة ، ويعمل بمختلف الأساليب على تحطيم جميع السدود والحدود ، التي تحتمي في داخلها الفضيلة ليتيح للرذيلة أن تنتصر وتتغلب ، وتكتسح آخر معاقل الشرف والتصوّن ، تحت راية التحرر وباسم التقدّمية والتطور ، ومـــا هو في الواقع إلا تفسّخ وانحلالية وتهوّر ، وتمهيد لهدم كل قواعد الحفـاظ والعفـّة لتسود الفوضى والإباحية ويصبح كل إناء مفتوحاً للوالغين من لصوص الأعراض وذئاب الفضيلة .

إنه ليس من المدنية ولا من شروط التقدّم أن ينتشر العري على هذه الصورة البشعة الفاضحة ، وإنه ليس من مقوّمات النهضة وبناء المجتمع أن نتهافت على كل ما تبتكره العقول المريضة في الغرب ونعمد إلى اقتباسه في مبالغة زائدة من غير تبصّر ورويّة ، ودون وعي أو تفكير فيما يتسبّب عنه من نتائج مريرة ومضاعفات خطيرة . إن ذلك هو منتهى الذوبان ومنتهى التلاشي لشخصيتنا الوطنية ، كما انه في الوقت ذاتـه أبشع تجن على مقدساتنا الإسلامية وأفظع إساءة لتقاليدنا العربية .



الدَّعوة إلى الله في آفاقها الواسعة

إن الدعوة إلى الله في إطارها الأشمل وبمفهومها الأعم ، وفي غاياتها البعيدة المدى لا تقتصر على ما يتبادر من ظاهر الآية الكريمة : ﴿ قُلْ هذهِ سَبيلي أَدْعُو إلى اللهِ عَلَى بَصيرَةٍ ﴾ من محاربة الأوثان وهداية العقول إلى أسمى ضروب الإيمان وهو إفراد الله عز وجل بالألوهية ، والكفر بأي شكل من أشكال الربوبيات الأخرى التي يدين لها الضالون بالعبادة والتقديس ، بل إن الدعوة إلى الله تتجاوز هذا النطاق لتطرق كل باب من أبواب الخير ، وتسلك كل سبيل من سبل الإصلاح ، وتهاجم كل عنصر من عناصر الفساد ، وتشهر السلاح على أية قوة من قوى الشر والرذيلة ، تحاول أن تكتسح مجتمعنا الاسلامي لتشككه في ما يؤمن به من مبادىء ومقدسات ، وتوهمه بأن ما يتمسّك به من قيم وفضائل هو في الواقع عقبات ومعوّقات ، وأن عليه إذا أراد أن يواكب العصر في انطلاقه ويساير العلم في إشراقه ، أن يتحرر من أوهام الماضي وخرافاته ويلقي بها خلف ظهره غير حافل بالأصوات التي ترتفع محتجّة مستنكرة . هذا هو الأسلوب الذي يتّبعه أدعياء المدنية ، الثورة على كل قديم ولو كان من عند الله ومن تعاليم شريعته ، والتصفيق لكل جديد وافد من الغرب وإن كان يحمل معه ريحاً صرصراً عاتية ، تستهدف هدم العقائد والأخلاق ونشر الظلام

في جميع الآفاق . المهم في نظر هؤلاء أن تحطّم جميع القيود والحدود، فلا يكون هناك شيء محرّم، ويطلق للغرائز العنان فتسير في تيار الأهواء وتنقع في كل إناء ولا تمنع من شيء في الأرض ولا في السماء .

ومنهج الدعوة إلى الله يحتّم على كل مسلم يملك الكلمة ألا يتعصب لكل قديم، وألا يتحامل على كل جديد، وإنما يعمد إلى مقاييس العقل ومعايير الإسلام الحق، فما أقرّته وباركته نادى به ودعا إليه، وما لفظته وأنكرته مجّه وأعلن الحرب عليه، منتهجاً في ذلك سبيل الحكمة والموعظة الحسنة، مستعيناً بوسائل الإقناع التي تعتمد على المنطق الواضح والحجّة البالغة، فلا ريب أن هناك من القديم ما يجب أن يتلاشى ويقبر، لأنه من ابتداعات المجتمعات الجاهلة ورواسب العصور الآفلة، كما أن هناك من الجديد الشيء الكثير الذي يجب أن يقاوم بكل سلاح لأنه خطر يهدد الإنسان المسلم في نفسه وفي المجتمع الذي ينتمي إليه، وأوضح مثل نضربه لهذا الجديد المنذر بالشر هو ما أشرنا إليه في حديث سبق بصورة عابرة، وأردنا في هذا الحديث أن نتناوله بإيضاح أكثر وتحليل أعمق وأشمل، وهو ما نراه من تهافت المرأة المسلمة على تقليد المرأة الغربية في زيّها ومظهرها، ضاربة عُرْض الحائط بما أوجبه عليها الدين وما ألزمتها به التقاليد النبيلة الموروثة من الحفاظ والتصوّن والتجمل بالشّرف والعفّة، الأمر الذي يدل على تزعزع إيمانها بهذه المقدّسات، وعلى خفوت صوت الفضيلة في أعماقها حتى أنها أقدمت في غير مبالاة على اقتباس (موضة الملابس القصيرة) بشكلها الفاضح متجاهلة أنها بانسياقها وراء هذا التيار الغربي المدّمر، ترتكب أبشع جناية على دينها، وتنسف بيدها أسمى مقوّمات شخصيتها، وتعرض نفسها على مسرح المجتمع هدفاً لأنظار الجميع كأي سلعة رخيصة مبتذلة، فماذا تريد بهذا التهتّك الفاجر وهذا الاستعراض السافر لما خفي من مواطن الفتنة في جسمها ؟ .. ماذا تريد من وراء إظهارها لما يجب أن يكون

مستوراً ؟ لا شيء إلا إثارة النزوات وتهييج الغرائز وحمل المتفرّجين على تصيّد الفاحشة وخوض مستنقعاتها في أي مكان وبأية وسيلة لإشباع الثعبان المتمرّد وإطفاء النار المشتعلة .

وطبيعي أن تتعرض هي نفسها لهذه السياط ، تلهبها وتعذّبها نتيجة لعملية العرض التي لا بد أن تكتوي بجحيمها كما تكوي الآخرين ، إذ أن التأثر والتأثير صنوان متلازمان .

قولوا بربّكم أي جانب من جوانب البناء الحضاري أو الفكري يتوقّف على بروز المرأة في الطرقات شبه عارية ؟.. أي منطق معكوس يزعم بأن لهذا الاستهتار الشنيع دوراً في إقامة هذا البناء ؟ . . أية مدنية هذه التي ترهق الأعصاب بمشاهد العري ومفاتن الأنوثة الباطنة ، وتسبّب العذاب لآلاف المارة من الكهول والشباب ، لأنهم لا يتحكمون في طبيعة بشريتهم ، ولا يستطيعون كبح نوازع آدميتهم عندما تلامس أسلاكها نبضات الكهرباء المنبعثة من الجنس الآخر ، ويعلم الله أن هذا ليس تجنّياً على الدين والأخلاق ، ولا يعني إقفار النفوس من الإحساس بقدسية الشرف والتصوّن والعفّة ، ليس هو ذلك فحسب بل إنه عودة إلى حياة الإنسان في أطوارها الأولى حيث لم تكن هناك شرائع تهذّب الغرائز ولا مفاهيم أخلاقية تحول دون الإغراق في الإباحية والفوضى .

وإذا كان الإسلام يحرم على المرأة أن تكشف شيئاً من جسمها ما عدا وجهها وكفّيها ، لإدراكه ما يكمن وراء ذلك من خطر ساحق على الأعراض ، فما بالك بها اليوم وقد أزاحت الستار عن كل شيء وبدا المخفي منها ظاهراً والمنتقب من محاسنها مكشوفا سافراً .

اللهم إن هذ لمنكر يبرأ منه الإسلام ، واستهتار بالمقدّسات لم يهبط إليه حتى أحط الأقوام في عهود الظلام .

قوام المدنية الفاضلة

يشهد الله أننا لسنا من دعاة التحجّر والنكوص إلى الوراء ، وأننا حين ننادي بحماية المرأة من التبذّل والإنحلالية وإبقائها ضمن إطار الفضيلة مصونة طاهرة ، وأن اقتحامها كل واد وناد ليس أمراً حتميا لتحقيق النهضة ، إنما نريد الحفاظ على كيان الأمة الأخلاقي ، والحيلولة دون تفسّخ شخصيتها وتلاشي تقاليدها النبيلة ومقدّساتها في غمار الدعوة إلى التجديد والانطلاق في ركب الحياة العصرية الصاعدة ، الذي يجب أن تسهم فيه المرأة إلى جانب الرجل إسهاما مباشراً ، وإلاّ لا يمكن للقافلة أن تتقدّم وتصل إلى أهدافها . هكذا يقولون ، وهو كلام مغلّف من ظاهره بأوراق الورد ولكنه في باطنه لا يترجم عن الحقيقة ، وينطوي في الوقت ذاته على شر مستطير يهدّد ما أبقى عليه الدهر من بنياننا الديني والأخلاقي . ونحن إذا رجعنا إلى الواقع التاريخي في عصور مختلفة ومواطن متعدّدة نجد أن كثيراً من الأمم قد شيّدت نهضات زاهرة وأبدعت حضارات خالدة ، ولم يكن للمرأة دور ملحوظ في المحيط الخارجي ، وإسهام واضح المعالم في عملية البناء خلال مراحله التنفيذية ، وإن كانت هي الحقيقة وراء ذلك كله باعتبارها صانعة البنّائين الذين قاموا بتلك الأعمال الجليلة . إنها وإن لم تكن ظهرت على المسرح تحمل الصخور لتشييد المباني، وتقيم السدود والقناطر والمصانع

والمساجد ودور العلم ، إلا أنها هي التي أمدّت تلك السواعد الفتية وهيأتها لتمثيل دورها بكل نجاح وكفاية في رواية العمران والحضارة .

وماذا يقولون عن النهضة الكبرى التي شهدتها بغداد خاصة وجميع أرجاء الخلافة العباسية عامة في عصور الإسلام الذهبية الزاهرة ؟ ألم تشمل جميع ميادين الحياة ؟.. ألم تصل إلى درجة من التطور والازدهار تعتبر قمة النجاح بالنسبة لإمكانيات الإنسان في ذلك العهد ؟ فقد كانت نهضة علمية واقتصادية واجتماعية وعمرانية بلغت أرفع المستويات ، وما تزال حتى الآن نافذة كبرى للاشعاع الفكري والحضاري ومجالاً رحيباً للدراسات والابحاث بغية تحديد أبعادها واستطلاع آفاقها وتصوير مدى إشراقها . ماذا يقولون عن هذه النهضة ؟. ألم تبدعها العقول الإسلامية بأسرع مما يتصوّره عقل الإنسان ، ومع ذلك فإنه ليس للمرأة أثر في هذا المجهود الحضاري الجبار بالنسبة للمحيط الخارجي ، كما سبق أن أشرنا إلى ذلك منذ قليل ؟ إن أحداً من المؤرخين لم يذكر أن المرأة في عهد الرشيد والمأمون كانت تشترك اشتراكاً فعلياً في إقامة الجسور وحفر القنوات واستصلاح الأراضي وغيرها من الأعمال البدنية الشاقة ، ولكن ليس من شك في أن إسهامها كان عظيماً ورائعاً في تحقيق سعادة الأسرة وتنشئة أبنائها تنشئة صالحة وإعدادهم ليكونوا أبطالاً في ميادين الحرب أو أساطين في مجالات المعارف والعلوم ومهندسين مهرة في تشييد مختلف مظاهر العمران .

إننا على يقين بأن للمرأة دوراً كبيراً في بناء المجتمعات الصالحة ووضع قواعد النهضات وتشييد صروح الحضارات ، ولكن ليس بحتميّ أن تؤدّي هذا الدور بصورة مباشرة، وبطريقة تجعل من الضروري امتزاجها بالرجل على مسرح العمل وفي محيط واحد دون أي فواصل أو حدود أو ضمانات أو قيود تحميها من التبذّل والإنحلال وخوض غمار المستنقعات

والأوحال نتيجة للتلاصق والاحتكاك الذي يتولد عنه اشتعال النار وشدّة هبوب الإعصار ، إعصار الغرائز النهمة المتعطشة التي كل همّها أن تحقق الإشباع ولا تبالي أن ترد أي نبع لترتوي منه ، غير حافلة بحرمة الحرمات وقدسية القدسيات .

قلنا : إن إسهام المرأة في عملية بناء الأمم لا يأتي من هذا السبيل الشائك الخطر ، الذي قد يساعد فعلاً على إقامة البناء المنشود لحضارة هذه الأمة أو تلك ، ولكنه يؤسس ويشاد على أنقاض بناء آخر يتداعى وينهار هو بناء الأخلاق والقيم والفضائل ، ولا خير في أي بناء يقام فوق أطلال البناء المعنوي والكيان الروحي للأمة ، لأنه سر الحياة الكاملة وقوام كل مدنية فاضلة ، وإنما يكون دور المرأة في انجاح مسيرة النهضة والعمل على تكامل شخصية الأمة بحسن قوامتها على إدارة مملكتها الداخلية ، وتهيئة أسباب الدّعة والطمأنينة والسعادة لزوجها لكي تنمو قدراته الذهنية والبدنية ، وتتزايد طاقاته الإنتاجية وترتفع نسبة إسهامه في تحقيق المنجزات الوطنية ، وتأتي مشاركتها الفعالة بالإضافة إلى ذلك عن طريق تمثيل دور الأمومة على أرفع المستويات حتى يتخرج من مدرستها الخاصة عناصر قوية واثقة بنفسها مؤمنة برسالتها في الحياة مزوّدة بكفايات قادرة واستعدادات ذاتية فذّة ، زرعت غراسها الأم وباركتها بيدها وأحاطتها بالرعاية والسقاية حتى نمت وازدهرت وتبلورت في شكل طاقات قابلة للتجنيد في أي ميدان ، وللسباق في أية حلبة . فالأم إذن تعتبر مشيّدة وبانية وإن لم تشارك بصورة فعلية في حمل لبنات البناء ، لأنها هي التي تصنع البنائين المهرة ، وهي التي تزوّد الميادين بالجنود المكافحين كما أشرنا من قبل ، فهي لذلك وراء كل تقدم تحرزه الشعوب ، وهي مانحة الخير للمجتمعات ، وواهبة النصر في الحروب ، ما دامت هي تخلق الرجال وتعد الأبطال بصالح تربيتها والتفاني في

النهوض برسالة أمومتها .

ومن كل ما أسلفناه نخلص إلى حقيقة باهرة لا مراء فيهـــا ، إذا كان هناك منطق يحترم وعقل يلقى السلاح أمام الحجج المقنعـة ، وهي أنه لا ضرورة تدعو إلى الإختلاط الإندماجي غير المقيّد ، في المسارح ودور السينما وفي الطرقات والمحال العـامة وفي المصانع والمناجم ، ولا ضرورة كذلك للتـهتـّك والعري مع الامتزاج المطلق في المصايف البحرية والجبلية ، كل هـذا ليس بالحتميّ ، بل إنه في إعتبـــار الدين والخلق ومنطق الشرف والفضيلة منكر وفساد ونكوص إلى الوراء لا انطلاق إلى الأمام .

دعوها في عالمها السحري لا تخرجوها منه

ربّما اعتبر البعض أنه من فضول الكلام ومكرور الحديث إعادة القول بأن الإسلام يؤمن بالعلم كوسيلة لإسعاد البشر وإنهاض الأمم ورقي الشعوب ، وتحقيق التكامل لشخصيات الأفراد والجماعات ، وأنه كذلك يبارك التطور في أي مجال من مجالات الحياة ، وأن من مظاهر تقديسه للعلم ومباركته للتطور حرصه على تعليم المرأة وتثقيفها لتكون زوجة صالحة وربّة بيت ناجحة ، ولتكون خليقة بممارسة دور الأمومة الذي هو أشرف حلقة في حياتها ، والإسهام في بناء المجتمع وإعداد أجيال الغد روحياً وجسمياً ، وعقلياً وفكرياً ، حتى يكونوا طاقات خير وإصلاح ، وجنوداً لحمل السلاح في مختلف ميادين الكفاح . والإسلام إذ يكرّم المرأة ويمنحها حقوقها كاملة ولا يحرمها أي شيء يتفق مع طبيعتها ولا يتنافى مع حقيقة تكوينها ومستلزمات وظيفتها ، لا يرى من الضروري أن توجد حيث يوجد الرجل سواء بسواء ، وأن تتحمّل مثل ما يتحمّل الرجل من التبعات والمسؤوليات إذ أنها في الواقع تختلف عنه من حيث الدور الجليل الذي أعدّتها السماء لأدائه من حمل وولادة وإرضاع وتعهد لغراس الطفولة بالسقاية والرعاية والإشراف الدائم المستمر ، الأمر الذي يجعل تكليفها بما سوى ذلك من الأعباء والمهمات الشاقة إرهاقاً لها وتحيفاً عليها وتجنّياً على اختصاصاتها في عالمها السحري الجميل داخل منزلها وبين البراعم المنبثقة منها والمتفتحة في الروض الباسم من حولها ..

ونحن مع ندائنا باسم الإسلام إلى تفريغها للعناية بأمر دنياها الخاصة التي لا تستقيم بدونها ولا تزدهر إلا بوجودها ، لا ننكر عليها حق العمل إذا كانت مضطرة إليه ، وكان المجتمع في حاجة إليها لإسداء خدماتها إلى بنات جنسها ، كأن تعمل مدرّسة أو طبيبة أو ممرّضة أو غير ذلك من الوظائف التي تتلاءم مع طبيعة تكوينها البيولوجي ، ولا نرى أنه من المنطق أو من الأمور الواقعية أن تمسك المرأة بآلات الحفر لتنقّب عن البترول ، أو تهبط إلى أعماق المناجم لاستخراج المعادن ، أو تكلف بممارسة أية أعمال أخرى مرهقة لا تتناسب مع لطفها وشفافية إحساسها وطبيعتها الأنوثية ، وتتنافى في الوقت ذاته مع قيامها بواجباتها الكثيرة نحو بيتها وزوجها وأولادها .

إننا نعتقد أن توفيرها للرجل جو الإستقرار النفسي والجسمي الذي ينشده داخل محيط بيته ، هو مساهمة كبرى في شحنه بالطاقات الدافعة وزيادة حجم إنتاجه في الحقول المختلفة ، أما إذا عاد إلى البيت ووجد جنباته خاوية تسوده الوحشة ويخيم عليه الظلام ، وليس هناك الركن الأمين الهادىء الذي يسكن إليه والقلب الرحيم الذي يشدُّ من عزيمته ويبثه همّه وشكاته ، فإنه حتماً سينقبض صدره ويداخله الضيق والكآبة وبالتالي يهبط مستوى إنتاجه ، وتتضاءل نسبة قدراته الذهنية والبدنية تبعاً لتلك الحالة من الهبوط النفساني .

إنّ للمرأة في أخيها الرجل ما يغنيها عن عالم الضجيج والصخب والبخار وهدير الآلات ، وإنّ لها من سمو رسالتها وعظم مسؤوليتها وجسامة مهمتها في محيط مملكتها الخاصة ما يحتم على الجنس الآخر أن يكفيها مؤونة النشاطات الخارجية إلا بالقدر الضروري ، ويهيئها كلها لإدارة تلك المملكة ذات الأثر البعيد في خلق المجتمعات الصالحة وبناء النهضات الزاهرة ، وصنع الأجيال المتوثبة الصاعدة .

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت

قلنا في حديث سابق أن الإسلام يدعو إلى تعليم المرأة لتستطيع النهوض بأعباء مملكتها الخاصة وتتهيأ لديها القدرة على تربية أبنائها تربية إسلامية صالحة حتى يكونوا خلايا حية مستنيرة في جسم المجتمع، وعناصر قوية وبنّاءة تسهم في ازدهار أوطانها، وتعمل على تطورها وإعلاء شأنها، وإنه لمن الزعم الباطل أن يتهم الإسلام بإهمال المرأة وتركها سادرة في غياهب الظلام، ملتصقة دائماً بالرغام، لا يسمح لها بالتطلع إلى آفاق النور والإنتهال من ينابيع المعرفة. إن واقع المرأة المسلمة على عهد السلف الصالح يثبت أن هذا الإتهام منهار من أساسه، ولا يعكس أي ظل من الحقيقة المستمدة من صميم حياة المرأة المسلمة في عصور الإشراق الأولى، فقد كانت عائشة أم المؤمنين من أشهر رواة الحديث عن رسول الله ﷺ، وكانت سكينة بنت الحسين بن علي (سبط رسول الله) مولعة بالأدب والشعر، وكان الشعراء ينشدونها قصائدهم فتنتقد شعرهم مشيدة بالجيد الرصين من قريضهم، مفندة للرديء الهابط الذي يمجه ذوقها الأدبي الرفيع، وكانوا ينزلون على حكمها ويعتبرونه القول الفصل سواء أكان لهم أم عليهم، وقد حفل العهد الأموي والعهد العباسي وتاريخ الحكم العربي في (الأندلس) بالكثير من فضليات النساء اللاتي لهن باع طويل في مختلف العلوم والفنون والآداب، ومن هنا يتبين بكل وضوح أن الإسلام يبارك تثقيف المرأة ولا يرى مانعاً أن تنفتح عقليتها على الآفاق المضيئة لأنه يرى أن الضياء الذي

في داخلها ينعكس على عقول أبنائها فينشأون متنوّرين متبصّرين بأسرار الحياة منذ الأطوار الأولى من أعمارهم ، والإسلام يريد من أتباعه أن يكونوا هكذا مزودين بأضخم رصيد من المعارف والثقافات بالإضافة إلى تجملهم بحسن الخلق والآداب الإجتماعية الرفيعة ، إذ أنــه يدرك إدراكاً واعياً صحيحاً أنه كلما كانت الأجيال الإسلامية على حظ غير قليل من العلم على اختلاف أغراضه كانت الأمة مرتكزة على قاعـدة صلبة ، لا تضطرب ولا تميد لأي زلزال يعصف بهـــا ، وكانت في الوقت ذاته مرفوعة اللواء مرهوبة الجانب ، لا تسمو إليهـــا في عليائها أطماع الطامعين ، ولا تستطيع العروج إلى سمائها أيدي الطغاة الظالمين ، وإذا لم تكن المرأة – وهي نصف الأمة والمدرسة التي تتخرج فيهـا الأجيال الصاعدة – قـــد صقلت شخصيتها وزودت عقليتهـا بالرصيد الضروري من المعرفة ، فإن الأمة لن تكون متماسكة البنـــاء مدعومة الكيان ، قادرة على التصرف والحركة في كل اتجاه ، غير أن الإسلام مع مباركته لتثقيف المرأة وحرصه على تعليمها لتمثل دورها كزوجة وأم ومربية وصانعة أجيال ، فإنــه يمانع كما أسلفنا أن تختلط بالجنس الآخر إختلاطاً اندماجياً غير مشروط أو مقيد ، ويعتبر ذلك من قبيل التهور لا التطور ، والإبتعاد بالمرأة عـــن مسرح نشاطهـا الحقيقي إلى دوامة كبرى ليس لها قرار ، تكاد تفقد فيهـا شخصيتها وتسلب تصونها وقداستها ، ويصبح أسمى شيء فيها – وهو جلباب الحيـاء – عرضة للتمزق ، وأعظم حصن تحتمي فيه – وهو الفضيلة – مهـــدداً بالتصدع والدمار ، إن احتكاكها بالرجل في كل المجالات بصورة دائمـة لا يؤدي كما يقولون إلى تهذيب الغريزة وإيصـاد باب التطلع واللهفة ، وهبوط نسبة المضايقات والملاحقات إلى حد كبير بسبب انتقال المرأة من سر محجب مستور إلى سلعـة معروضة في كل واجهة أمـام جميع الأنظار ، مما يجعلها أمراً عادياً مألوفاً مزهوداً فيه لا يستثير ولا يثير ،

بل إن تجارب الاختلاط بمفهومه العصري أسفر عن نتائج عكسية رهيبة تتجلى في نسبة الإحصائيات المذهلة التي يقوم بهـــا الدارسون من حين لآخر، وفيها من المآسي الخلقية ما يمكن معه القول بأن العالم قد أخذ ينحدر إلى هوة الإباحية التى تنادي بها بعض المذاهب المادية.

وإذا قلنا أن الاختلاط غير المقيد بين الجنسين لا يؤدي إلى تلطيف جو النزوات الملتهبة وتناقض الدوافع الشهوانية نتيجة الإحتكاك المستمر والإتصال الدائم، مما يجعل التقاء الرجل والمرأة في صعيد واحـــد لا يختلف عن التقاء أفراد كل جنس بعضهم ببعض، ليس الأمر كذلـك من الناحية الواقعية والجانب التطبيقي القائم على أساس من الإحصائيات الدقيقة والدراسات العملية بل إن هذا الإندماج المطلق الخالي من أي حواجز قد أسفر عن نتائج ذات طابع عكسي.

ومصداقاً لذلك نورد الحقيقة الرهيبة التي انتهى إليها أحد الباحثين في الولايات المتحدة عندما قام بإجراء استفتاء في عالم الزوجات بطرح أسئلة عليهن، هل هن منحرفات أو مستقيمات أخلاقيـــا ؟ فكانت حصيلة الاعترافات التي توفرت لديه أن ٥٥ ٪ من الزوجات يسمحن بإباحة أنفسهن للآخرين، ويقول هذا الكاتب على النتـائج الأليمة التي انتهى إليها: إنه يقدر اللاتي لم يقلن الحقيقة وبرأن أنفسهن كذباً بنحو ٤٠ ٪ مما يرفع عدد الزوجات المنحرفات إلى نسبة ٩٥ ٪، حسب ما يقول الباحث الأمريكي المذكور، وسواء أكانت هذه الإحصائية تترجم عن الحقيقة بصورة كلية أو حق بشكل جزئي فإن هذا التحلل الشنيع وهذا الهبوط المخزي للمستوى الأخلاقي، وهـــذا التفكك الفظيع في روابط الأسرة إنمـــا هو بالضرورة ثمرة الإختلاط الإندماجي المطلق وانعدام الحواجز والحدود بـين الجنسين، الأمر الذي دلت الوقائع على أنه يلهب الغرائز ولا يهذبها، ويشعل جو النزوات ولا يلطفها، ويرفع

درجة الحرارة ولا يخفضها ، وهل يعقل أن تجتمع النـار والبارود ولا يحدث الإنفجار؟.. إن ذلك بطبيعة الحال من البديهيات التي لا تفتقر إلى أي تدليل ، ومن أجل الحيلولة دون حدوث هـذا الانفجـار الذي يودي بكيان المجتمع إلى التدمير والانهيار ، منـع الإسلام الخلوة بين الرجل والمرأة .. حيث قـال النبي صلى الله عليـه وسلم (ما اختلى رجل بامرأة، الا وكان الشيطان ثالثهما) . وفتحُ البـاب على مصراعيه للشيطان وإتاحة الفرص أمامه أن يتدخل متى شاء ليكون ثالثاً أو رابعاً أو خامساً هو الذي جعـل المجتمعات المتحررة تتعرض لموجبات عارمة من الإباحية ، ويتضاءل فيها الشعور بقداسة الأعراض وحرمة الحياة الزوجية بسبب برودة الغيرة على الشرف وفتور الحماس للتجمل بالصون والعفاف ، كما كان الإفراط في الثقة مشجعاً للمرأة أن تنحرف عن طريق الفضيلة ، ولا تبـالي أن تستجيب لرغباتهـا لا سيا إذا كانت هناك خلافات بينها وبين الزوج أدّت إلى التباعد والجفوة .

وليس هـذا الوباء الأخلاقي مقصوراً على البلاد الأجنبية التي بعدت الشقة بينها وبين هدي السماء ، بل إنه اجتاح منذ حـين كثيراً من البلاد الإسلامية التي جرفها تيـار التقليد بلا وعي ولا بصيرة، فانزلقت إلى هذا المنحدر الرهيب وتضاءل فيها الإحساس بقدسية الشرف والعفة والفضيلة ، ولم يكن إلا القليل من ذلك سيحدث، والقليل جداً ، لو لم يكشف النقاب وتمتد الأيدي الآثمة إلى الحجاب .

نحن لسنا أعداء التطوّر

إن أهداف الدعوة الى الله أن يحمل الدعاة راية الدفاع عن الفضيلة والذود عن الحرمات بتقوية حصون الشرف ودعم معاقله ، لتكتسب منعة وصلابة ، وتستطيع الصمود في وجه العواصف الجامحة والتيارات الجارفة التي تنطلق هوجاء مدمرة من عالم الرقي والتمدين ـ كما ينعتونه ـ لتزلزل كيان مجتمعنا وتنتهك حمى مقدساتنا ، وتعكس على آفاق حياتنا الضباب تحت ستار المدنية وشعـــار التطور والتقدمية ، ونحن بمقتضى تاريخنـا المشرق ورسالة إسلامنا الهادية ، نفتح صدورنا لكل شعاع تعكسه شمس المعرفة ، ونمد أيدينا لنجني كل ثمرة تثمرها دوحة العقول البشرية المفتحة الصاعدة ، ولسنا أعداء لأي تطور أو تجديد تبدعـه مقتضيات العصر وينضم إلى الرصيد الحضاري الضخم الذي تحفل به دنيا الانسان في القرن العشرين ، ولكن ليس من المحتم أن نقبل على كل شيء يأتي من الغرب بظمأ ولهفة ، ونبادر إلى تقليده مغمضي الأعين دون إدراك لمخاطره وانعكاساته المظلمة ، ومن غير استعراض لمغانمه ومغارمه ، ومقارنة بين ورده وأشواكه ، وإنه مما لا ريب فيه أن إقبالنا على الغث المتسرب من عالم الغرب أكثر من إقبالنا على الثمين ، وحرصنا على اقتباس الضار والطالح أشد من حرصنا على النافع والصالح ، وذلـــك هو السر في اضطراب مفاهيمنا وتسرب الضعف إلى شخصيتنا وزعزعة إيماننا بأنفسنا ، واعتزازنا بماضينا ومفاخر شرقنا وأصالة أمتنا ، وذلك هو السر أيضاً في

انتقال ثروتنا إلى خزائن دول الشرق والغرب لتزيد حضارتها وثقافتها انتشاراً ، وتوسع نطاق مبتكراتها وإبداعاتها ، في مختلف حقول الإنتاج ومجالات التصنيع ، إنها تستنزف أموالنا مقابل كاليات في مقدورنا أن نستغني عن الكثير منها و (موضات) توردها إلينا في إطارات مغرية جذابة ، فنتهافت عليهـا متعطشين مغتبطين ، فيكون غرمنـا شديداً وخسارتنا مزدوجة مضاعفة . إننا نخسر المـال ونخسر الفضيلة والخلق ، وإنه لعجب لقوم ما زالت شخصيتهم مهزوزة غير مستقرة لا تقوم على أية قاعدة ولا تستند إلى أي أساس ، كيف يتسابقون إلى اقتناء الكماليات وأشباه الكماليات ويتنافسون على اقتبـاس قشور المدنيــة ونفاياتها ، وكثير من الضروريات تنقصهم ؟ . . ويقتضيهــا التخطيط لمستقبلهم وتطوير بلادهم ، أسوة بذلك العالم السحري الذي بهرهم بضيائه وبريق مغرياته .

عجباً لقوم يحفلون بالمظهر ولا يقيمون وزناً للجوهر ، ويهتمون بالإطار ويهملون الصورة ، ويكتفون بالقشور غير آبهين بما وراءها من لباب شهي.

تلك هي آفة الشرق العربي بل العالم الإسلامي كله ، لم يتجاوز في تقليده للغرب الجـــانب السطحي الظاهري ، اللهم إلا بقدر ضئيل وعلى نطاق محدود ، وزاد ففتح له أبواب خزائنه وأعماق الطبيعة في أرضه لينقل منها الكنوز إلى شعوبه المتوثبة الناهضة ، ويورد الينـا أمراضه ومفاسده لقاء كنوزنا الثمينة .

أما كان يجب أن نتعلم من الغرب كيف نرسخ قواعد نهضتنا وندعم كيان اقتصادنا ، ونبني شخصية بلادنا ، وكيف نوسع آفاق عقولنـا ، ونطور أساليب تفكيرنا بدلاً من محاكاته في ارتداء الملابس القصيرة التي تختلف مع روح تعاليمنا وطبيعة تقاليدنا الموروثة ، وبـدلاً من توريد

المذاهب والمبادىء المنافية للعقيدة الداعية إلى التفسخ والإنحلالية ، أما كان ينبغي أن تستحيل منابع البترول العربي إلى مصانع إنتاج وموارد ثروة ثابتة غزيرة لا تنضب بدلاً من هذه الآلاف المؤلفة من السيارات الفارهة المختلفة الأجناس ، والكماليات التي لا تدخل تحت حصر .

أما كان يجب أن ينقلب البترول العربي إلى أسلحة جبارة تنتزع الحق العربي من غاصبيه وتقتصّ للشعب العربي من مذليه ، وترغم أنصار العدو الإسرائيلي على التخلي عن أهدافه ومراميه وإعادة الوطن السليب إلى بنيه ؟ .

فلو أن العرب أحسنوا استخدام هذا السلاح ووقفوا صفاً واحداً يحملون راية الكفاح مؤمنين بقضيتهم المقدسة وحقهم الصراح ، لما تدحرج عن هامتهم تاج الكرامة ، ولما أتيح لأحط شعوب الأرض أن يصيبوا منهم مقتلاً — وهم أحفاد الشاعر البطل الذي قال :

لا تسقني ماء الحياة بذلة		بل فاسقني بالعز كأس الحنظل
ماء الحياة بذلة كجهنم		وجهنم بالعز أكرم منزل

الإسلام براءٌ مما يُرجِفون

ان الذين يتخذون من واقع الشعوب الاسلامية اليوم عنواناً على دينهم يظلمون الاسلام ظلماً مبيناً ويلصقون به من التهم ما هو براء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، فليس هو خالٍ من عوامل الدفع والتطور والتجاوب مع مقتضيات العصر ، ومبتكرات المدنية كما يزعمون ، لأن الحقائق التاريخية والأدلة النابعة من العقل والمدعومة بشواهد الحياة تثبت عكس ما يدّعون ، وتناقض تهجّمات هؤلاء المغرضين على خط مستقيم ، ولو أنهم كانوا منصفين للاسلام لقالوا عنه خلاف ما استفاضت به نفوسهم من حقد ونقمة وتجريح ، وهم يعلمون ذلك علم اليقين ولكنهم يتجاهلون ويكابرون ، فكيف يعزى تأخر المسلمين في هذا العصر الى طبيعة دينهم في حين أنهم متمرّدون على هذا الدين سائرون في عكس الاتجاه الذي يريدهم أن يسيروا فيه ، لا يربطهم بتعاليمه السامية سبب جوهري وثيق .

انه ليس لهم من الاسلام الا مجرد الاسم والانتساب الظاهري الذي يميّزهم عن الطوائف الاخرى ، ولا تخرج عن ذلك الا أقليّة محدودة العدد لا تزال ظاهرة على الحق ، مصداقاً للحديث الشريف ، أما الاكثرية الساحقة فهي في واد والاسلام في واد آخر ، وطالما كان الامر كذلك فهل يسيغ المنطق أن يكون هو السر في هذا الانحطاط والتأخر الذي انحدر اليه المسلمون ؟ . كيف يكون هو السبب فيما ساد حياتهم

من ظلام وهـذه الحياة مقفرة من تعاليمه غير منتهجة لسبيله ، سبيل الخير والهداية والنور – أليس عجيباً حقاً أن يوّجه الى الاسلام هـذا الاتهام وهو بعيد اليوم عن واقع حياة المسلمين ؟ . . انهم يسلكون منهاجه في حياتهم اليومية على الوجه الأكمل ، ولا يطبقون مبادئه في شئون الحكم والسياسة والاجتماع والاقتصاد ، فكيف يؤثّر الشيء وهو معدوم!؟ كيف يلوي عنان الفرس لتعود القهقرى وتنكص الى الوراء وهو غير ماسك بالزمام ؟ . . يا لها من مغالطة سافرة مفضوحة يعوزها الحبك والسبك ، وينقصها الفهـم الواعي وحسن الذوق والتّبصر ، وهكذا شأن المبطلين يطلقون السهـــام لترتدّ الى صدورهم ويثيرون الغبـار ليعمي أبصارهم ويحاولون أن يطمسوا إشراقات الحق فيزيدونها سطوعاً وتألقاً من حيث لا يشعرون .

ونحن نسائل هؤلاء الآن لماذا تأخر المسلمون اليوم وهم منسلخون عن دينهم لا يعملون بدستوره ولا يستهدون بنوره ؟ . . ولماذا دبجوا صفحات التاريخ بآيات باهرة من الحضارة والعـمارة أيام كانوا منضوين تحت راية دينهم يرجعون اليه في كل كبيرة وصغيرة من شئون معادهم ومعاشهم ، وهو القانون الذي يحتكمون اليه في نطاق الافراد والجماعات وعلى مستوى الشعوب والحكومات ، وهو المدرسة التي يتخرج منها أبناؤهم أمراء وقواد وقضاة ومعلمين ونوابغ ومفكرين ، كيف تفسرون هذه الظاهرة ، تخلف وانحطاط مع نبذ الاسلام وإهماله ، وصعود وتطور وزحف وانطلاق مع احتضان الاسلام وتفيىء ظلاله ، بالأمس كنا مسلمين حقيقيين فكنا للعالم سادة ولسفينة الحياة ربابنة وقـادة ، واليوم أصبحنا عن الاسلام بعيدين وعن صراطه المستقيم منحرفين ، فصرنا نتعثّر في مؤخرة القـافلة ونمارس أدواراً ثانوية في رواية الحياة ، فما هو السر في هذا وذاك ؟ . . ما الذي رفعنا الى مناط الثريا في أمسنا الدابر ، وما الذي هبط بنا الى أعمـاق الثرى في يومنا الحاضر ؟ . . ان الجواب لو كنتم منصفين ومن الاهواء

متجردين وبالقيم الانسانية مؤمنين ، هو أن الاسلام قد عرج بأتباعه الى سماء المجد والكمال أيام كانوا على هداه سائرين ، وفي سبيل نصرته مناضلين ، حتى اذا ما تركوا هداه وقعدت هممهم عن طلاب علاه تخلى عنهم فهبطوا الى الحضيض ، وماذا تنتظر قافلة فقدت الرائد والدليل الا التيه والتخبّط والضلال ، ولو انهم عادوا اليه تائبين مستغفرين ، وارتموا في احضانه متعلّقين محبّين ، لأعاد اليهم ما فقدوه ولما تركهم مضغة في الافواه ومضرباً للأمثال ، ولانقلبوا في سلوكهم الاجتماعي ومستواهم الفكري والحضاري عنواناً مشرقاً عليه يشع ويضيء ، ويومئـــذ تخرس الاصوات المبحوحة وتنقرض الالسن البذيئة الفاحشة ، وتختنق الاحقاد في الصدور .

فهل من عودة من مشارق النور ؟ . . هل من دعوة الى سيادة الدستور – دستور السماء الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ؟ .

عبد الرحمن الكوبي

مَفاهِيمُ مغلوطَة عَنِ الإسْلام

مهما تعسّف المتعسّفون على الاسلام ، ومهما تفنّنوا في بهرجة الباطل وقلب المفاهيم فإنهم لن يستطيعوا أن يطمسوا معالم عظمته ، أو يؤثّروا بمعاولهم في هدم منارته ، لأن العقول السليمة لا تسيغ المعاني المعكوسة ولا تقبل المفاهيم السقيمة ، وإذا كان الاسلام حقاً هو سبب تأخر أبنائه كما يرجفون ، فماذا يقولون عن المسيحية ؟ . . ألم تعتنقها أوروبا أكثر من أربعة عشر قرناً ، لماذا لم تتقدّم في أي مجال عندما انضوت تحت لوائها ؟.. ألم تعش أحلك فترات حياتها ؟ . . ألم تنحدر الى أسفل دركات الانحطاط الفكري والحضاري وهي تدين بدين المسيح وتسير على منهاج شريعته في زعمها ؟ . . فهل لنا بعد هذا أن نسائلهم هل كانت شريعة عيسى هي سر ذلك الليل الطويل الثقيل الذي أطبق بظلامه على شعوب أوربا خلال القرون الوسطى ؟ . . هل هي المسئولة عما ساد القارة البيضاء من عوامل التخلّف والجهالة العمياء ومظاهر الاستبداد والاستعباد ، والانظمة الطبقية الجائرة ؟.. هل يقر الدين الصحيح الذي أُنزل على المسيح مبدأ الإقطاع وعبيد الارض ، واستئثار فئة قليلة من النبلاء بأرزاق الجماهير ومقدّرات حياتها ؟ . . هل تبارك تعاليم المسيح في حقيقتها السماوية الساطعة إهدار آدمية الانسان ، وإثارة النزعات العقائدية المتأججة الحاقدة ؟ . .

الحق إن تلك التعاليم كما أوحت بها السماء بريئة من كل هذا . .

فهي أسمى من أن تسخر لإشباع الغرائز والشهوات أو تستسلم في رضوخ مطلق لسلطان الاهواء والنزوات .. ومعاذ الله أن تكون تعاليم المسيح في جوهرها الإلهي الاسمى هي مبعث الحياة المنحطة الهابطة التي ظلت أوربا تتخبّط في سراديبها الرطبة المعتمة بضعة عشر قرناً منذ ان اعتنقت الديانة المسيحية في النصف الاول من القرن الرابع الميلادي ، الى أن انبلج فجر النهضة الحديثة قبل قرن وبضع القرن .

اننا نقلب عليكم هذا السؤال ايها المغرضون الناقمون ، فهاتوا برهانكم ان كنتم صادقين : أجيبونا بصدق ونزاهة ان كنتم منصفين .. ألم تقولوا ان الاسلام هو سر تأخر المسلمين ؟ فما هو اذن سر تأخر المسيحيين طوال القرون الوسطى ؟ أهو الدين المسيحي ثبّط العزائم ، فلم تنهض ، وعاق مسيرة الموكب فارتدّ الى الوراء ، وحجب أضواء الشمس فلم تشرق ، مما جعل الظلام الخانق المميت يخيّم على آفاق الحياة في أوربا أجيالاً وعصوراً عديدة ؟.. نحن لا نقول عن تعاليم المسيح ما تقولونه أنتم عن الاسلام ، لأننا نؤمن بأن العيب ليس هو في الدين ، وإنما في المنتسبين الى هذا الدين ، نقول هذا وإن كنا على يقين بأن الذي اختارته أوربا ديناً لها ليس هو في واقع الأمر إلا صورة شوهاء محرّفة لدين المسيح الحقيقي ، ولهذا لم ينجح في كبت جماح أتباعه من المضي في تكالبهم المادي ، ولم يحل دون تسلطهم على المستضعفين من الشعوب ، يسلبونهم حرياتهم ويحرمونهم الاستمتاع بكنوز أوطانهم ، ولم يكن له أي أثر في تعميق إحساس المنتمين اليه بالقيم الروحية والمبادىء الخلقية ، ولم يكن له أي انعكاس مضيء على عقولهم ليحررها من تأثير الاسطورة والايمان بالخرافة والاعتقاد بقدرة الانسان على تقبّل توبة التائبين وفتح أبواب الجنة للمجرمين والضالين بعد منحهم (صكوك الغفران) ليتّخذوها جوازات مرور الى رياض الجنان .

ومهما كان الامر فنحن نقول : أيا كانت حقيقة العقيدة التي ينتمون اليها ، انه ليس هناك دين منزّل من عند الله يحرم على الانسان أن يسخّر مواهبه وملكاته في سبيل إسعاد نفسه وتطوير المجتمع الذي يعيش فيه ، بابتكار وَسائل التقدّم العلمي والحضاري وبذل المساعي لرفع مستوى الكسب والانتاج ، حتى ينعكس الرخاء على حياة الناس وتشرق مصابيح المعرفة في كل بيت ويعم الازدهار جميع الحقول والميادين ، وأدلّتنا على ذلك تلك النهضة العملاقة التي أبدعها العرب المسلمون على أرض (الاندلس) وكانت هي النافذة الكبرى التي تسرّبت منها أشعة النور الى الانفاق والسراديب التي كان الاوربيون في ظلماتها يعمهون ، ونحن مع امتلاكنا لهذا الرصيد الكبير من الحجج والبراهين المستمدّة من وقائع التاريخ وحقائق الحياة ، والتي تثبت بشكل قاطع هبوط القارة البيضاء الى حضيض الجهل والبدائية في غضون القرون الوسطى ، مع امتلاكنا لهذا المنطق القوي الباهر ، لا نستطيع أن نشهر نفس السلاح على أولئك الكتاب المغرضين فنقول عن المسيحية مثل ما يقولون عن الاسلام ، لأن لنا قانوناً أخلاقياً يحكمنا وينظم سلوكنا في كل ما نفعل وما نقول ، نحن نقدّس الحق ونؤمن بشرف الكلمة وسمو المدلول الذي تترجم عنه ، وهذا ما يجعلنا لا نغمز ولا نجرح بتأثير نزعات غير شريفة ، والاستجابة لرغبات ليست بنظيفة .

محمد يوسف اللويبي

مَنهَجُ الدَّعوَة إلى الله

إن من منهج الدعوة إلى الله أن يعمل الدعاة على تبديد الظلمات المخيمة على أذهان الكثيرين من أبناء الإسلام ، وتفجير مزيد من الضياء في عقولهم لكي يتحدثوا عن هذا الدين حديث الواعي المتبصر ، ويفهموا حقائقه فهم العالم المفكر ، ويكون لديهم من المنطق ما يتيح لهم أن يحرزوا النصر في كل معركة جدلية ، ذلك لأنه من أكبر الإساءة إلى الإسلام أن يصدر قوم أحكاماً على الإسلام وهم لا يعلمون من أمره إلا قليلاً ، ولا يدركون من مفاهيمه وأسراره إجمالاً ولا تفصيلاً ، يسمعون أباطيل خصومه فيصدقون ، وتوجه اليه المغامز والاتهامات فلا ينكرون ولا يدفعون ، بل إنهم لا يلبثون أن يتأثروا بادعاءات أعدائه الغلاة المكابرين ، وتسري اليهم عدوى سخطهم ونقمتهم فيشاركونهم في حملتهم وينضمون إلى صفوفهم بعد اقتناعهم بموضوعية النقد الذي يوجهونه إلى الإسلام ، وتسليمهم بمنطقية ما يصوبون اليه من ضروب الإتهام .

وهكذا يتكوّن لديهم رصيد من المفاهيم المغلوطة والاتجاهات المنحرفة ، ويحكمون على دينهم بأشياء هو براء منها ، وينسبون اليه نقائص هو بعيد عنها ، والحق أن هؤلاء الشباب ليسوا بمذنبين وليسوا في ما يصدر عنهم بملومين ، وإنما تقع المسؤولية كلها على الذين يملكون

أن يطعِّموهم منذ البداية بالأمصال الواقية ولا يفعلون ، ويستطيعون أن يزوِّدوهم بأقوى سلاح لدفع الشبهات وحصد الافتراءات ومقارعة الحجة بحجة أكثر سطوعاً وأعمق أثراً وأدعى لتحقيق الفوز في النهاية .

ولقد كان على أولئك النخبة المتشربين لحقائق الاسلام ، العارفين بمواطن الضعف والتناقض والبعد عن الواقعية في غيره من الأديان أن يبصروا الشباب المسلم بهذه الحقائق ، حتى يكتسب حصانة ضد أساليب التضليل ، وحتى يقف صامداً في وجه أعاصير الأباطيل ، ولا يسارع بالخضوع والاستسلام عند أول جدال عقائدي يكون طرفاً فيه دون سابق تجربة .

إننا على يقين بأن ما يعانيه الشباب اليوم – ولا سيما طلاب العلم في البلاد غير الاسلامية – من تخلخل في العقيدة ، واهتزاز في الجانب الروحي ، واضطراب في التفكير الديني ، ليس إلا نتيجة لعدم تزويدهم بالقدر الكافي من الثقافة الاسلامية ، وعدم تحصينهم بتربية أخلاقية مثالية ، فتكسبهم الأولى القدرة على خوض غمار المناقشات مع الثقة الكاملة باحراز النصر في آخر الأمر ، وتعصمهم الثانية – أي التربية الاسلامية الصالحة – من مزالق التحلل والتبذل والتهاوي في دوامة الإباحية التي انحدر اليها عالم الغرب بلا قيود ولا حدود ، وفي رأينا أن عجز الأسرة المسلمة في هذا العصر عن تكوين الفرد الصالح الذي يؤمن بدينه ويدركه على حقيقته هو العامل الأول في تواجد هذه الطبقة من الشباب الأعزل من أية أسلحة يدفع بها عن حمى خلقه وإسلامه .

وليس عجز الأسرة المسلمة عن خلق هذا العنصر القوي المنشود ، ناشئاً عن مجرد إهمالها وتقصيرها فحسب . . ولكنها لا تملك في طبيعة

وجودها المقومات التي تجعلها أهلاً للنهوض بأعباء هذه الأمانة المقدسة ، وأداء هذا الواجب الكبير نحو مجتمعها الاسلامي ، بل المجتمع الانساني كله ، وهناك جهة أخرى تسهم بدورها في عدم بنـــاء شخصية الفرد المسلم على أسس تربوية متينة ، وهذه الجهـة هي المدرسة على اختلاف مستوياتها ، إذ أن إقفار المنهج التعليمي من مصادر الإشراق الديني الذي يغمر العقول بفيض عن الايمان والهداية لا ينقطع ، وتنبثق منه إشاعات وانعكاسات مضيئة تضبط سلوك الفرد وتروضه على الخـــير والفضيلة ، وتصقله من الناحية النفسية والخلقية .

أقول خلو المناهج من هـذه المواد إلا بشكل مبسط وبقدر ضئيل ساعد إلى حد كبير على إيجاد شقة بعيدة بين الشبـاب وبين دينهم ، كما أدى بالتالي إلى تضاؤل رصيدهم من الثقافة الاسلامية الصحيحة التي تمكنهم من الفهم والافهام ، وتجعلهم دائماً يعيشون في النور ولا يطيقون حياة الظلام .

إننا نناشد أولي الأمر بضرورة إعادة النظر في جميع مناهج التعليم من الناحية الدينية عساهم أن يستجيبوا لهذه الدعوة المخلصة ، فيطعّموا مختلف المقررات بما لا غنى عنـه لكل مسلم ، مراعين في هـذا التعديل سنة التدرج والارتقاء ، تبعـاً للمستويات العقلية والاستعدادات الفكرية والفطرية ، لطلاب المراحل الدراسية بوجه عام ، على أن يتضمن مقرر المرحلة الوسطى والأخيرة دراسة لمـــا يسمونه (بالمشكلات الإسلامية) كنظام الرق والميراث ، وتعدد الزوجات ، وملكية الرجل لحق الطلاق ، وكذلك دراسة الشبهات التي دأب خصوم الإسلام على إثارة غبارها في آفاقه المتألقة ، ثم تصوير لحقيقة الأديان الأخرى ، ومـــا يسودها من تناقض سافر وتحريف للكلم عن مواضعه ، ومسايرتها للأهواء ، وخلوها من الجانب العملي للحياة ، وما تحفل به من أساطير وخرافات ، حتى

يتخرج الشاب المسلم وهو على بينة من حقنـا وباطلهم ، وهو على علم بما في الإسلام من عناصر القوة وأسرار الخلود .

ويومئذ نأمن على شبابنـا الانخداع ببريق المبادىء الهدامة ، ونأمن عليه كذلك من الهزيمة والاستسلام بلا مقاومة ، كما نجعل منه خـير رسول لدينه الاسلامي ، يبشر به بفعله وقوله فيجد هذا التبشير آذاناً واعية وقلوبـاً مفتوحة ولا سيما في المجتمعات التي مـا زالت بمعزل عن التيارات الفكرية والمنازعات المذهبية ، وحتى في المجتمعات المتحضرة ، لا يعدم الإسلام البيئة الصالحة لتغلغله وانتشـاره إذا كان الدعـاة لا يعتمدون فقط على مجرد الكلمة الطيبة تنطلق من بين شفـاههم والأدلة المنطقية يبرهنون بها على صدق مـا يقولون ، بل يجعلون من أنفسهم ظاهراً وباطناً عناوين لامعة تترجم عن محتويات كتاب الاسلام ، وتكون لساناً مبيناً يعكس بشكل حسي آيات عظمة الاسلام .

إننا ننادي ونكرر النداء أن تتضافر جميع الهيئـات الإسلامية في كل مكـان ، وتشد أزرهـا الدول والشعوب المنضوية تحت راية القرآن على خلق جماعـات مسلحة بالوعي والثقافة والإيمان مستعدة للبـذل والتضحية والصبر على المكاره من جميع الألوان ، لتنهض برسالة التبشير بالإسلام طبقاً لمناهج عصرية متقدمة تعتمـد مسبقاً على دراسات نفسية واجتماعية لمختلف الأجناس والشعوب حتى تتخير لكل مجتمع ما يلائم طبيعة تكوينه (السيكولوجي) من أساليب الدعوة ووسائل التوجيـه والإقناع ، وعلى ضوء ما يتوافر في بيئته من قابلية للإخصاب واحتمالات التجاوب والإقبال .

إننا إذا وفقنا إلى هذا العمل الضخم فـإن الله سيفتح على الإسلام فتحاً مبيناً ، وإنه سيحقق له من المكاسب والمغانم ما لا تحيط به الأرقام ، وعسى أن ينفذ هذا القول إلى أعماق طائفة من عباد الله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب .

الكلمة وحدها لا تثمر الإصلاح المنشود

إن مجرد الكلمة يلقيها الخطيب أو يذيعها جهاز الراديو أو تنشر في صحيفة أو كتاب لا تشكل وحدها درعاً واقياً لحماية الأخلاق من هذه القوى الشريرة التي تتهددها ، والتي بدأت تدكّ حصونها بلا هوادة وتتسلل إلى داخل دنياها المشرقة بنور الطهر والفضيلة ، فتلوث ما فيها من جوانب نظيفة وتجتذب إليها النفوس العفيفة ، وإنما يجب أن تظاهر الكلمة قوى أخرى فعالة تملك أن تلزم وأن تفرض وأن تقوِّم المعوج بالتوجيه الإجباري المسند بسلطان القانون والمدعوم بالأيدي المنفذة القادرة .

ومنذ أن انحرفت القافلة عن سيرها بابتعاد الأمة الإسلامية عن منهج القرآن وانسياقها وراء تيار الشهوات والأهواء ، وأرباب الكلمة يعظون ويرشدون محذرين من عقبى طغيان موجات الفساد وانتشار ليل الظلام والجهالة ، بعد أن كان المجتمع الإسلامي لا يعرف طريقاً غير طريق الهدى والخير ، ولا يتبع سبيلاً غير السبيل الموصل إلى رضوان الله وصلاح الأمة ، ولا يلبي نداء غير نداء الحق والعدل والإنسانية ، ولكن تلك الصرخات التي كانت تنبعث من حناجر المصلحين على امتداد القرون منددة بانحراف المنحرفين ، مهيبة بالقطعان الشاردة أن تعود إلى الحظيرة لم يكن لها تأثير يذكر ، ولم تجدِ فتيلاً في رأب الصدع ووقف التيار وإعادة البناء المنهار ، بل إن القافلة لا

تزال جادة في الإتجاه المنحرف المعاكس ، تدوس القيم وتعبث بالمقدسات ولا تبالي أن تخوض في طريقها الموبوء من البرك والمستنقعات ، وأصوات الدعاة تلاحقها فلا تستجيب ، وتنذرها وتحذرها فلا تحفل بنذير ولا تحذير .

لماذا لم يكن لهذه الأصوات أثر في إخصاب الحقل الذي أجدب وإنارة الأفق الذي أظلم وإرجاع القطيع الذي أوغل في البعد عن المحجة البيضاء ؟ . . لأن تلك الأصوات لم تكن مسنودة الظهر بالقوة المادية التي تستطيع أن تجسد مفهوم الكلمة وتحوّل القول المجرد إلى عمل واقعي مشاهد ، ولو كان هناك تضافر بين الكلمات التي يرسلها دعاة الحق والهداية والإصلاح وبين الأيدي القابضة على زمام السلطة الزمنية ، لما كان للقافلة أن تمعن في الضلال ولما كتب على الأمة أن تنحدر إلى أسوأ حال ، ولما قدّر للشمس التي ظلت في إشراق مستمر بضعة أجيال أن تبقى في غروب دائم ميت ، وأن يتحول إشراقها إلى عالم آخر ، كان يتخبط في ظلام دامس مئات السنين ، ذلك لأن الكلمة ذات الإشعاع والرنين يمكن أن تنير معالم الطريق أمام التائهين وأن توقظ الغافلين والنائمين ، ولكنها لا تقدر منفردة على تحقيق اليقظة الدائمة للمسلمين وإيجاد الضمان المستمر لعدم انحراف الموكب عن الجادة ، فإن ذلك الأمل لن يتحقق إلا بتساند المصلحين والحاكمين ، أولئك يوقدون الشموع على كل طريق مظلم ، وهؤلاء يحمون هذه الشموع من هبوب الرياح وتساقط الأمطار حتى يتهيأ لنورها أن يشع باستمرار ، وقاية للسائرين من الضلال والعثار ، وكلنا رجاء أن نتدارك اليوم ما فات في الأيام الخاليات ، وأن ينهض أولو الأمر في عالمنا الاسلامي بهذا الواجب المقدس الذي قصّر أسلافهم في تحمل أعبائه خلال العصور المظلمة من تاريخ أمة القرآن .

إنّ اللهَ ليزَعُ بالسُلطانِ مَا لا يَزَعُ بالقُرآن

قلنا في الحديث السابق أن الكلمة وحدها وإن استطاعت أن تحقق بعض التأثير في النفوس التي توجـد لديهـــا قابلية الإذعان والاستجابة والتفاعل والإنقياد ، إلا أنها لا تقوى على تحقيق الاصلاح الشامل المرجو وإيجاد البيئة النظيفة لكل أفراد المجتمع في حياتهم الخـاصة والعـامة ، فذلك أمر لا يكون ولا سيما في هذا العصر المادي الذي بلغت فيـــه القلوب من القسوة والتحجر بحيث لا تهزها الكلمات المجردة مهما كانت قوية ومؤثرة ، لأن التعلق بمباهج الدنيا جد شديد ، وانصراف النـاس إلى الشهوات وحرصهم على جمع الثروات قد زلزل الكيان الروحي من تركيبهم الانساني ، وأصاب البنـــاء العقائدي بالوهن والتخلخل حتى تضاءلت إشراقاته ، وانعدمت فيهم القوة الضـابطة التي كانت توجـــه السلوك إلى الخير ، وتحول دون انزلاق الفرد إلى حمأة الرذيلة وبؤرة الشر والفساد .

أما وقد طغى تيار المادة هذا الطغيان كله ، وأقفرت النفوس من الوازع الديني والخلقي ، ولم يعد للدعوة المجردة إلى الاصلاح سلطان يحكم ويسيطر ، وفاعلية كبيرة تحمي وتمنع وتوجه وتدفع فإنه لا بد من

اللجوء إلى الفرض والإلزام بانتهاج طريق التشريع والتقنين وإنزال العقوبات الرادعة بالعابثين والمنحرفين ، بذلك تتحول الكلمة إلى نور يضيء ورائد يهدي ودواء ناجع يشفي ، وسياج متين يحول دون السقوط والزلل ، ومن قبل قال أمير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفّان : (ان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) لأن المالك للسلطان هو الذي يستطيع أن يحمل الناس على أن يسمعوا ويعوا ، ويلتزموا الحياة في النور ، ويهجروا أن يعيشوا في الظلام مهما كان في حياة النور من مكاره وآلام ، وفي حياة الظلام من متع ولذائذ ومسرات ، ولا يلبث هؤلاء الذين يدفعون إلى السير في المحجّة البيضاء ويرغمون على هجر مواطن الفجور واتباع الشهوات والاهواء ، أن يستطيعوا العيش في دنيا الاشراق ويكتسبوا حصانة ضد الانحراف والانزلاق ، رغم أنهم قد أُدخلوا إلى هذا العالم وهم غير راضين ولا مغتبطين .

ولسنا نقول هذا اعتماداً على اجتهاد شخصي ورأي خاص قوامه الجانب النظري البحت ولكن وقائع التاريخ على امتداد عصوره ، والتجارب الطويلة المتكررة في حياة الافراد والامم تؤكّد هذا الرأي وتعطيه صفة الحقيقة التي لا ريب فيها ولا مراء يثار حولها ، إن الانسان ينصلح حاله ويستقيم اعوجاجه وينقلب عنصراً طيباً خيّراً إذا وجد من يصلحه ويمسك بزمامه ليدفعه في طريق الخير دفعاً ولا يدع له أية فرصة ليضل عن النهج القويم ويغيّر سلوكه المستقيم وإن كان البعض لا ينصلحون ولا يهتدون وإن ألزموا بالاستقامة على طريق النور والهداية ، فإن هؤلاء قلّة لا تؤثّر في عموم القاعدة ، وخروجهم عن نطاق المنهج الذي أوضحناه أمر شاذ ، والشاذ لا حكم له .

وليس لأحد أن يقول ان الزام الفرد بإقامة شعائر دينه وتحسين علاقته بالله فاطره يتنافى مع مبدأ الحرية الشخصية وعدم التدخّل في

حياة الافراد الخاصة كما تقضي بذلك النظم الدمقراطية ، لأنه لا يدخل في مفهوم الحرية أن يتمرّد الانسان على تعاليم الله ، وأن يعبث بالمقدّسات والقيم كما يشاء ، وأن يطلق له العنان فيرد جميع المستنقعات الآسنة إشباعاً لغرائزه وشهواته ، فذلك لعمر الله استهتاراً بالحرية كما هي في معناها الجليل وإطارها الجميل وحقيقتها الناصعة ، وتلك وايم الله بهيمية هابطة متسفّلة لا تليق بمخلوق آدمي كرّمه الله بشرف الانسانية وتوّج هامته بتاجها الوضيء المتألق .

إن الحرية هي أن تأخذ كل ما لك من حقوق في غير صخب ولا ضجّة وبدون تعسّف او التواء او تحليل او دجل ، وأن تؤدّي ما عليك من واجبات نحو نفسك وأهلك ونحو الناس ورب الناس . . أما أن يأمرك الله بالصلاة فلا تصلي ، وبالصوم فلا تصوم ، وبالزكاة فلا تزكي ، وبالحج فلا تحج ، وبالكف عن المحارم والخبائث فلا تكف ، واذا تدخلت القوة لتحملك على أن تفعل كل ذلك قلت : ان هذا مناقض لمبدأ الحرية ، أما أن يكون ذلك فإن هذا هو منتهى التحلّل والاباحية وأحلك صورة من صور العبودية — عبودية الشيطان والنفس والهوى والشهوات ، وهو ما لا ينبغي لمسلم يدين بالاسلام — دين السمو والطهر والخير والنور والفضيلة — بل لا يليق بانسان ميّزه الله عن الحيوان الاعجم بالعقل والمنطق — وهما أجمل ما وهبته السماء لكائن حي يعيش في هذا العالم .

الأسرة الصالحة أساس المجتمع الصالح

ان مظاهرة الكلمة وشد أزرها بالتشريعات الملزمة والعقوبات التأديبية الرادعة أمر لا غنى عنه ، إن أريد بناء المجتمع الصالح الذي تتوثق صلات أفراده بالله بارئهم ، ويتعمق احساسهم بقدسية دينه وتعاليم نبيه ، ويستقيم سيرهم على النهج الذي لا يضل من سار فيه ولا يزل ، ذلك لأن للقوة القادرة على توجيه سلوك المسلم نحو عالم الخير والهداية أثرها الايجابي الفعال في خلق أجيال مسلمة تؤمن بمثل دستورها وتستهدي بنجوم تاريخها وتعمل على دعم شخصيتها وبعث أمجادها .

ونحن عندما ننادي بحتمية مناصرة الكلمة من طرف السلطة الزمنية ضد قوى الشر والفساد وكفاحها من أجل اصلاح البلاد والعباد لا نأتي بدعاً من الامر ولا نختط منهجاً جديداً في الدعوة لم يكن معروفاً على عهد السلف ، وانما نفعل ما كان يفعله عمر ومن جاء بعده من ولاة الاسلام ، ألم يكن الفاروق يعلو بدرته كل منحرف عن الجادة ولا يبالي أن يقوّم كل معوج باستعمال السلطة ، ولا يعتمد على مجرد الامر والنهي والموعظة والتوجيه كوسيلة لمحاربة الاشرار والمفسدين الضالين عن سواء السبيل ، وتحويلهم إلى عناصر مؤمنة خيّرة ؟ . . لقد رأى يوماً رجلاً يتحدث مع امرأة على قارعة الطريق فقصد اليه من فوره وما لبث أن ضربه بعصاه متوعـداً منتهراً ، وقال له الرجل وهو يئن من شدة الالم :

لماذا تضربني يا أمير المؤمنين ؟ ماذا فعلت ؟ قال له عمر : ألم يكفك أنك تحادث امرأة على ملأ من الناس ؟ أليس هـذا منكراً وأنا مأمور بتغيير هذا المنكر ؟ قال له الرجل : ولكنها زوجتي يا أمير المؤمنين . قال عمر : ومن أدراني أنها زوجتك ، ألم تجد مكاناً غير الطريق العام تتحدثان فيه ، أتريد أن تسن للناس هذه السنة السيئة ؟ قال الرجل : نحن لسنا من أهل المدينة يا أمير المؤمنين وقد وصلنا الساعة بعد سفر طويل وأخذنا نتشاور فيما بيننا ونفكر في المكان الذي سنأوي اليه ، وبينما نحن كذلك اذ وثبت عليّ وضربتني بدرّتك . وهنا يعتذر الفاروق العظيم للرجل ويقول له : ما دمت غريباً عن المدينـة ووقوفك في الطريق مع زوجتـك انما كان لضرورة فخذ الدرّة واضربني لأني قد ظلمتك وتجنّيت عليك . قال الرجل : لقد وهبتك ظلامتي يا أمير المؤمنين وجعلتها لله وانك لم تفعل ذلك الا حرصاً على اصلاح أمور الناس وحماية الدين والاخلاق من الفساد والتدهور .

هكذا كان عمر يتسوّر البيـوت ويقتحمها اقتحاماً ، ليضرب على أيدي العابثين ويطهر البيئة الاجتماعية من عبيد الشهوات وضعاف الدين ، وبهذه السياسة التي انتهجها في التقويم والاصلاح سياسة اللجوء إلى القوة لمحاربة الشر والرذيلة ، استطاع أن يبني المجتمع المثـالي الفاضل الذي وإن كان قوامه عناصر من البشر ركـّبت فيهم الغرائز والشهوات . الا أنه أشبه بمجتمع الملائكة والنبيين ، لأنه كان لا يدع الناس وشأنهم فيما يتعلق بسلوكهم الديني والاجتماعي ، بل يعمد الى مراقبة هذا السلوك ودفعه بالقوة في طريق الخير والاستقامة والهداية والنور .

وهكذا نرى أن وقوف السلطة وراء الـكلمة تسندها وتشد من أزرها حتى يتبلور مفهومها ويتجسد في شكل حقيقة واقعة عامل قوي وفعال لترسيخ جـذور القيم الدينية والخلقية في المجتمع وطبع الافراد

بطابع الخير والاستقامة وتعميق احساسهم بقدسية الحق والفضيلة وحتمية التزام السلوك الانساني الأمثل والسير دائماً في طريق النور والهداية . وضربنا أمثلة مستمدة من واقع سياسة بعض الرواد الأوائل الذين رأوا ضرورة الاستعانة بالسلطان في إصلاح ما فسد من أمور البلاد والعباد ، ولكن لا يحتاج إلى استخدام الايدي القادرة المنفّذة على نطاق واسع وبنصيب أكبر الا بالنسبة للمجتمعات التي نشأ أبناؤها منحرفين معوجين لأنهم لم يتشربوا منذ البداية روح الدين ولم يرتاضوا على ممارسة تعاليمه وآدابه منذ أن كانوا أطفالاً ناشئين ، فلو أن هذه البراعم وجدت عند انفتاحها على آفاق الحياة بيئة نظيفة صالحة وجواً رائقاً عبقاً وكان هناك من يتعهدها بحسن الرعاية داخل البيت وفي الشارع وفي المدرسة لما قدّر لها أن تكون فيما بعد عناصر منحرفة ضالة بعيدة كل البعد عن المنهاج السوي الذي يجب أن تسلكه القافلة ، ولما كنا في حاجة إلى تسخير السلطة في سبيل اصلاحها وتقويمها واعادتها إلى الحظيرة طائعة أو كارهة ، ذلك لأنها تنشأ بطبيعتها مستقيمة مهذّبة تتعشّق النور وتكره الظلام ، وتمجّد الفضيلة وتمقت الشر والرذيلة .

ان البيئة التي تتواجد فيها هي التي تورثها خصائصها وصفاتها ، وتمدها بعناصرها ومقوماتها صالحة كانت أو طالحة ، فهي كالتربة ان كانت طيبة أنبتت طيباً وإن كانت خبيثة فلا يخرج نباتها الا خبيثاً نكدا . واذا قيل ان هذا القياس غير مطرد وليس حتمياً في جميع الحالات فإنا نقول إن الشأن في الخير أن يأتي بالخير وان الشر لا يتولد الا عن الشر وان جاز ألا يصدق هذا المنطق أحياناً فإن ذلك لا يقلل من قيمته وفاعليته ، ولا يخرجه عن كونه قاعدة كلية تنطبق على الاغلبية ولا يضرها أن يكون لها شواذ فتلك هي طبيعة القواعد والمقاييس النظرية الخاضعة لحكم الانسان وتقدير الانسان .

اذن فاننا لو وضعنا أسساً اسلامية تربوية لتكوين الاسرة الصالحة وإعدادها وهي في طور النواة إعداداً روحياً وخلقياً لضمنا أن تكون الزهور التي تنبثق في روضها شذية عطرة ومحصنة كذلك في مستقبلها ضد الامراض والانحرافات على اختلاف ضروبها وأنماطها ، ولما افتقرت الكلمة حين انطلاقها الا الى قدر ضئيل من تأييد السلطة الحاكمة لأن عدد المتنكّبين لسواء الصراط سيكون بلا ريب قليلاً ومحدوداً في هذا المجتمع الذي ترتفع فيه نسبة الاسر المزودة بعناصر التربية الاسلامية الفاضلة .

الفصل الثالث

إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق

محتويات الفصل :

١ — ذلكم هو منهج السلف في الدعوة إلى الله .

٢ — إلى المحجة البيضاء التي ليلها كنهارها .

٣ — يجب أن نفهم الاسلام على حقيقته .

٤ — أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة .

٥ — انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم

٦ — الكرامة رأس مال المؤمن .

٧ — لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

٨ — ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً .

٩ — أحلّ الله البيع وحرّم الربا .

١٠— الجزاء من جنس العمل .

١١— من تواضع لله رفعه الله .

ذلكم هو منهج السّلف في الدّعوة الى الله

إن كل الدلائل والبراهين المستمدة من واقع الحياة وشواهد التاريخ وتجارب الأجيال تشير في وضوح لا غبار عليه وصراحة لا مواربة فيها إلى أننا نحن المسؤولون عن النكسة الكبرى التي منيت بها قافلة الإسلام فانقلب أمرهـــا من الزحف والانطلاق إلى التراجع والإخفاق . نحن المسؤولون عن تغير مطلع الشمس – شمس الحضارة والنور – من سمـــاء شرقنا الإسلامي إلى آفاق الغرب المسيحي بعد أن ظلت مصدر إشعاع وهدى لمئات الملايين من أبناء الانسانية بضعة قرون ، إننا نحن المسؤولون لأننا لم نتخذ من أنفسنا عناوين صادقة على مبادىء ديننا ، وفشلنا أن نكون نماذج حية لتعاليم شريعتنا ولأننا انصرفنا عن تبليغ رسالة إسلامنا إلى تحقيق رغائبنا وأحلامنا والسعي وراء أوهام دنيانا ، مما جعل هذه المطامع الشخصية والمغانم الفردية تستعبدنا وتستأثر بجميع جهودنا وسائر نواحي نشاطنا وتبعدنا مراحل شاسعة عن الطريق الموصل إلى الأهداف العليا والمثل الاسلامية الرفيعة ، ولو أننا صهرنا أنفسنا في بوتقة النور التي انصهر فيها الرواد الأوائل وتطهرنا من أدوائنا وتحررنا من أهوائنا ثم انطلقنا هداة مرشدين ودعاة مصلحين نمزق ظلام الشبهات عن آفـــاق ديننا ونرسل الاشراقات التي تشع من هدى نبينا ، لو أننا صنعنا هذا ومضينا نحققه ونطبقه متجردين من جميع المؤثرات والاعتبارات لرجعت

القافلة إلى سالف اندفاعها وعاد مطلع الشمس – شمس النبوغ والعبقرية والمجد والمدنية – إلى مكانه في رحاب الأرض العربية ، ولكن تقصيرنا عن التبشير الواعي بتعاليم الإسلام وعجزنا عن أن نعيش بأرواحنا وقلوبنا وجوارحنا بجميع أبداننا جوهر دستور الإسلام وأسرار سنّة رسول الاسلام في تفان مطلق وتفاعل عميق ، ذلكم التقصير وهذا العجز هما اللذان انتهيا بنا إلى هذا المصير ، وهما اللذان لا يزالان يشكلان أضخم عقبة تعترض سبيلنا نحو الهدف الكبير ، وهذه الصورة الرائعة التي نرويها عن منهج بعض الدعاة الصادقين المثاليين لخير مصداق لمضمون ما أسلفنا من حديث عن سر توقف موج الإسلام عن المد واستحالته منذ مئات السنين إلى جذر مستمر .

لقد خرج نفر من الهنود البيض ممن أخلصوا دينهم لله إلى مناطق نائية من مجاهل افريقيا يبشرون بمبادىء المحبة والرحمة والعدالة والإخاء والمساواة والحرية والكرامة التي يقررها الاسلام ، فأقبل عليهم أفراد القبائل الافريقية الوثنية بقلوب متلهفة إلى النور ونفوس متعطشة إلى السلام والطمأنينة ، ولقد كان سلوك تلك البعثة الهندية الاسلامية مع أبناء القبائل وطريقتها في المعاملة أصدق تعبير عن حقيقة الاسلام وكان له أعمق تأثير في خروج المئات من عالم الظلام .

فقد كانوا يختلطون بالزنوج بصورة لا تكلف فيها ولا اصطناع ، ويصافحونهم ويؤاكلونهم وينامون معهم ويتحدثون إليهم الساعات الطوال ويعاملونهم بكل أدب واحترام مما جعل الافريقيين الزنوج ينبهرون ويسحرون ويذهب بهم العجب إلى أقصاه ، كيف يصدقون أن يمتزج بهم هؤلاء البيض ويندمجون فيهم كل هذا الاندماج متبسطين متواضعين كما لو كانوا لا يختلفون عنهم في لون أو جنس ، ولقد تعوّدوا من الرجل الأبيض الاوربي أبشع ألوان الإهانة والاحتقار وأفظع ضروب التجبّر

والاستكبار حتى أصبحوا وهم أصحاب الأرض الأصليين وسكان البلاد منذ آلاف السنين عبيداً مسخرين وخدماً مسيرين وأصبح أولئك المستعمرون الواغلون الذين لفظتهم القارة البيضاء من وراء البحار السادة الحاكمين وملاّك الزرع والضرع والأصل والفرع من موارد الرزق ومقدّرات الثروة .

وهكذا أخذ الافريقيون يقارنون بين سلوك أولئك البيض المسيحيين وهؤلاء البيض المسلمين ، ولم يلبثوا أن تبينـّوا البون الشاسع بين الفريقين في السيرة والخلق وجميع أنواع السلوك الشخصي الاجتماعي ، ولم يبق إلا أن يعرفوا السر في هذا الاختلاف مع تجانس اللون ، فأقبلوا على أفراد البعثة الهندية الإسلامية يسألونهم من أين اكتسبتم هذا التواضع كله وما الذي طهر نفوسكم من الشعور بالفوارق والامتيازات ، وما الذي جعلكم لا تسبغون على أنفسكم مسوح آلهة من البشر تعيش داخل أبراج عاجية في جو من التعالي والكبرياء وعلى غرار ما يصنع هؤلاء الاوربيون ؟ . . قال المبشرون الهنود : يأمرنا بهذا ديننا الاسلامي الحنيف الذي يقول نبيه الأكرم: (لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى) ويقول : (الدين المعاملة) . ففي ينبوعه الصافي تطهرنا من جميع أدراننا النفسية والخلقية ،وبمبادئه السامية انتصرنا على أنفسنا وتحررنا من سلطان أهوائنا.

وما أن أدرك الافريقيون الزنوج أن هذه النماذج البشرية العالية هي من صنع الاسلام ومن نسيج تعاليم الاسلام حتى أسرعوا يدخلون في دين الله أفواجاً أفواجاً ، حتى أربى عددهم على بضع مئات في أيام معدودات.

وهكذا كسب الاسلام كثيرين من الأبناء الجـدد دون أن يشيد مدرسة أو يبني مستشفى أو ينفق آلافاً وملايين ، اللهم إلا صوراً مشرقة من المعاملة الطيبة والسلوك المهذب وكلمات جميلة فيها لطف ورقة ومودة.

أيها المسلمون في كل مكان .. هلموا الى التعريف بدينكم بمثل هذه الحروف المشعّة وهذا الأسلوب الرفيع في التعامل مع الناس ان أردتم لحركات الفتح أن تتجدّد . . فتح الشعوب وفتح القلوب .

هذا ولم تلبث الأيام أن قدّمت لنا الدليل على مسلك هؤلاء الدعاة الهنود في شكل واقع محسوس مشاهد ، وأتيح لنا أن نرى بأعيننا فوق ما كنّا نسمع من اتّباعهم للمنهج السلفي في الدعوة الى الله وتوطينهم أنفسهم على تحمّل شظف العيش وقسوة الحياة من أجل النهوض بالرسالة المقدّسة التي هجروا الأهل والولد ، وعزفوا عن المباهج وطيّبات الرزق في سبيل حمل لوائها وذلك عندما زار فريق منهم مدينة طرابلس الغرب ، فإنّ كل الذين اجتمعوا بهؤلاء الدعاة واستمعوا الى أحاديثهم وتفهّموا عمق ادراكهم للإسلام وصدق إيمانهم بمقدسات الاسلام ، ولاحظوا عن كثب واقع سيرتهم وسلوكهم وحقيقة شخصياتهم وأخلاقهم ، يؤكدون بصورة قاطعة أنهم يمثلون رجال السلف في زهدهم وتقشّفهم وتقواهم وشدّة تعلّقهم بمبادىء السماء وهدي محمد ،واستعدادهم لكل ألوان التضحية من أجل أعلاء كلمة الله وإشاعة نور الله في جميع الآفاق على أوسع نطاق .

ولقد استيقن الناس بأن هؤلاء الأناسي أمثلة سامية للدّعاة المخلصين والمؤمنين الكاملين ، فهم ينامون في المساجد ويأكلون من أموالهم الخاصة ولا يقبلون من أحد أية مساعدة تمتّ الى الرّفاهية ولين العيش بأي سبب كإمدادهم بالفرش والوسائد وإكرامهم بشهي الموائد ويقتصدون من أقوات أولادهم وعائلاتهم ما يستطيعون ليتمكّنوا من الطواف بالارض منادين بتوثيق أواصر الاخوّة بين أبناء الاسلام وتعميق الاحساس بوجوب البذل والكفاح من أجل التبشير برسالة الاسلام ، وهبوا أنفسهم لله وأخذوا على أنفسهم عهد بالجهاد في سبيل التعريف بدين الله وتبصير الناس بتعاليمه وتصحيح المغلوط من مفاهيمه ، والعمل بجميع الوسائل لإيجاد لون من التعاون المخلص البنّاء بين الشعوب

المنضوية تحت لواء الاسلام .

إن هؤلاء الهنود الذين تلقّوا أصول الدعوة الاسلامية على روادها الاوائل من العرب واستقبلت قلوبهم أشعة الهداية على أيدي العرب باعتبارهم أمناء الوحي وأساتذة المدرسة الاولى التي رفعت قواعدها على أرض الجزيرة ، هؤلاء الهنود وغيرهم من المسلمين الاعاجم هم الآن أشد تحمّساً للاسلام من العرب حملة مشاعله الأولين ، وأعظم غيرة على تعاليمه المضيئة الهادية وأكثر استعداداً للتضحية من أجل إعادة المجد الاسلامي من جديد وتحقيق البعث الأكبر الذي تتطلع اليه مئات الملايين من أمة التوحيد . اننا نقرر هذه الحقيقة المنبثقة من صميم الواقع في أسف عميق ولكننا لا نملك الا أن نعلنها على رؤوس الاشهاد لأنها تجسيد حسّي لواقع أتباع محمد في هذا العصر الآلي الذي استحالت كل لحظة من لحظاته وكل حقل من حقول حياته إلى حلبة تنافس وسباق وميدان تجارب وانطلاق .

لهذا فإننا نستصرخ الفرد المسلم العربي أن يتّخذ من هؤلاء الاعاجم أسوة له ، ويضحي ولو بقليل من الوقت والمال والجهد لصنع الغد البهيج المشرق ، ولتنبعث في نفسه ذكريات الماضي ملهمة ايّاه بأنه أول من حمل الرسالة وأخذ على عاتقه النهوض بأعباء الامانة ، فلينتفض من جديد لينهي فصول الرواية الحزينة بتمثيل رواية جديدة من أروع روايات المجد والعظمة في تاريخ الانسان .

أبو يوسف الكويتي

الى المحجة البيضاء التي ليلها كنهارها

ان السبيل الذي رسمه الاسلام للمؤمنين هو المحجة البيضاء التي وصفها رسول الله بأن ليلها كنهارها، فهي مشرقة أبداً لا عوج فيها ولا أمتَ، يسلكها المؤمن فيرشد ويهتدي ولا يزل ولا ينحرف ولا يتيه ولا يعتسف ، وذلك كل ما يرجوه الاسلام لأتباعه أن ينتظم خط سيرهم في الحياة وأن يستقيم على الطريقة المثلى ، تحررٌ من الاهواء وتغلـّب على سلطان الغريزة وتفان في طـاعة الله ورسوله تكسبهم رضـا الله ومحبّة الناس ورّب الناس . ثم عملٌ يتوافر فيه عنصر الاخلاص والتجرّد لا يبتغي به الا وجه الله وخـير العباد والبلاد وخدمة الانسانية . وبعد هذا كفاح بكل سلاح في سبيل القضاء على قوى الشر وسحق عوامل الفساد وأسباب الظلم في محيط الافراد والجمـاعات ، والعمل على تمزيق ليل الجهـالة والرجعية ، وجعل العقول البشرية تعيش في نهار دائم وفيض من نور لا ينقطع ، وكذلك كانت الطلائع الأولى من حملة مشاعل الدعوة يجاهدون بالسيف والقلم من أجل صنع عالم جديد لا يسمع فيه إلا صوت الحق والفضيلة ، ولا ترتفع في سمائه الا راية العدل والمساواة ، ولا تتفتح في أرجائه إلا أزاهير الخير والرحمة والمحبّة ، ولا تسود فيه الا مبادىء الاخاء والحرية . لا تمرّد ولا عصيان ، ولا تسلـّط ولا عدوان، لا تفاضل ولا امتياز ، ولا سادة ولا عبيد ، الكل من ادم وآدم من تراب .

أجل . . لقد وضع روادنا الاوائل قواعد هذا العالم المثالي السعيد وقطعوا شوطاً بعيداً في إقامة بنيانه وتشييد أركانه ، غير أن الخلف لم ينهجوا نهـج

السلف فأدركهم الوهن وعدت عليهم عوادي الزمن ، وعاد الليل فخيّم على آفاق الحياة . ولولا طائفة صالحة هنا وهناك لم تتنكب سبيل المؤمنين ولم تحد قيد أنملة عن منهاج الكتاب المبين وسنّة النبي الأمين لاكتسح الظلام كل القلوب ، وعصفت المحنة بجميع الشعوب .

وما دام الكنز لا يزال لامعـاً ساطعاً لم يتغيّر ولن يتغيّر مصداقاً لقول الكتاب المكنون : ﴿ إنا نَحْنُ نَزَّلْنا الذِّكْرَ وإنّا لَهُ لَحافِظُونَ ﴾ فان تلك البقايا الصالحة من الجمـاعات المؤمنة تستطيع أن تلم شعائها وتجمع شتاتها وتجنّد جميع طاقـاتها ، ثم تستأنف البناء والتشييد وتعاود الزحف من جديد مترسمة خطى الآباء مستهدية بتعاليم السماء ، مستهدفة بعث الانسانية جمعاء الى عالم كله إشراق وضياء يختفي فيه ضجيج المادة ويعود فيه سلطان الروح فيتحكم ويسود ويوجه ويقود ، ولا بدع أن يجتمع الشمل الممزّق ويلتئم الجمع المتفرّق ويستقيم الخط المائل المنحرف ويعود الصف الى سالف وحدته قوياً مرهوباً ، يملك أن يقول ويستطيع أن يفعل ، ولكن لن يتحقق هذا الحـلم الوردي الجميل إلا إذا غيّرنا أوضاع حياتنا المنحرفة تغييراً جذرياً ، وانتصرنا على ماديّتنا انتصاراً كلـيّاً ، وأصبحت هذه المئات من الملايين أخوة في السراء وفي الضرّاء ، قوة متماسكة ضاربة في الحرب والسلام ، يستلهمون كتاب الله كل كبيرة وصغيرة ، ويستوحون هدي محمد في جميع ما ظهر وما بطن ، فيومئذ فقط لن تقف أمـامهم قوة مهما كان جبروتها ولن يردّهم الى الخلف أي جيش مهما امتلك من أسلحة الدّمار ، ولن يعوق زحفهم عائق مهما حشد في طريقهم من وسائل التعويق ، لأن الله وعدهم النصر إذا هيّأوا ظروفه وأسبابه ، والله عز وجل لا يخلف الميعاد ، ولن يخذل عباده المؤمنين إذا اتّبعوا سبيل المؤمنين.

يجب أن نفهم الإسلام على حقيقته

ليس من الاسلام أن يتحدث قوم باسم الاسلام متطفلين ، وينسبون اليه ما ليس منه منتحلين مفتعلين ، يقولون للناس: هذا حلال وهذا حرام وهم أجهل العالمين بالحلال والحرام يرغبون ويرهبون ، ويحذرون ويبشرون كأنما هم بمفاتيح الغيب ماسكون ، وعلى خزائن رحمة ربك مسيطرون ، ولوسائل الثواب والعقاب مالكون ، ابتلي بهم العامة فزادوا عقولهم تجمداً وتحجيراً ، وصوروا لهم الاسلام سجناً كبيراً ، وهم يصدقونهم في كل ما يقولون ، ويؤمنون على كل ما يقرون كما لو كان تنزيلاً من التنزيل ، وما هو في الواقع الا تدجيل وتضليل ، وقد خلق هؤلاء المتعاملون من حولهم أشياعاً ومريدين يتباهون بهم ويفاخرون ، كل علم غير علمهم جهالة ، وكل هدى غير هداهم ضلالة ، ومن بينهم خطباء يصعدون المنابر فيصولون ويجولون ، ويدخلون النار من يريدون ، ويفتحون أبواب الجنة لمن يشاءون ، كأن الله وكل اليهم تصنيف عباده بين منعم ومعذب وشقي وسعيد وجعلهم في الدنيا نوابا لمالك ورضوان ، حتى بات كثير من الشباب المؤمن يهجرون المساجد التى اتخذها هؤلاء مركزاً لدعوتهم المصطبغة بصبغة الاسلام وهي حرب على الاسلام .

قال أحدهم في خطبة العيد : ان من يكشف رأسه كافر ، ومن يرتدي البذلة الفرنجية كافر ، وظل يردد هذا القول في دروسه ومجالسه دون خجل او وجل ، وبعملية حسابية بسيطة يتضح أنه لم يبق من مئات الملايين المسلمة على

ولاءهم لدين محمد الا فئات قليلة ممن يرتدون العباءات والجلاليب ، أما غير هؤلاء من عراة الرؤوس ومرتـــدي الزي العالمي السائد في جميع الامم المسلمة أبيضها وأسودها فقـد صدر عليهم حكم هذا الدّاعـية المصلح بأنهم خارجون عن حظيرة الاسلام ، كأنما الدين الاسلامي دين أزياء ومظاهر ، وهو الذي يقول أستاذ مدرسته الاولى ﷺ : (ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم .)

فهذا الدين لا يحفل بالشكل ولا يقـيم وزناً للظواهر لأنها مجرّد ظلال وقشور وإنما كل همه أن يكون الباطن نظيفاً مشرقاً بالنور ، وأن يكون العمل صالحاً مشبعاً بروح الاخلاص فيه تجرُّد واحتساب .

ويمضي هذا (العالم المحدث المفكّر والخطيب المرشد) في تجنّيه على الاسلام ، وطمسه لحقائق تعاليمه المشرقة فيقول لبطانته وأتباعه : ان من يصدّق خرافة الصواريخ والأقمار الصناعية التي يزعمون أن الأجانب يرسلونها الى الفضاء الأعلى استطلاعـاً لأخباره واستجلاء لأسراره فهـو كافر .. لأن ذلك عنـاد لقدرة الله ومحاولة لاستكناه أمور غيبية استأثر بها علم الله ، والتصديق بهذه الأساطير لا يختلف عن الاعتقاد بوجود شريك لله في ملكه والتصرُّف في شئون خلقه .

وأنى لمثل هذه العقلية المتخبّطة في ليل دائم لا يعقبه صباح ، أن تدرك أن عملية غزو الفضاء ليست إلا آيات جديدة باهرة تزيد المؤمنين إيماناً وتقرّر بمنطق العلم الذي لا يخطىء عظمة قدرة الله وعجز الانسان مهما سما عقله واتّسعت دائرة معـارفه ، وأن صواريخه وأقماره وطائراته ومركباته لا تعدو أن تكون مجرّد ذرات صغيرة بالقياس الى الاجرام العلوية الهـائلة السابحة في آفاق الفضاء اللانهائي .

وأنى لمثل هذه العقلية أن تعي بأن كل مخترعات البشر ما يسير منها

وما يطير وما ينتقل عبر الاثير وكل كبير منها وصغير إنما هو إلهام من الله وأن العقول التي أبدعته انما هي من صنع الله وأن عناصره وأجزاءه التي يتألف منها انما هي من الطبيعة ، والطبيعة من خلق الله ، والانسان كله بجسمه وعلمه وروحه وذكائه وغبائه ونبوغه وعبقريته انما هو مخلوق لله ، فهل يبقى له بعد هذا ابداع واختراع اللهم الا كونه مجرّد سبب وواسطة ، أظهر الله على يديه هذه الألوان الجديدة من الخوارق والمعجزات التي كانت سراً محجباً في ضمير الكون ولغزاً كامناً في جوف الطبيعة .

وبدلاً من أن يبارك دعاة الاسلام تطوّرات العلم وآيات الاختراع لأنه دين يمجد التقدّم ويدعو الى البحث والاستقصاء ، وينادي بالنظر في ملكوت السموات والارض (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم) .. ﴿ إنَّ في خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَالفُلْكِ الَّتِي تَجْري في البَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ . وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السماءِ مِنْ ماءٍ فأحْيى بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَبَثَّ فيها مِنْ كُلِّ دابّةٍ وتَصْرِيفِ الرِّياحِ وَالسحَابِ المسخّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

بدلاً من مباركة هذا الزحف العلمي والاستجابة الواعية لهاتف العصر تنطلق بعض الأصوات المبحوحة جاحدة منكرة ساخطة ناقمة ، تتهم بالالحاد والكفر من يؤمن بانتفاضات الانسان وتستمطر عليه خزي الأرض ولعنة السماء ، لأنه اقترف جرم الايمان بالانطلاقة الحضارية الجبارة ، ولأنه نسب الكمال للاسلام وارتفع به عن قوقعة التفكير الرجعي الانهزامي الذي كان يفرض سلطانه على رجال الكنيسة في القرون الوسيطة المظلمة .

ونحن نربأ بالاسلام أن يهبط الى هذا المنحدر ، نربأ بالاسلام أن يحارب الافكار التقدمية المتوهجة وأن يقاوم الارادة الانسانية المبدعة ، لأنه جاء ليبعث البشرية خلقاً جديداً ، والعلم هو أضخم طاقة لتحقيق هذا البعث

الانساني ، فكيف يناقض الاسلام نفسه ؟ كيف يدعو الى شيء ثم ينكر وسائله ؟ اللهم الا اذا جاز أن تحدث النتائج بلا مقدّمات ، وتوجد المسبّبات بلا أسباب .

فما لهؤلاء القوم يستكثرون على قدرة الله صنع الخوارق والاعاجيب وهو الذي يقول في محكم التنزيل : ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمٰوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً ﴾ او انهم مشفقون أن لا تصمد تعاليم الاسلام أمام تطورات البحث العلمي وإشعاعات العقل البشري ، إن كانوا يعتقدون ذلك فهم واهمون بل هم جاهلون . فإن الاسلام واثق من نفسه لا يخاف أية انتفاضة فكرية لأنها في الواقع استجابة لداعيه ، ولا يرهب أي نصر علمي لأنه تطبيق لمبادئه وتلبية لمناديه ، فهو الدين الذي شرع لتحقيق سعادة الانسان في الحياة وما بعد الحياة ، وهو الدين الذي أوتي سر البقاء وطبيعة الخلود ، انه لا ينكر على أبناء البشر أن يلتمسوا أسباب النعيم وأن يستمتعوا بطيّبات الرزق وزينة الحياة ، على أن لا يتجاوزوا في ذلك القصد ويتعدّوا الحدود ، وأن يكونوا الى جانب ذلك خاضعين لسلطان أرواحهم بقدر مقدور ، يطيعون الله ورسوله ويهجرون الخبائث ما ظهر منها وما بطن ولا ينحرفون ولا يضلون ، ولا يقولون ما لا يفعلون ولا يدّعون ما لا يعلمون ، مادية غير طاغية ولا ملحدة ، كلها حلال طيب مع شكر واهبها بصدق وإخلاص ، وروحانية مؤمنة معتدلة غير قاسية ولا متغالية ولا متجرّدة ولا محرومة .

ذلك هو المنهج الوسط الذي اختطّه الإسلام لأتباعه دون أن يغمط أي الحياتين حقها او يخلق من الانسان ملاكاً أو يهبط بالانسان الى حضيض الحيوان ، ولا يضير المسلم بعد ذلك أن يؤمن بامكانية وصول البشر الى القمر او غيره من الكواكب السابحة في الفضاء ، بل ان مما يزيد الاسلام سمواً وعظمة ويزيح كل الحواجز والحجب

أمام عشرات الملايين الأخرى الذين قد يخرجون من ظلامهم الى نوره ، وقد يستبدلون نظامهم بدستوره ، حين يقفون بصلاحيته لكل زمان ومكان ويؤمنون بما يكمن في جوهره الاسمى من روح تقدمية متطلّعة الى الآفاق المضيئة والاجواء المشرقة .

اللهم جنّب الاسلام شر أدعيـــائه من الجهـــلة المتطفلين الضالين المضلين ، وارزق عالم الاسلام بنخبة يفهمون الاسلام .

أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ

ليس من الاسلام أن يعمد قوم الى الاسلام فيضيقون الواسع من آفاقه ويطمسون جوانب إشراقه ويسلبون رياضه وجنّاته كل ما تحفل به من رياحين وورود ويملؤنها بتهويلهم وتضليلهم أشواك قتاد لا منظر ولا عبير بل نار وجحيم وعذاب أليم وإرهاب ووعيد ونكير شديد .

أجل . . ليس من الاسلام أن تعكس حقائقه ومفاهيمه ويجعل سجناً رهيباً عليه زبانية غلاظ شداد لا يتسامحون ولا يرحمون ، أليس ذلك مدعاة للتنفير ونبي الاسلام يدعو الى التبشير ؟ أليس ذلك منتهى التعسير ، ونبي الاسلام ينادي بالتيسير ؟ أليس ذلك غاية في القسوة وصورة قاتمة للتضييق والتشديد ، ونبي الاسلام يوصي بالرحمة والتسامح ويؤثر المقاربة والتسديد ؟ .

أيها الاخوة المسلمون .. ان العنف طريق مسدود الى تحقيق الخير والاصلاح ، أما الطريق المفتوح الواضح المعالم الموصل الى الغاية فهو الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، بالكلمة الطيبة ، بالقدوة الصالحة لا بالوعيد ولا بالتهديد ، ولا بالويل ولا بالثبور وعظائم الامور ، فذلك منهج أدعياء الاصلاح من الجاهلين الفاشلين الذين يسيئون الى الاسلام أضعاف ما يحسنون اليه ، ويوجهون اليه بأساليبهم القاسية العنيفة الضربات والطعنات من حيث لا يعلمون ، ولولا ما استقر في طبيعته من عناصر البقاء ، وما أودع في جوهره من أسرار الخلود ، وما أُحيط به من

عوامل القوة وأسباب المنعة لتداعى وانهار بفعل هؤلاء الاقزام السطحيين المتعصبين ، وتحت تأثير خصومه الحاقدين المتربصين ، ولكن يأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

إن هؤلاء المتشدّدين الذين يهملون الوعد وينشرون الوعيد يزيدون كل يوم من مغارم الاسلام ويقلّلون من مغـانمه ، وهم الذين طوحوا بحصيلة خمسة قرون من المكاسب الفكرية الضخمة والامجاد التي ضاقت عنها سجلاّت التاريـخ عندما عمدوا الى المفكّرين الاحرار والنّوابغ اللامعين يحرّضون عليهم الخلفاء الجهلة فيعلّقونهم على المشانق أو يطيحون برؤوسهم بالسيوف ، حتى عوّقوا بهـذا الصنيع الرجعي وهذا الجمود المميت انطلاقة الزحف الحضاري الاسلامي ، وعجلوا غروب الشمس من دنيا الشرق لتطلع هناك في آفاق الغرب إيذاناً بافلات زمام القيادة والسيادة من أيدي المسلمين وانتقالها الى قوم آخرين كانوا في غياهب الجهل يعمهون .

أيها الاخوة المسلمون .. إننا لا نريد أن تتكرر المأساة ، لا نريد أن تصنع الرجعية ارتكاسة تاريخية جديدة ، إنمـا نريد المزيد من القلوب المؤمنة ، نريد أن تتضخّم أسرة محمد ويقوى الترابط بين أفرادها ويجد التفكير الحر البيئة الصالحة والاجواء الرحيبة كي يخلق ويبدع ويسهم بدور كبير في تقرير المصير ، مصير الأمة المجيدة المتطلّعة إلى غد مشرق بهيج . وقد رسم نبيكم محمد عليه السلام منهج الدعوة الى الله حين قـال : إنّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِين .

إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم

ليس من الاسلام أن يكون المرء فظاً غليظ القلب ، ويكون بياض نهاره عبوساً مقطب الجبين لا يشرق ثغره بابتسامة ولا يتـألق جبينه ببشر ، اذا بايعته يقتصر في حديثه معك على كلمات جافة ينتزعها من بين شفتيـه انتزاعاً ، كأنما الحروف التي ينطقها حبات من لؤلؤ تتناثر من فمه على الارض فتضيع ويفقدها إلى الابد ، فهو لذلك لا يـكاد يبين وبالكلام المباح جد ضنين ، ولو أنه فكـّر وقدّر لأدرك واستيقن بأن سر النجاح في الحياة أن يتفاعل الانسان مع أفراد المجتمع ، ويوطىء لهم كنفه في رقة وسماحة ، ويخفض لهم جناحه في غير مذلة ولا استخذاء ليجتذبهم بلطفه اليه ويجعلهم يقبلون عليه ، وبذلك يكسب المزيد من العملاء ويضمن الرواج لمبيعاته او صناعته .

وأصحاب الوظائف الاجتماعية الحرة من أرباب المهن على اختـلاف أنواعهم عليهم أن يحطموا ما يتولد في أنفسهم بحكم البيئة وفعل الوراثة من طباع جافـة غير مهذبة ، وأن يروضوها ما استطاعوا على السلوك الاجتماعي المهذب الذى يتمثل في الكلمة الطيبة ولو لمن لا يستحق ، والرد الجميل وإن كان يقتضي السير في غير هذا الاتـجاه إرضاء للهوى واستجابة لصوت العواطف .

ان الغلظة خلق وحشي وعر ، لا يجمل بأي إنسان متمدّن أن يعيش عبداً له ، وقد جاء الاسلام يحارب هذا الخلق بالرغم من أنه انبثق من بين شعاب مكة ومن قلب صحراء الجزيرة حيث يغلب على الحياة طابع البداوة . فهذا الرسول صلى الله عليه وسلم يقول في وصف المؤمنين : (هم الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون) ويقول : (رحم الله امرءا سمحاً اذا باع ، سمحاً اذا اشترى ، سمحاً اذا قضى ، سمحاً اذا اقتضى) ويقول أيضاً : (البر حسن الخلق) .

ويصوّر الدين بكلمة واحدة تنتظم آلاف المعاني والمفاهيم فيقول ما معناه : (الدين المعاملة) .

ألا ترون كيف يحدد النبي صلى الله عليه وسلم عناصر شخصية المؤمن وكيف يرسم له خط سيره ، وكيف يغرس في نفسه الفضائل الاجتماعية السامية ، فهو لين مهذب محبوب وليس بمرهوب ، يألف الناس ويألفونه ، ثم هو سمح في بيعه لا يغش ولا يدلس ولا يكذب ، ولا يقسم الايمان حانثا ولا يجاوز القصد في الحديث ليضمن ترويج بضاعته ولا ينفعل ولا يحقد اذا سامه أحد وكايسه ثم تركه ولم يشتر منه ، بل انه يشيعه متلطفا ضاحكا ويشاركه في مسح الخجل الذي اعتراه ، وهو سمح اذا اشترى لا يفرط في المكايسة حتى يتجاوز حد المعقول ولا يزعم لصاحب السلعة أنه وجدها عند سواه بثمن أرخص ، وهو في ذلك من الكاذبين ولا يشهّر برب البضاعة ان ساءه من أمره شيء ، أو بدر منه نحوه أي تصرف لم يعجبه ولم يرتح اليه ، اذ أن كل انسان معرض للخطأ مهما تكاملت شخصيته ، وهو سمح اذا قضى فلا يماطل في تسديد ديونه ، ولا يتهرب من دائنيه ، كأن يتوارى في البيت وإذا طرق بابه أحد الغرماء يطلب حقه أوعز لزوجته أو طفله بأن يقول للدائن

انه خرج ولم يعد ، وبالاضافة إلى مـا في هذا السلوك من اعوجـاج والتواء ومجافاة لروح السماحة ومنافاة للرجولة الحق ، فانـه ينطوي على جانب كبير من الخطورة من الناحية التربوية والأخلاقيـة ، فهو يعطي دروساً للأطفال في الكذب ، ويبصرهم بالأساليب الملتوية فينشأون على هذا الخلق ويتشبعون بهذه الروح ، وبئس هذا ميراثاً يرثه الأبناء عـن الآباء ، ولو أن هذا التصرف الذي يلجأ اليه المماطلون يتيح لهم إفلاتاً من الدائنين إلى الأبد لالتمسنا لهم العذر ، ولكنه علاج لا يستأصل الداء ولا ينتهي بالمريض إلى شفاء .

والمؤمن سمح إذا اقتضى ، فلا يضيق الخناق على المدينين ولا يحمّلهم ما لا يطيقون دون أن يحسب لظروف الإعسار التي يمرون بها أي حساب ، ولا أن يلح في الطلب ويتعسف ويشتد جاعلاً كل همه الحصول على ماله غير مبال بما سيؤول اليه أمر المدين المسكين .

ان السماحة التي اعتبرها الرسول خلقاً أصيلاً في المؤمن تحتم على الدائن أن يكون معتدلاً في مطالبته بحقه نبيلاً في معاملته للمدين ، لا يرهقه من أمره عسراً ، ولا يكون حريصاً على تجريده من جميع ريشه وتركه عارياً لا يملك أي حصانة ضد الجوع وضد الصقيع لا لنفسه ولا لأبنائه .

وإذا كان معلم الناس أمثل مناهج الحياة يجعل الدين بما فيه مـن نظم وتشريعات محصوراً في المعاملة فما بقي لمنحرف عن هذا السبيل الأقوم من عذر وما بقي لمتعجرف جاف الطباع من سبب يسوّغ مسلكه في الحياة ، ان الله عز وجل يقول لنبيّه « وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لانْفَضُّوا مِن حَوْلِكَ » لأن الفظاظة والغلاظة كلتاهما خليقة غير مستحبة تنفر الناس وتبعدهم ، فينصرفون ويهربون ، والله يريدهم ان يتآلفوا ويقبلوا على دينه الحنيف يعتنقونه ، ولذلك وهبه جمـال الخلق وسماحـة النفس

ورقّة الطباع ، حتى يتسع صدره لجميع الناس مؤمنهم وكافرهم، المعوج منهم والمستقيم ، الشرس منهم والوديع ، الكل يجدون لديه من التسامح واللين والمرونة واللطف ما يزيد ايمان المؤمن ويفجر النور في قلب الكافر ويحول الفاجر إلى بار والطالح إلى صالح والمنحرف إلى مستقيم : « إنّكُمْ لنْ تسَعُوا النَّاس بِأموالكم فَسَعوهُم بِأخلاقِكُم » ذلك هو مقياس المؤمن الكامل .. أن يعايش جميع الناس ويتقبلهم على مثالبهم وعيوبهم ، لا يسيء وإن أُسيء اليه ، ولا يتجنى وإن تجني عليه ، يصبر ويحتمل ويتذرع بصمام الايمان وهو ضبط النفس ومغالبة الهوى وكبح جماح النزعات الانتقامية الشريرة .

انه ليس من الاسلام أن تصطنع الحزن وأنت غير حزين ، وتضع على وجهك قناعاً أسود وقد وهبك الله صفاء الاديم . ان شمائل المؤمن وسجاياه وطباعه يجب أن تكون أرق من النسيم لأن له رسالة ، وحملة الرسالات ملائكة في صورة بشر ان المفروض في كل مؤمن أن يكون مصدر إشعاع للضياء ونموذجاً رفيعاً للقدوة الصالحة ، فلا يكون شديداً حتى يخاف ويرهب ويتجنبه الناس تفادياً لشراسته وجفاف طبعه وهروباً من الجو الخانق الذي يحيط به نفسه ، ولا يكون ضعيفاً مهزوز الشخصية طري العود حتى يزدرى ويحتقر ويطمع فيه ، ومن يكن مع الناس رقيقاً مهذباً لطيفاً محمود السيرة ، ومع أهله انساناً آخر غريب الاطوار تخشع له الأصوات وتكتم الانفاس إذا دخل ، وتموت البسمات على الشفاه وينطفىء المرح الطافح على الوجوه كما لو كان أحد الزبانية خرج من جهنم بإذن من مالك . هذا الانسان المزدوج الشخصية المتناقض السلوك ليس هو بالخير وإن اشتهر بين الناس بالصلاح والخير ، وليس هو بالقوي وإن تظاهر بالقوة في بيته ، وليس هو بعظيم وإن أسبغ على نفسه رداء العظمة ، انما الصالح وانما الخيِّر وانما العظيم هو من ينهج في بيته مع زوجه وأطفاله وأقاربه

نفس المنهج الذي يسلكه في المجتمع ، بل إنه يكون مع أهله أكثر مرحاً وانطلاقاً ، ولا يغتصب حرياتهم ولا يفرض عليهم ما يضايقهم ويقلقهم من أنواع السلوك والقوانين التي يطيب لبعض الآباء أن يشرعوها وتكون نافذة المفعول في مملكته الخاصة . ان على هؤلاء أن يتأملوا مضمون القول النبوي الكريم : (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي) ، وهل أتاك نبؤ الرجل الذي استدعاه عمر لينصّبه والياً على أحد الامصار فلما رأى الفاروق يلاعب أطفاله ، هذا يركب على ظهره وذاك يتعلق بعنقه وآخر يمسك بلحيته استهجن هذا المشهد وخيّل اليه انه يزري بمقام الخلافة ويحط من قدر أمير المؤمنين وقال لعمر : كيف تسمح لهؤلاء الصبية أن يفعلوا هكذا ؟ قال له الفاروق : اذهب فمثلك لا يصلح للولاية ، انك لن تكون مع الناس أحسن منك مع أهلك .

هذه لقطة رائعة من مدرسة عمر التربوية العليا ، هي أبلغ عظمة لأولئك الذين يكونون خارج البيوت غيرهم في داخلها ، وأروع مثل لسلوك المرء في منزله نحو أهله وأبنائه .

ومن أمثلة الغلظة وسوء المعاملة التي أفردنا لها هذا الحديث .. أن أحدهم قال لتاجر مسلم : كم ثمن هذا الثوب ؟ قال التاجر : جنيهان ونصف الجنيه . قال الرجل : أتبيعني اياه بجنيهين ؟ قال التاجر في غضب : ثمنه خمس جنيهات ، خذه وإلا ضعه في مكانه واذهب . قال الرجل : أعطيك جنيهين وربع الجنيه وهو ثمن مناسب ، وهنا اشتد غضب التاجر وثارت ثائرته فانتزع الثوب من يد الرجل بعنف وصرخ في وجهه : والله لا أبيعك إياه ولو دفعت لي ألف جنيه .

وما هذه الحادثة إلا مجرد (عيّنة) ، مثل لما يمثل كل يوم على مسرح المجتمع من حوادث تنافي نظام المعاملة الذي شرعه الاسلام داعياً الى التحلّي

بخلق السماحة في البيع والشراء والأخذ والعطاء وفي كل تفاعل اجتماعي بين الافراد والجماعات ليزداد الشعور بالثقة ويتم تبادل المنافع في جو مفعم بالود والاخوة ، ويتضاءل رصيد المجتمع من المشاكل والخلافات ، وتنطفىء نار المشاحنات والخصومات .

أيها المسلم . . إن كنت تحب أن تعيش في حظيرة الاسلام وينعم قلبك بنور الاسلام وتضيء حياتك مُثل الاسلام ، فإن الغلظة والجفاء والقسوة والخشونة والانفة والعجرفة واشاعة الرهبة والفزع في البيوت ، كل هـــذه ليست من الاسلام ، لأن الاسلام دين اللطف والسماحة والمرونة والمجاملة .

الكرامة رأس مال المؤمن

ليس من الاسلام أن تبتذل نفسك وتزج بها في مواطن الهوان من أجل تحقيق مأرب أو الحصول على مكسب أيا كان هذا أو ذاك ، إذ أن هذا السلوك هبوط واتضاع لا يرضاه محمد لأتباعه ؛ بل لا ترضاه الإنسانية لأبنائهـا الذين يحرصون على اعتناق فضائلها وتفيؤ ظل دوحتها الطيبة .

أما محمـد رسول الله فيقض مضجعه في روضته النورانية ويزعج روحه في آفاقهـا العلوية أن يذل نفسه أي فرد من أمته ، ويضع عن رأسه تاج عزّتها في سبيل أن يشبع أو يحتطب لجيبه مالاً قلّ أو كثر ، أو ينال منصباً كبر أو صغر ، فلأن يأكل النار خيراً له من أن يتنكّب طريق الشرفاء الأحرار ، ولأن يظل طول عمره نكرة من النكرات ، خير له من أن يلتمس الشهرة والجاه بإراقة ماء الجبين على الأعتاب والأبواب ونثر ورود الثناء وذرف دموع الاستجداء بين أيدي الكبراء وأرباب الثراء .

ان الكسرة الجافة التي تحصل عليها دون أن تبذل ثمناً من شرفك وعزّتك وخلقك ودينك هي أفضل من مائدة الحواريين التي يكلّفك الوصول اليها التضحية بشيء من القيم والمبادىء والمثل الرفيعة التي هي

شعار المؤمن الحق ، ومتى تجرد من هذا الشعار الذي هو نفس كبيرة وهمّة عالية ، وطهر ونزاهة ، وتسام عن خوض المستنقعات ، وإحساس بالكيان الذاتي للشخصية ، فانه لم يعد حقيقاً بشرف التكريم والتفضيل الوارد في محكم التنزيل .. ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي البَرِّ والبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا ﴾ .

إن الكرامة هي رأس مال المسلم ، وكل انسان عاقل لا يستهتر برأس ماله مهما كانت دوافع الاغراء ، أما من يسحره بريق الطمع ويبهره بهرج المركز والمنصب فيغامر بهذا الكنز الذي هو قوام شخصيته وعماد إنسانيته وسر كمال دينه ، فهو مخلوق ماتت فيه جوانب الاحساس فلم يعد يحفل بالابتذال ، ولم يعد يهتز للاهانة ، ولم يعد يشعر بالنقيصة واللطمة توجه اليه ، وإنسان ينحدر الى هذا الدرك أصبح لا يختلف عن الدواب الصمّ البكم ، كل همّه أن يفوز بتحقيق المزيد من المآرب والمكاسب ولو على حساب كرامته وانسانيته وشرفه ودينه ، تماماً كالدواب تتخطى الحواجز الى الحمى الممنوع لما فيه من خصوبة المرعى ولا يضيرها بعد ذلك ان تطرد وتضرب .

وهذا رسول الله يقول لحكيم بن حزام الذي ألح على الرسول في العطاء [1] : (يا حكيم اليد العليا خير من اليد السفلى وان علو الهمة من الإيمان) ولم يقل رسول الله لهذا الصحابي ذلك بخلا بالمال ، فهو عليه السلام أسخى من السحابة الممطرة وأجود من الريح المرسلة ، وانما كان يريد أن يغرس فيه فضيلة الاعتماد على النفس ويهديه الى التماس

---

(١) كان ذلك عند تقسيم غنائم هوازن بعد معركة حنين .

الرزق بعرق الجبين وكدّ اليمين ، لأنها طريق الشرف والعزة والكرامة ، والعظماء الخـيّرون هم الذين يسلكون هذا الطريق .

أيها المسلم .. كن عالي الهمّة عفّ الضمير مرفوع الهامة في غير كبرياء ، متسامياً عن مواطن الذّلة والمهـانة والوحل ، ولا تجعل كرامتك ثمنـاً ولو لكنوز الدنيا مجتمعة ، فان المكاسب المادية مجرد ظلال زائلة ، أمـا القيم المعنوية فوسام شرف وفخار خالد لخلود الحياة ، وباق بعد الحياة .

لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه

ليس من الاسلام أن يكون الانسان نرجسي الطبع عاشقاً لنفسه مقدّساً لذاته ، يضع مصالحه الخاصة فوق كل اعتبار ، ويسعى من أجل تحقيق غاياته الفردية ليل نهار ، لا يتعدى تفكيره محيط رغباته ولا يسبح إلا في آفاق مشاريعه ومخطّطاته ، كل همّه أن يعيش ولو مات جميع الناس ، ومنتهى امله أن يسعد ولو شقيت البشرية جمعاء ، لا يتورع أن يصل الى أغراضه ولو على حساب الآخرين ولا يسوؤه أن يصعد درجات السلم ولو أسخط بذلك جميع العالمين .

أجل .. ليس من الاسلام أن يكون الانسان عبد أطماعه وشهواته ، وأسير منافعه ورغباته لا يتألم لآلام غيره ، ولا يهتز قلبه لأفراح سواه ، ولا يرى في مرآة حياته إلا صورته ، يسره إن نالها مغنم ويأسى ان أصابها مغرم ، أما مغانم الناس ومغارمهم فلا تحرّك فيه عاطفة ولا تبعث فيه شعوراً بالفرح أو الترح ، إنه يأخذ ولا يعطي ، وينتفع ولا ينفع ، يحب أن يستفيد ولا يحب أن يفيد خلافاً لما تحتمه قوانين المجتمعات الانسانية من أخذ وعطاء واستقراض واقراض ، وتفاعل وانفعال ، وتبادل للمنافع في غير أثرة ولا استغلال ، ومواساة ومشاركة بالاموال وبالمشاعر وبالقول الجميل والكلمة الطيبة ، إنه لا خير فيمن

يعيش لنفسه فقط لأنه كالنباتات الطفيلية تشارك الغراس المثمرة امتصاص الغذاء وتنفس الهواء وتضايقها في موضعها دون أن تكون لها نتائج إلا الاضرار بالبقول وتقليل المحصول .

إن الإسلام يريد من الفرد أن يكون كدوحة ذات ظل وثمر ، يجني الناس ثمرها ويتفيأون ظلها على أن يتعهدوها بالسقاية والرعاية ، وهو يحارب الأنانية ويعتبرها رذيلة خلقية لأنها تقود صاحبها إلى الأثرة وعبادة المصلحة والتفاني في حب النفس والقعود عن التعاون ، وهو دين الإيثار والتضحية ونكران الذات والرحمة والمواساة ، وهو دين التعاون على أوسع نطاق وبلا قيود ولا حدود ، وهذا رسول الله يقول . . (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) .

ذلك لأن الإسلام عندما رسم مبادئه وتعاليمه وضع في حسابه ما جبل عليه الإنسان من حب الالفة ، وما ركب في طبعه من الركون إلى العيش مع الجماعة ، فهو اجتماعي بفطرته ، وهذه الميزة الفطرية تحتم على أفراده أن يتقاسموا نفحات الخير ، ويتضافروا في دفع لفحات الشر ، وأن يعيشوا معاً يتقاسمون ورود الحياة وأشواكها ، سرّاءها وضرّاءها ، بأساءها ونعماءها ، وأن يكونوا كما قال المعري . .

فلا نزلت عليّ ولا بأرضي سحائب ليس تنتظم البلادا

لا كما قال أبو فراس الحمداني :

معلّلتي بالوصل والموت دونه إذا متّ ظمآناً فلا نزل القطر

ذُو الوجهين لا يكونُ عِندَ اللّهِ وَجيهًا

ليس من الإسلام أن يمسخ الإنسان نفسه حرباء يتشكل في كل صورة حسب الظروف والملابسات ذات الصبغة المصلحية ، كالماء يكتسي لون الإناء الذي يحل فيه ، ويلبس في كل يوم وجهاً جديداً ليقابل زيداً بوجه ، ويقابل عمرواً بوجه آخر ، ابتغاء لمغنم أو اتقاء لمغرم دون أن يقيم وزناً لما يترتب على هذا السلوك من الهبوط إلى أحط المستويات الأخلاقية ، إن هذا الذي يملك عدداً من الوجوه وليس له بين الناس طابع مميز ولا تعيش صداقته إلا الدقائق التي يلقاك فيها ثم لا تلبث أن تتلاشى كما تتلاشى الفقاقيع الطافية على سطح الماء ، هذا المخلوق عنصر هزيل الشخصية ضعيف الدين ، قد تضاءل رصيد الايمان في قلبه ، ذلك النور الذي يعكس للانسان حقيقة نفسه ويهديه إلى مواطن نقصه ، ويحميه من التردد في مهاوي الرذيلة والفسق ، ويبصره بمعاني الرجولة الحق ومفاهيم الانسانية المثالية المتسامية ، ومتى فقد الانسان هذا النور لم يعد يبالي أن تكون له مجموعة من الشخصيات المتباينة والوجوه المختلفة ، يتكيف بحسب المناسبات من غير شعور بأية التزامات أو مسؤوليات أو قيم ، لأنه أصبح عند الله وفي نظر الناس عضواً من أعضاء أسرة المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ،

يتحدثون كاذبين ويقسمون حـــانثين ، يعدونك ويخلفون ، ويعاهدونك ويغدرون ، فقدوا الضمائر ، وانعـدم في داخلهم جهاز المراقبـــة ، واستهـتروا بالخلق والدين فتبخّر في نفوسهم الوازع والرادع . يقول رسول الله ﷺ (ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً) . ويقول عليه السلام : (آية المنافق ثلاث ... إذا حدَّث كذب ، وإذا وعـــد أخلف ، وإذا اؤتمن خان) .

ان المسلم الحق هو الذي يقابل الناس جميعاً بوجه واحد ، ويتميّز بشخصية واحدة ، لا يجامل على حساب الدين والضمير والشرف والفضيلة ، لا ينثر بين يديك الورود ، وإذا ذهبت بثّ في طريقك الأشواك . ومن هذه النماذج المتلونة من إذا سألت عنه في بيته ليقضي لك حاجة ، قيل لك إنه خرج أو لم يحضر إلى البيت بعد ، أو طلبته بالتلفون أنكر وجوده فراراً من المسؤولية وتهرّباً من مواجهة الواقع ، وتستّراً بالأيام كسباً للوقت .

كل هذه الأساليب ليست من الإسلام في شيء لأنـــه دين الصدق والوضوح والصراحة وذكر الحقائق ولو كانت مؤلمة ، إن اللف والدوران والمواربة والزيغان واتباع الطرق الملتوية والتلوّنات والمجاملات الرخيصة ، هذه وما أشبهها مما ينحدر بالفرد إلى أسفل الدركات ويسلبه كل مقومات الرجولة ، ويجعله بغيضاً إلى الله ، بغيضاً إلى الناس لا يحبه أحد ، ولا يطمئن اليه أحد ، ولا يثق به أحد ، فليس له إذ ذاك إلا أن يعيش منبوذاً كما تعيش الطفيليات ، محروماً من عطف المجتمع وتقدير الناس ، وبئس ما اختار لنفسه من مصير اليوم وغداً ، فمن أحب ألاّ يخرج من دائرة الإسلام وأن يكون قوي الإيمان قوي الشخصية مرهوب الجانب محفوظ الغيبة ، متمتعاً بمركز اجتماعي مرموق ، فإن عليه أن يكون واضحاً ، لا يقول إلا ما يؤمن به ، ولا يعمـل إلا في النور ، يصل ويقطع في سبيل الله ، ويحب ويكره من أجـــل الله ، فذلك خير وأهدى سبيلاً .

أحلّ الله البيعَ وحرّم الرِّبا

ليس من الاسلام أن تتخذ الظروف الاضطرارية والحالات غير العادية التي تعصف بالضعفاء من عباد الله وسيلة للاستغــلال والانتهازية والفوز بأكبر قدر من الأرباح والمكاسب التي هي في الحقيقة مزيد من الدم والعرق والدموع والألم يعتصر من كيان ذلك التعس المسكين الذي تطوّح بـه المقادير بين يدي أحد المرابين فيسألهم أن يسعفوه وينجدوه لكي يصلح وضعه المنهار وينقذ محصوله المهدّد بالتلاشي والبوار ، فينظر اليه ذلك المرابي نظرته إلى صيد ثمين ساقه الحظ السعيد إليه ويرى فيه لقطة رائعة يجب أن تغتنم وفرصة ذهبية نادرة يجب أن تستغل على أوسع نطاق ، ويستمع إلى شكوى العميل المسكين وبكائه الصامت الحزين ، وكأنما هو كتلة من الثلج لا يهتز له قلب ولا يتحرك له وجـدان ، ولا تنبعث في نفسه ذرة من عطف أو حنان ثم يملي شروطه القاسية على ضحيته فيتقبلها مرغماً تحت تأثير الحاجة الملحة التي لا تترك له سبيلاً للتفكير والاختيار . ويقبض البضاعة بثمن يزيد على ثمنها الأصلي بنسبة الثلث أو ما يقارب ذلك ، ثم يذهب ليبيعها بأقل من سعرها المتعارف عليه في السوق ، لأنه حريص على أن يقبض الثمن ناجزاً في الحال ممـا يقتضي هبوط القيمة بطبيعة الحال ، ولكنه مع ذلك يشعر بالسعادة لزوال الكرب وانفراج

الازمة ولو إلى أجل قصير شأن المصدوع الذي يحس بالارتياح حين يستعمل أقراص (الاسبرين) أو الذي يعاني ألماً حاداً حين يلتمس العلاج (بالمرفين) الذي لا يفيد إلا مجرد التسكين ثم لا يلبث أن يعود إلى المرابي بعد انقضاء الاشهر القليلة التي التزم أن يسدّد الدين في نهايتها ، ليناشده في ضراعة تمديد الأجل شهوراً أخرى ، ويوافق المرابي على هذا الرجاء كما لو كان من المتفضلين المحسنين بعد أن تصبح نسبة الربا ضعف ما كانت عليه ، ويوقع العميل الصك لتجديد الالتزام وهو ممتن شاكر كأنما نال منحة سخية او أعفي من تبعة مالية ترهق كاهله ، ويتكرر التمديد والتجديد نتيجة لإعسار المدين المستمر حتى ترتفع نسبة الأموال الربوية إلى حد يساوي أضعاف القيمة الأصلية .

أجل .. أقول ألف مرة إنه ليس من الاسلام ، بل ليس من الانسانية في شيء أن يستبيح أرباب رؤوس الأموال حمى الضعفاء المساكين الذين يتهافتون عليهم بدافع الحاجة والاضطرار ولا يتورعون أن يسلبوهم اللحم وينفذوا إلى العظم ، أما الشحم فهم مجردون منه أساساً لم يعرف سبيله اليهم على الاطلاق ، إذ لا همّ لهؤلاء إلا أن يحققوا المزيد من المكاسب والارباح بأي أسلوب كان ، إنهم لا يحفلون بالوسائل بقدر ما يحفلون بالغايات ، وليس للذمة والضمير والدين والخلق والرحمة والعطف مكان في قواميسهم الخاصة ، ولو أنهم كانوا يؤمنون بهذه القيم لعاملوا المحتاجين من الناس معاملة انسانية عادلة لا تحيف فيها على كلا الطرفين ، تحقق للدائن ما ينشده من ربح مناسب معقول ، وتهيىء للمدين فرصة التغلب على مشاكله ، ولا يضيره أن يتحمل زيادة طفيفة لقاء انتظار الدائن له ، فإن للتأخير حصة من الثمن . غير أن هذا وإن جاز في العروض التجارية فإنه لا يجوز في النقد بالنقد لأنه ربا محرم ينكره الاسلام .

ألا فليتق الله هؤلاء القوم وليرحموا عملاءهم المضطرين ، وليعدلوا عن

هذه الاساليب الاستغلالية الآثمة التي هي من ابتكار المرابين اليهود عبيد المال الذين يعتنقون المبدأ الصهيوني القائل : (ان الغاية تبرر الوسيلة) بل إنهم يقدسونه تقديساً ويعتبرونه جزءاً من كيانهم الذاتي .

أيها المسلم .. ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتؤمن بأنك ميت مهما امتد عمرك ، فكن نظيفاً في معاملاتك ، شريفاً في علاقاتك ، متسامياً عن الوسائل الاقتصادية القذرة وان كانت موفورة المكاسب ، وكن رفيقاً باخوتك توطىء لهم كنفك وتتبادل معهم المنافع في حدود الدين والخلق والشرف والانسانية . ويوم تخضع لقانون هذه القوة الروحية الضابطة ، لا تسمح لنفسك أبداً أن ترهق أخاك من امره عسراً وتزيد من رصيد متاعبه وآلامه إذا جاءك يوماً مستسلماً سلس القياد كالمطية الذلول ينشد معروفك ويبتغي مساعدتك ، مستهدياً بهذا القبس من نور الهدي المحمدي : (من فرّج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه) .

الجزاءُ من جنسِ العمل

ليس من الاسلام أن يعمد الانسان إلى تلفيق الشائعات التي تثير الغبار في آفاق حياة الناس وتخلق من حولهم جواً مشحوناً بالريب والشبهات ، وقد يكون هؤلاء أبرياء لا تسمو اليهم الشكوك والاتهامـــات ، وليس لصانعي الشائعات ومروجيها من هدف أو غاية إلا التلذذ باجترار أعراض الناس ، ونشر السواد في الناصع النقي من صفحات حياتهم إشباعاً لعواطف منهومة ظمأى إلى التجريح والتشهير وبسط الألسن بالنكير ، وإرضـــاء لرغبات حبيسة متولدة عن الشعور بمركب النقص ، الأمر الذي يدفع هذا الفرد المريض إلى أن يحاول دائماً إلحاق النقص بالآخرين وتعكير أجوائهم الرائقة ، وهو يجد في ذلك متعة غامرة .

ومما يبعث على الاسف أن هذه الشائعات التي تلفقهاثم تطلقها العناصر المريضة تجد قابلية لدى أفراد المجتمع كقابلية الكحول للاشتعال ، يتلقفونهـــا متحمسين ، ويذيعونها متفكهين ويصبح كل فرد منهم سلكاً جيد التوصيل ، بل إنه يفوق الاسلاك في هذه الوظيفة درجات ودرجات لأنها تكتفي بتوصيل الطاقة الحرارية التي تتصل بها ، دون أن تتصرف بالزيادة أو

النقص ، أما أبطال الشائعات فإنهم لا يتناقلونها كما يسمعونها بل يضيفون اليها من التعديل والتحوير ، والتبديل والتغيير ، والتنميق والتزويق ما يكسبها المزيد من عوامل الإثارة وعناصر التشويق ، كلٌّ حسب قدرة خياله على الابتكار والتلفيق والتفنن في البهارج والاصباغ حتى يضمن لها سرعة الذيوع والانتشار على أوسع نطاق ، وكأنما هو بذلك يؤدي واجباً كبيراً أو يمارس دوراً انسانياً خطيراً .

ولعلنا لا نخطىء الحقيقة إذا قلنا ان الفراغ هو المسئول الأول عن تمكن هذا المرض في بيئتنا الاجتماعية ، ولو أُتيح لكل فرد من الأعمال البدنية أو الفكرية ما يستوعب جميع أوقاته لما كان لهذه الشائعات مكان بيننا ، لأنها اذ ذاك إما انها لا توجد أصلاً لانعدام المورد وإما أنها تولد لتموت في المهد لعدم توافر البيئة الملائمة والتربة الصالحة لذيوعها وانتشارها .

ولذا فإن محاربة الشائعات لا تكون جذرية وذات فاعلية ومضمونة النصر إلا إذا أمكن القضاء على دوامة الفراغ الهائلة التي يتيه بين أرجائها المعتمة معظم أفراد هذا المجتمع ، الذي لا همّ له الآن إلا القيل والقال وسيرة فلان وعلان ولكل مجلس أو سامر ينعقد جدول أعمال قوامه أعراض الناس تلاك ، وأسرار تذاع ، وعورات تفضح وتنشر .

أيها المسلم . . إنه ليس من الاسلام ترويج الشائعات غير النظيفة وتناقل قالة السوء ، والكلمة المغرضة .. ﴿ إنّ الذينَ يُحِبُّونَ أنْ تشِيعَ الفاحِشَةُ فِي الذينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أليمٌ فِي الدُنيَا والآخِرَةِ ﴾ .

أيها المسلم .. إذا طرقت أذنيك شائعة فاعمد إلى إنكارها وبادر إلى

إقبارها ، ولا تجعل من نفسك مذياعاً للشر ومصدراً للقذف والتشهير بالمؤمنين ، ولتعلم أيها المسلم أنك ان قلت قيل فيك ، فإن الجزاء من جنس العمل ، وكما يدين المرء يدان ، وإن سترت وأغضيت وتساميت عن الهبوط إلى هذا الحضيض كنت أنت وأهلك في حمى أمين وحصن حصين .

أيها المسلم . . أمسك عليك لسانك فإن اللسان إما أن يصعد بك إلى الأوج والقمة ، وإما أن ينحدر بك إلى أحط المستويات وأسفل الدرجات .

والله يبصرنا بمراشدنا ويفتح أعيننا على مواطن النقص فينا حتى لا نتطلع بأبصارنا إلى عيوب الآخرين ، فهو ولي التوفيق وهو الهادي إلى أقوم طريق .

مَن تواضع لله رفعه الله

إن من منهج الدعوة إلى الاسلام أن ينهض أنصار الحق والفضيلة لمحاربة الإحساسات المنحرفة والمشاعر الضالة الشريرة التي هي من الطفيليات المقتحمة للتربة الاسلامية النظيفة ، ذات الغراس الشذية الطيبة ، والحيلولة دون غزو الاجسام الغريبة الواغلة لدنيا الاسلام في محيط النفس حيث العقيدة والفضائل الخلقية ، وفي محيط السلوك الخارجي حيث يتجسّد الايمان طاعة لله وخيراً لأبناء المجتمع ، وإصلاحاً للفساد الذي يعصف بالبلاد والعباد ، كدليل مادي على انحراف الانسان وميله الغريزي إلى الخروج عن شرائع الله وقوانين الفضيلة والخلق ، وعلى ذلك فإنه ليس من الاسلام أن يسمح المرء للشعور بالتعاظم أن ينفذ إلى داخله فيمتلكه العجب والزهو ، ويكبر في عين نفسه ، ومن كبر في عين نفسه صغر جميع الناس في عينه ، والصغير هو من يستصغر الآخرين والكبير هو من ينزل الناس منازلهم وينظر إلى نفسه بعين غيره ليراها على حقيقتها فيعمد إلى تكميل نقصها وتجميل قبحها ، وتقوية مواطن الضعف فيها ، حتى إذا تجمّع فيها الكثير من نواحي الفضل وأوجه الكمال ازداد تطلعها إلى تحقيق فضل جديد والفوز بكمال جديد ، وتعمق فيها الاحساس بأن المخلوق من تراب لا ينبغي أن يشمخ بأنفه إلى السحاب ، إذ أنه وإن بطر وتكبر فلن يخرق الأرض ولن يبلغ الجبال طولاً .

انه ليس من الاسلام أن يعظم الإنسان في نظر نفسه فيحس بأنه قد ارتفع عن أرض الناس إلى سماء علوية أقام عمادها شيطان كبريائـه ، لا لشيء إلا أن الحظ قد قفز به إلى منصب أعلى مما كان فيـه أو منحه ميكائيل مفتاحاً أو أكثر من مفاتيح الرزق ، فاكتسب جاها لم يكن له به عهد ونال فضلاً من مال لم يكن يخطر له على بال ، وبدلاً من أن يشكر الله في عمق وإخلاص على ما وهبه من جاه ، وما فجّر بين يديه من نعم ، فيسخر الجاه لخدمة الضعفاء من عباد الله ، وينفق المال في وجوه البر وسبل الخير وميادين الاصلاح ، بدلاً من أن يفعل هذا نراه قد تنكر لإخوانه ومعارفه ، لأنهم أصبحوا من عالم غير عالمه ، وقلب (ظهر المجن) لماضيه ، فلم يعد يربطه به أي سبب ، وانعكست صور الحياة والناس في عينيه وغدا ينظر إلى جميع الأشياء بمنظار جديد ، إذا التقط صورته هو تخيلها جد كبيرة تملأ الكون على رحابته ، وإذا نقل اليه منظاره الذهبي المسحور مشاهدَ أفراد من غير طبقته — على حسب وهمه وزعمه — تمثلهم صغاراً مهزولين ، وذلك لعمر الله هو دليل صغره وتفاهته ، وآية حقارته وانحلال شخصيته .

ان العظمة الحقيقية هي التي تستمد عناصرها من الباطن حيث الجوهر ، ولا تعتمد على الاصباغ والقشور الخارجية حيث المظهر ، إن الجوهر لا يتغير ولا ينعدم كالايمان الذي يغمر نوره آفاق النفس ، أما المظهر فإنه في كل وقت عرضة للتغيير كالجاه المكتسب من وظيفة مثـلاً والنعمة الطارئة المستجدة .

ومرة ثالثة أقول .. ليس من الاسلام أن يخرج الانسان عـن طوره ويحيد عن سيرته وطريقته ويسبغ على نفسه ثوباً برّاقاً مبهرجاً لكي يبرز ويلتمع ، وينفرد بين الناس بالطابع المميز ، فذلك وليد الشعور بالكبر

والاستعلاء، وهو لون من الشرك الاصغر، وضرب من الكفران بالنعمة، وتمرّد على العرف الأمثـــل للسلوك الاجتماعي المهذب، واستهتار شنيع بأقدار الناس، وخرق للنواميس الكونية التي تحتم الالتزام بسنة الفطرة واعتمادها خط سير في الحياة، فلا زهو ولا فخر، ولا تعاظم ولا كبر، ولا تطاول ولا استعلاء، بل تعاون ومحبـة، وتآلف ومساواة ومشاركة صادقة في المباهج والآلام وتبادل للتقدير والاحترام، وانصهار في بوتقـة واحدة تتلاشى فيها الحواجز والفوارق بين الأفراد والجماعات والشعوب، كلّ يضع الآخر في مكانه لا ينزله عنه قيد أنملة، ويزنه بميزانه لا ينقصه مثقال ذرة ولا يبخسه أي حق أدبي أو مادي مهما صغر شأنه.

أيها الإنسان العاقل.. أيها الإنسان المؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر، كيف يحملك الغرور بمـالك ونفوذك إلى التعالي على إخوتك في الدين والإنسانية وأنت لو فكرت فى نفسك، لو أمعنت النظر في حقيقـــة تكوينك وطبيعتك الآدمية، لرأيت أن ضرورات قـــاهرة تستعبدك وتتحكم فيك وتفرض عليك سلطانهـــا، وأنت لا تملك إلا أن تخضع وتطيع، فكيف بمخلوق يرى نفسه في هــذا الوضع الإضطراري مرات كل يوم استجابة لنداء طبيعته (البيولوجية) أن تغزوه هــذه الأنانية المسيطرة وتتملكه هذه الروح المترفعة المتعالية التي جرّت الهلاك والدمار على الطغاة والجبابرة، والخراب عـــلى ممالكهم وديارهم، كيف بإنسان يسمع ويرى نماذج واقعية لمصائر المتألهين والمستكبرين أن يسلك هـذا الطريق الشائك المخيف، طريق الأنانية والغرور والعظمة الكاذبة الـــتي لا تزيد صاحبها إلا اتضاعاً وتحقيراً وتصاغراً في أعين الناس؟ أما كان حقيقاً بهذا الإنسان المتعالي أن يطيل النظر والتفكير في منشئه ومآله، من أين يأتي وإلى أين يصير، في أصل خلقته وفي نهايتها؟ لو أنه فعل لاتـزن واعتدل وانضبط سلوكه في الحياة واستقام خط سيره على الطريق

السوي ، وإنه ليزداد تمسكاً بالاتزان والاعتدال ومجانبة التعاظم والخيلاء حين يعلم أن هذا الخلق هو أول خطيئة منكرة وأول سطر أسود ملوث رسمه كرام كاتبون في سجل الجرائم والآثام ، وذلك عندما أمر الله ملائكته بالسجود لآدم تحية وإجلالاً فسجدوا أجمعين إلا إبليس استكبر وكان من العالين ، فغضب الله عليه ، وأخرجه من الجنة ملوماً مدحوراً ، وأصبح مخلوقاً شريراً وشيطاناً رجيماً ، يطارده الخزي واللعنة من الله وملائكته والخلق أجمعين ، ثم هبط آدم من الجنة كنتيجة مباشرة لتمرد ابليس وكبريائه ، وهكذا كانت هذه الرذيلة سبباً في تعاسة البشر والشرارة الأولى للمعركة الأبدية الخالدة بين قوى الخير وقوى الشر .

ألا إنه ليس من الإسلام أن يعيش في عقلك هذا الشعور ، الشعور بالأنفة والامتياز ، وأن تنظر إلى من دونك من الناس من قمة برج عاجي صنعه زهوك وتكبرك كما لو كانوا ذرات سابحة في الفضاء أو حشرات تدب فوق الثرى .

ألا إن الله وحده هو الكبير المتعال ، وهو ذو العظمة والجلال ، وهو الذي يقول في الحديث القدسي : « الكِبْرياء رِدَائي والعَظَمَةُ إزَارِي » ويقول نبي الإسلام : « إنّ منْ أحَبِّكُمْ إليَّ وَأقْرَبكُمْ مِنِّيْ مَجالِسَ يَوْمَ القِيامَة أحاسِنكُمْ أخْلاقاً ، المُوَطّئون أكْنافاً الذِيْنَ يَألَفُوْنَ وَيُؤلَفُوْن ، وإنَّ مَنْ أبْغضكُمْ إليَّ وأبْعدكُمْ مِني مَجالِسَ يَوْم القِيامَة الثرْثارُوْن والمتشدِّقون وَالمتَفَيهِقُوْنَ » قالوا يا رسول الله ما المتفيهقون ؟ قال : «المتكبرون» ، وقال عليه الصلاة والسلام : « مَنْ تَوَاضَعَ لِلهِ رَفَعَهُ الله ، وَمن تكبَّرَ خَفَضَهُ الله » .

هذا هو صوت النذير لكل متكبر وكل مختال فخور ، يتوهم أنه كل

شيء وهو في الحقيقة لا شيء ، يزيّن له خياله المريض أنه هو الأعلى وهو في واقع الأمر أسفل السافلين ، إنه يظن السفح قمة ، والغدير بحراً ، والتل الصغير جبلاً ، لأن تصوراته المتسامية الحالمة تعكس في نظره مفاهيم الأشياء فيراها مقلوبة على غير وضعها الصحيح .

ألا فليهبط هذا المسكين من عالمه الوردي الموهوم إلى دنيا الناس كفرد من الناس ، يأخذ منهم ويعطيهم ويسمع منهم القول الجميل والكلمة الطيبة ، أما المنصب والجاه ، وأما المال وشرف العائلة فمجرد ظلال قابلة للزوال ومجرد قشور ومظاهر لا ينبغي أن يكون لها انعكاس على الداخل إلى منطقة الإيمان والضمير والوجدان ، إلى حيث القيم التي تنادي بإزالة جميع الفوارق والامتيازات بين الإنسان وأخيه الإنسان ، لا ينبغي أن يكون لتلك السطحيات أثر في تكييف سلوك الأفراد وإعطائها صبغة تنافي تعاليم الدين وقوانين المجتمع وآداب الفطرة وحقوق الإنسانية .

والله ولي التوفيق وهو الهادي إلى أقوم طريق .

الفصل الرابع

متى تشرق الشمس من جديد؟

محتويات الفصل :

ذكرى مرور أربعة عشر قرناً على نزول القرآن

﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمواقِعِ النُّجومِ ، وإنَّهُ لَقسمٌ لَوْ تعلَمُونَ عَظيمٌ ، إنَّهُ لقُرآنٌ كَريمٌ . في كتابٍ مَكْنونٍ . لا يَمَسُّهُ إلاَّ المُطَهَّرونَ . تَنْزيلٌ مِنْ رَبِّ العَالمَينَ ﴾ . ﴿ إنَّ هذا القُرآنَ يَهْدي للَّتِي هيَ أقْومُ ويُبَشِّرُ المُؤمنينَ الَّذينَ يَعمَلونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أجْراً كبيراً ﴾ . ﴿ وإنهُ لكِتابٌ عزيزٌ لا يَأتيهِ البَاطلُ مِنْ بَينِ يَديهِ ولا مِنْ خَلفِهِ تنْزيلٌ مِنْ حكيمٍ حَميد ﴾ . ﴿ حم تَنْزيلٌ مِنَ الرَحْمَن الرَحيمَ كتابٌ فُصِّلتْ آياتُهُ قُرْآناً عربيّاً لِقومٍ يَعْلمُونَ ، بشيراً ونَذيراً فأعرَضَ أكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمعون ﴾ . ﴿ ولَقَدْ ضربْنا لِلنّاس في هَــذا القُرآنِ مِنْ كلِّ مثل لَعلَّهُمْ يَتَذكَّرون ﴾ . ﴿ قُرْآناً عَربياً غير ذِي عِوَجٍ لَعلَّهُمْ يَتّقون ﴾ .

هذا هو القرآن الذي أشاد به منزِّله وموحيه في هــذه الآيات ثناء عليه وتمجيداً وتصويراً لقدسيته وسموّه وجلاله ، وروعة بيــانه وكمال تبيانه ، والذي احتفل العالم الإسلامي في شهر رمضان سنة ١٣٨٧ ﻫ . بمرور أربعة عشر قرناً على إشراق شمسه في آفاق الحيــاة الإنسانية ،

وانبثاق فجره في أعقاب ليل الجاهلية، فقبل ثلاثة عشر عاماً من هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة بدأ وحي السماء ينزل عليه آيات بينات وأحكاماً هاديات مفصّلات للحلال والحرام، موضحات لطريق النور ومهامه الظلام، فتشرّبت روحه ﷺ هذا السلسال الإلهي وارتوت من فيضه كل ذرة من ذراتها في انتشاء غامر عميق؛ واستقبل قلبه النابض المتفتح هذه الدفقات المنهمرة المنبثقة من نور الله لتستحيل فيما بعد مشاعل متوهجة تهدي الظالمين سواء السبيل، وتبصر التائهين بطريق النجاة والأمان.

أجل.. نزل القرآن الكريم على محمد ﷺ منذ أربعة عشر قرناً والناس في جاهلية جهلاء وليل رهيب حالك الظلماء، ليحمي حقوق الضعفاء ويقرر سيادة تعاليم السماء ويضع حداً لطغيان الشهوات وتسلط الأهواء واستبداد الجبابرة والأقوياء، ويعلي راية المساواة والعدل والمحبة والاخاء.. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

نزل القرآن الكريم ليحارب الشرك ويجأر بمبدأ التوحيد، وينادي ببر الوالدين، ويندّد بأخلاق الجاهلية وبالفواحش ما ظهر منها وما بطن، ويهيب بالحفاظ على أموال اليتامى، وإيفاء الكيل والميزان.. ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ، أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ، نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ، وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالْحَقِّ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ، وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلا بِالَّتِي

هِيَ أَحْسَنُ حَتى يَبْلُغَ أَشُدَّه ، وأَوْفُوا الكَيْلَ وَالمِيزانَ بالقِسْطِ ، لا نُكَلِّفُ نَفساً إلا وُسْعَهَا ، وإذَا قلتُمْ فاعْدِلوا وَلوْ كانَ ذا قُرْبى ، وَبِعَهْدِ اللهِ أوْفُوا ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَّكَّرُوْن ، وَأنّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فاتبعوه وَلا تَتبعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيْلِهِ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَقُوْن ﴾ .

وهكذا يجتاز القرآن الكريم الأحداث ويتخطى الدهور ويواكب الأجيال والعصور ولم يخفت له صوت ، ولم يخبُ له نور ، بل ظلَّ كما هو مشرق هداية وينبوع إلهام ، ومصدراً غنياً خصباً لاقتباس المثل والقيم ، واستلهام الحكم والأحكام ، ظلَّ في قوة باهرة دائمة وشباب زاهر متجدد ، لم تتأثر شدة التماعه وإشعاعه بتوالي السنين وانحراف الغابرين والحاضرين ، ولم يحد من عمق تأثيره وصدق تعبيره وفاعلية تبصيره وتنويره انطلاقات الإنسان في عالم الاكتشاف والاختراع والابداع ، وازدهار العلوم والمعارف والفنون : ﴿ إنّا نَحْنُ نزّلْنا الذِّكْر وَإنا لَهُ لَحافِظُون ﴾ .

أربعة عشر قرناً وموكب القرآن المقدّس ينطلق في مجال الزمن يعبق بنفحات الخير ويشع بإشراقات الضياء ويفيض على حياة الناس أشعة الحق والهدى ، ورغم تحجر القلوب وتمرغ البشر في حمأة الخطايا والذنوب وسلوكهم كل معوج من المسالك والدروب ، ولم يفتأوا يسمعون صوت القرآن فيخشعون ، ويرتلون آياته فيتنورون ويتأثرون ، وتدمع منهم العيون ، ويستشعرون الندم على ما يفعلون ولا يزال القرآن يدق بعنف على أبواب القلوب لتنفتح وتتطهر من الآثام ويزايلها ما يكتنفها من ظلام ولن يترك هذه المئات من الملايين حتى تعود فتهتدي بهديه ؛ وتستظل برايته ، وتلتزم السير على منهاجه أفراداً وجماعات ، شعوباً

وحكومات ، وهي يوم تفعل ذلك تجد نفسها قـــد انتفضت انتفاضة العملاق وانطلقت تحلـّق في أبعد الآفاق ، وأصبحت تنافس المتسابقين على الاستئثار بالمقدمة وتبوىء القمة واحتلال مكان الصدارة ، إذ أنهـا بفضل اعتصامها بالقرآن وتعاليم نبي القرآن لا تكون في زحفها معتمدة على مجرد القوى المادية القابلة للتحطم والضعف والفناء بل تكون مسنودة بقوى أخرى قـاهرة غلابة ، لا تسمو إليها وسائل التدمير ، ولا تحدث فيها العوامل المادية أي تأثير .

فتحية إجلال وتعظيم لدستورنا العظيم في ذكراه ، ذكرى الحق والهدى والنور ، ذكرى الفجر الذي طلع والليل الذي انقشع ، ذكرى الأمة التي بعثت من رقـادها وظلت بضعة قرون ماضية في تحليقها وتصاعدها ، ودعوات من الأعماق بأن يلهم الله أمـة القرآن الاستهداء بهدى القرآن في حياتها الخاصة والعامة ، وصلوات من الله وتحيات ورحمات وبركات على نبي القرآن الذي أُنزل عليه ليكون أعظم دستور لبني الإنسان .

فيلسوف الاسلام الكبير

الإمام أبو حامد الغزالي

استقبل حجة الاسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الحياة بمدينة (طوس) [1] من أعمال (خراسان) سنة ٤٥٠ هـ . — ١٠٥٩ م . في عصر يضطرم بالفتن السياسية ويعج بالنعرات المذهبية والاضطرابات الدينية والفكرية ، وكان أبوه رجلا خيرا من أهل الصلاح يتخذ غزل الصوف مصدراً لرزقه جنوحاً الى التعفف وإيثاراً للكسب الحلال ، وقد استأثر به مولاه ، والغزالي لا يزال طفلاً لم يشب عن الطوق بعد ، وكان قد عهد بكفالته مع أخيه أحمد إلى صديق له من المتصوفة عندما أحس بدنو أجله ، وتعهد الرجل الطفلين وشملهما بعطفه ورعايته وراضهما على الطاعة والعبادة ، وطبع في نفسيهما حب الخير والفضيلة وتقديس العلم والمعرفة وما كادا يتجاوزان مرحلة الطفولة الأولى حتى ألحقهما الشيخ بمدرسة ليتسلحا بالعلم استعداداً لخوض غمار الحياة ، وكانت مخايل النبوغ وملامح الذكاء وآيات العبقرية تبدو واضحة على الإمام الغزالي منذ حداثة سنه ، فكان عقله المتألق وخياله المحلق يحفزانه الى القيام بسبحات واسعة في أجواء رحيبة بعيداً عن آفاق الفقه الضيقة ومجالات مسائله المحدودة ، وكان وهو لا يزال يافعاً يبدي عدم ارتياحه الى أدلة علماء الفقه ، ويضيق ذرعاً باستحساناتهم الشخصية واستنتاجاتهم السطحية وبعدهم أحياناً عن إصابة الغرض فيما يستنبطون من مسائل وأحكام .

(١) أصبحت اليوم معروفة باسم (مشهد).

كان الغزالي في الأطوار الاولى من شبابه دائم التفكير والوجوم ، كثير الاطراق والسهوم ، كأنما ينقـّب بين طوايا نفسه عن سر الحيـاة ويفكر في تخطيط شامل لإصلاح أوضاع المجتمع الاسلامي المتدهورة شأن كبار العقول من النوابغ والموهوبين الذين يعيشون الدهر باحثين عن آية من آيات المعرفة البكر ، متطلعين الى فتح جديد في عالم الفكر ، وكانت كل الدلائل تشير الى ان العناية الإلهية قد اجتبت هذا الفيلسوف الكبير لتصحيح المفاهيم الدينية المغلوطة ، ومحاربة الموجات الطاغية من الآراء الباطنية الضالة ، والافكار الشيعية المتطرّفة ، والاضطلاع بمهمة القيادة الروحية والفكرية ، إنارة لتلك الفـترة الحالكة من تاريخ الاسلام الديني والسياسي .

الغزالي في نيسابور :

ثم شدّ الغزالي الرحال الى مدينة نيسابور ليستبحر في علم الكلام على أحـد كبار المتصوفين وهو إمام الحرمين ، وهناك درس المذاهب وخلافاتها ، وتعلمّ فن الجـدل والمنطق ، واستظهر جانباً من علوم الفلسفة .

وفي نيسابور أينعت ثمار معارفه وبلغت طور النضج والاكتمال ، فبدأ يكتب ويؤ ّلف ، ولعـل شكوكه في نظريات العلم وبراهين المنطق وأحكام العقل أخذت تساوره منذ ذلك الحين ، وبعد وفاة إمـام الحرمين سنة ١٠٨٥ م . تعرّف الغزالي بوزير السلجوقيين (نظام الملك) المعروف بحبه للعـلم وتقديره للعلماء ، وتو ّثقت بينهما وشائج الاتصال وأسباب المودة ، وظل اعجاب الوزير بالغزالي وإكباره له يزداد تطوراً بمرور الايام ، فقد رأى فيه نموذجاً فذاً لأقطاب الفكر ، ومثالاً غير مألوف من العلماء في طريقة تفكيره وفي أساليب بحثه وفي كل كتاباته ودراساته .

الغزالي في بغداد :

وحين أسّس الوزير السلجوقي في بغـداد مدرسته المعروفة بالمدرسة النظامية – وهي أول جامعة للعلوم بالمعنى الحديث – عـيّن الغزالي أستاذاً فيها سنة ٤٨٤ هـ - ١٠٩١ م . وهناك نال شهرة واسعة لفصاحة لسانه وإشراق بيـانه وغزارة علمه ونكته الدقيقة وإشاراته اللطيفة ، وفي بغداد تعمق الغزالي في دراسة الفلسفة ، واستظهر كتب (الفارابي وابن سينا)، ولم يلبث أن وضع كتابه (مقاصد الفلاسفة) الذي هو أول مؤلفاته في علم الفلسفة ، وقد شرح فيه آراء الفلاسفة شرحاً وافياً ، وألقى أضواء كاشفة على مفاهيمهم الغامضة واتجاهاتهم المبهمة ، وطرائقهم الملتوية ، وقال الإمام الغزالي لتبرير عمله هذا : انه أراد الابتداء بشرح آراء الفلاسفة قبل الإقدام على نقدها وإبطـالها ، وكتابه (مقاصد الفلاسفة) وإن امتاز بروح البحث العلمي الحر واتسم بطابع الحيـاد التام لم يكن صادراً عن رغبة مجردة في العلم بل كان سعياً لطمأنة شكوكه الفكرية وتهـدئة اضطرابه الباطني وأول انعكاس خارجي للجانب العقائدي من تفكير الغزالي الذي اعترته نوبة من الاهـتزاز والتخلخل في تلك الفترة من حياته الفلسفية ، ثم ألـّف كتابه (تهافت الفلاسفة) الذي نقـد فيه آراءهم نقد العالم البصير وكشف عن الظلام الذي يرتكسون فيه ، وبرهن على بطلان الكثير من قضاياهم الفلسفية وأدلـّتهم العقلية ، وخطأ نظرياتهم في قدم العالم وعلم الله بالجزئيات وامكانية البعث والنشور ، وفي كتاب (تهافت الفلاسفة) زادت شكوك الغزالي في العلم وبراهينه المنطقية وضوحاً وتبلورت بشكل ملموس ، ومع أن الغزالي قدألف كتابيه (مقاصد الفلاسفة)و(وتهافت الفلاسفة) ارضاء لشكوكه الفكرية والتماساً للشفاء من اضطرابه الباطني ، فإن قلقه النفسي

بلغ حداً جعله يرتاب في جدوى عمله ، فأصبح ينظر الى كل شيء بمنظار قاتم السواد ، وغمـــامة دكناء من الشكوك والأوهام تخيم على أفق حياته ، أمعن النظر في نفسه وقلـَّب صفحاتها فرآها مزورّة عن مواطن الإشراق ، منصرفة عن مناهج الحق ، وفكر في اشتغاله بالتدريس فلم يجد نية خالصة لوجه الله وابتغاء النفع المجرد للعبـاد والبلاد مما جعل الاضطراب يعذّبه والحيرة تعصف بوجدانه ، والاوهـام العارمة تقيمه وتقعده ، ولم يزل يتردّد بين الإقبـال على العمل والإعراض عنه حتى اعتقل لسانه عن التدريس وأحسَّ بإخفاقه في مجابهة ما ألمَّ به من حزن وقلق ، وبلغت أزمته النفسية منتهى العنف والغليان فكان لا يسوغ له طعـام ولا تنهضم له لقمة ، واستتبع هذا الاضطراب النفسي العنيف انحرافاً شديداً في صحته حتى يئس الاطباء من جدوى علاجه ، فعزم على اعتزال التدريس وأعرض عن الجـاه والمال والاولاد والاصحاب ، لقد عاف كل شيء ، وبرم بكل شيء ، فكان يعيش في دوامـة من التصورات القاتمة والأوهام العارمة ليس لها قرار .

الغزالي يعتزل الناس ويهيم على وجهه بحثاً عن الحقيقة والتماساً لنور اليقين :

وفي سنة ٤٨٨ هـ . خرج الغزالي من بغـــداد قاصداً حج بيت الله الحرام وهو يعتزم ألا يعود أبداً الى العراق ، وسلخ عشرة أعوام من حياته يطوف الاقطار والامصار ، متنقلاً في زي الفقراء وهيئة المساكين من مكان الى آخر ، فما كاد يلقي عصـــا التسيار بالحجاز حتى يمّم شطر دمشق ومنها الى القدس ، ثم يأخذ سمته الى الاسكندرية ، ولا يلبث أن يبارحها الى القـاهرة ، ثم يعاود تطوافه غير المستقر ، وكان ينفق أوقاته كلها في عبادة الله معتكفاً متزهّداً ، يجاهد نفسه ويكبح

جماح قواه ويقـاوم حنينه الى الأهل والولد والصحاب والخلان ، ويغشى المساجد لتمتلىء نفسه بجلال عظمة الله في بيوت الله ، ويأوي الى القفار ليفكر ويتأمل في عرصات الكون الواسع ، يتهجـد ويتعبد في محراب الطبيعة الوادعة ، ويسرح النظر في الاوابد السارحة والطيور الصادحة والاجرام السابحة والمزن الغادية والرائحة ، وينزوي أحياناً في المغارات يذكـر الله ويفكر في آلاء وعظمة ذاتـــه القدسية ، وفي وجوده الازلي ، ويذوب عقله ووجدانه في ملكوته ، وكان أثناء ذلك يتعرض لمتاعب مريرة ومشاق كبيرة ، ويستهدف لأحداث خطـيرة ، ولكنه يواجه جميع الأهوال والصعوبات جلداً صبوراً ، لأنه ينشد الحق ويسعى وراء النور ، ومن كان كذلك لا يرهب الشدائد ولا يبـالي بعظائم الامور ، وتم للغزالي مـــا أراد من إدراك الحقيقة ، والفوز بالطمأنينة الروحية ، فقـد انثالت على نفسه الحائرة المتشككة دفقات غامرة من ضياء الحق وإشراقات باهرة من نور اليقين ، وانكشف له من الأمور الروحية كل محجب مستور مما جعله يعقد العزم على العودة ثانية الى دنيا الناس وهو أقوى ما يكون ايماناً ، وأرسخ ما يكون يقيناً ، إنه يرى العالم الاسلامي وقد انحدر الى أسفل دركات الانحلال الديني والاخلاقي وغدا مسرحاً للبدع المنكرة والآراء المتهورة الفاجرة ، فهل يحق لمثله أن يظل منكمشاً في انعزاله وانطوائيته ، والمسلمون على هذا الحال التي لا تسر إلا الاعداء ، وراح يتساءل : هل يجوز أن يرى الخطر يحدق بدين الله ولا يهب لدرئه بعيداً ؟ هل يصح أن يرى الظلام يزحف على آفـــاق الشرق الاسلامي ولا يخف لتمزيق طلائعه الرهيبة بكل ما يتهيأ له من سلاح ؟

لذلك قرر أن يخرج من عزلته وينزل الى ميدان المعركة ذائداً عن حمى الاسلام ، مجاهداً في سبيل إعـلاء راية الاسلام ، لقد بات لزاماً

عليه أن يصلح أمور الناس بعد أن أصلح أمر نفسه ، لقد استبان له في هذه الخلوات بأنه صاحب رسالة وأن عليه أن ينهض بهذه الرسالة مهما كان الثمن ومهما كان البذل والتضحية .

الغزالي ينتبذ العزلة ويقرر العودة الى بغداد :

وفوجىء الناس بعودة الغزالي الى بغداد على غير انتظار بعد أن يئسوا او كادوا ييأسون من رجوعه ثانية الى الناس والحياة ، وقد كان يشعر في قرارة نفسه بأنه لن يفكر مجرد تفكير في الأوبة الى الأهل والوطن ، وكان الترحيب بالفيلسوف العائد يجل عن الوصف ويسمو عن التصوير ولا سيما من قبل إخوانه ومريديه وتلاميذه ، وقد امره السلطان أن ينهض الى نيسابور ليضطلع بنشر العلم والمعرفة في تلك البلاد ، فاستجاب لذلك بعد أن استشار جماعة من أرباب القلوب والمشاهدات ونصحوه بترك العزلة والنهوض برسالة العلم والتعليم وحمل لواء الكفاح من أجل إصلاح الاوضاع الدينية والاجتماعية ، وأكّدوا له أن منامات الصالحين التي هي قبس من نور النبوة تشهد بأن هذه الحركة هي مبدأ خير وبركة ، ونافذة من نور يضيء اشعاعاتها المظلم من القلوب ، وتنير المعتم من حياة الشعوب .

وفي سنة ٤٩٩ هـ . عاد الغزالي الى نيسابور ليقوم بالمهمة المقدّسة التي انتدب من قبل السلطان ليحمل أمانتها ، ولم يكن ذلك في الواقع الا تلبية لهاتف سماوي خفي يصرخ في أعماقه لينطلق مناضلاً في سبيل تنوير الأذهان وتحرير الاوطان من عبودية الجهل والبدع والضلالات . وهكذا أقبل الغزالي على بث العلم بكل همة وإخلاص ، ووطّن نفسه للعمل لإحياء دين الله بوسائله الاصلاحية الناجعة وطرائقه الفلسفية النظيفة .

مؤلفات الغزالي :

قضى الغزالي معظم أيام حياته دائباً على الكتابة والتأليف ، ولم ينقطع عن تسجيل معارفه وأفكاره في شكل مصنّفات حتى خلال الاعوام العشرة التي قضاها في الخلوة عابداً متزهداً بعيداً عن دنيا الناس ، فقد بلغت مؤلفاته على قصر حياته واضطرابها رقماً قياسياً يربو عن مائتي كتاب ومقالة ورسالة ، وهو عدد ضخم يدل على المجهود العظيم الذي بذله لنشر دعوته وتعريف الاجيال بمبادىء فلسفته وفنون ثقافته ، وأكثر مؤلفات الغزالي تتركز في موضوع واحد هي الفكرة الدينية ودحض الشبهة الفلسفية ، ومن أبرز خصائصها وحدة الموضوع والفكرة وقوة التعبير ودقة الأسلوب والصراحة في القول والبعد عن الصناعة اللفظية مما يشف عن عقلية منظمة ومعرفة غزيرة ومنطق حر ، وإن القارىء ليشعر في كل جملة من جمله بأن هناك حياة تتدفق ، وقلباً يخفق ، وفكراً يحلق ، وبياناً يتألق ، وإرادة تملي ، والمفقود من كتب الغزالي أكثر من الموجود ، ومن بينها المطبوع المتداول والمخطوط الذي لا يزال محفوظاً في كبريات المكتبات ولم ينشر على الناس بعد ، وهي تتناول أبحاثاً متنوعة وموضوعات مختلفة ، كالتصوف والعقائد والفقه والاصول والفلسفة والمنطق ، وأشهر هذه الكتب كتاب . . (تهافت الفلاسفة ، إحياء علوم الدين ، المنقذ من الضلال ، القسطاس المستقيم ، ميزان العمل ، إلجام العوام عن علم الكلام ، مشكاة الأنوار ، الاقتصاد في الاعتقاد ، معيار العلم) .

أضواء على فلسفة الغزالي :

لم يكن حجة الاسلام الغزالي فيلسوفاً عقلياً يدور في فلك قدماء الفلاسفة اليونانيين كما كان الفارابي وابن سينا ، بل كان ناقداً للفلسفة

يعمل على هدم البناء الذي شيده الفلاسفة الاسلاميون على أساس الفلسفة الإغريقية ، فمنزلته في علم الفلسفة تظهر في الناحية السلبية أكثر من الناحية الايجابية ، فهو لم يكن متجاوباً مع آراء الفلاسفة الإغريق ، متفاعلاً معها بشكل جزئي أو كلي وعن اقتناع وتسليم ، بل انه كان يبحث جذورها ببراهين العقل ومنطق العلم بعد أن يحلّل عناصرها تحليلاً دقيقاً ويكشف عن أخطائها ومتناقضاتها بأسلوبه الاقناعي المشرق ، وبذلك أقام في الجانب المعارض فلسفة غزالية ذات مناهج مرسومة وقواعد معلومة ومذهباً فكرياً له طابعه المميز ومعالمه الخاصة ، وهذه الفلسفة التي كونها الغزالي على أساس نقده للفلاسفة المسلمين وأسلافهم اليونانيين فلسفة مؤمنة قوامها الاقتناع بوجود الله وتنزيهه عن المادة وأوهام التجسيد واستحالة إشراك الحوادث له في القدم الازلي مع اليقين بشمول علمه لجميع الاشياء معدومة وموجودة جزئية وكلية ، وانما يرجع التأثير العظيم الذي تركه الغزالي في التفكير الاسلامي ، والانقلاب الخطير الذي أحدثه في مجال المعرفة الفلسفية هو انه لم يصنع صنع المتكلمين في اقتباس مباحث معينة من علوم الفلسفة اليونانية لمحاولة نقدها والتدليل على بطلانها ، بل إنه بحث آراءهم بحثاً عاماً وأعمل فيها معاول الهدم والتخريب في غير تحامل ولا تعصب ، ولا بدافع الرغبة في التحطيم ليس غير ، كما يفعل البعض ليكتسبوا من وراء ذلك مجداً وشهرة ، وانما كان ينشد من وراء ذلك الحقيقة المجردة التي يعتقد أن الفلاسفة الاغريق ومن تأثر بهم من المسلمين قد تنكبوا سبيلها الواضح السوي ، ولم يهتدوا الى النور خاطئين او عامدين ، والحق ان الغزالي هو المفكر الاسلامي الوحيد الذي يفضل المتكلمين والصوفية والفلاسفة الذين اقتبس عنهم جميعاً لأنه سعى لإعطاء كل شيء حقه ، ولم يندفع وراء تيار التقليد الاعمى ، أو يحصر بحثه داخل أفق ضيق محدود أو يتأثر في دراساته الفلسفية بأية مؤثرات او عوامل خارجية ، اذ أنه لم يحاول مثل المتكلمين إخضاع

العقل ومدركاته لعقائد الدين اخضاعاً اعتباطياً يعوزه الاقتناع الداخلي والدليل المادي الذي يؤمن به ويرتاح اليه ، كما أنه لم يعمل كالفلاسفة على حصر الإيمان الديني ضمن قوانين العقل وأحكامه مما يدعو الى تأليه العقل والاعتقاد بتنزيهه عن الخطأ والتشكيك في جميع المقدسات والقيم التي تخرج عن دائرة أحكامه ولا يسيغها منطقه .

وكذلك لم ينصرف كالصوفيين الى ناحية الكشف والنظر الباطني مهملاً الى جانب ذلك العلوم العقلية والعبادات الدينية .. وهكذا نرى أن الغزالي رسم خطوط فلسفته وقواعد مذهبه الفكري على هذه الجوانب الثلاثة .. العقل والدين والنظر الباطني ، واستطاع ان يوفق بينها جميعاً دون تنافر او تناقض او اضطراب ، استطاع أن يجعل العقيدة الدينية والنظرية الفلسفية والفكرة الباطنية تجتمع كلها في صعيد واحد ، متجانسة مترابطة يدعم بعضها بعضاً ، وذلك هو سر امتياز فلسفة الغزالي على سواه من الفلاسفة المسلمين ، ونحن نعتقد أنه لم يوفق الى ذلك بمحض مجهوده العقلي او مقدرته العلمية ، وإنما كان للنور الإلهي الذي تدفق في صدره ، والإلهام السماوي الذي تفجر في أعماقه أبلغ الاثر فيما أحرزه من توفيق عظيم ، وذلك رغم ما كتبه عنه ابن رشد في كتابه (تهافت التهافت) الأمر الذي لا نجد له تفسيراً الا أن الرجل أساء فهم الغزالي ولم يتح له أن يسبح في الآفاق العالية التي يحلق فيها فيلسوفنا حجة الاسلام أبو حامد الغزالي ، وبفضل هذا النور الالهي الذي أشرقت به نفسه استعاد الغزالي طمأنينته الروحية وخرج من ظلمة الشك المعتمة كأقوى ما يكون إيماناً بالله واقتناعاً بعظمته الازلية التي لا تخضع في مفهومها لقانون التصورات والافهام ، ولقد كان لتلك الرياضة الشاقة التي ألزم بها نفسه طوال عشرة أعوام أثرها البعيد في رجوعه الى حظيرة اليقين والسكينة الباطنية التي ظل يفقدها عشر سنين .

ونحن لا نرتاب أيضاً في أن شك الغزالي لم يكن شكاً إلحادياً مبعثه تضاؤل الايمان في نفسه ، بل كان شكاً منهجياً ــ على حد تعبير بعض الباحثين ــ اتخــذ منه سلمــاً للصعود الى أسمى مراتب المعرفة الالهية والانسانية .

لمحة من أقوال الغزالي :

شاهد الغزالي اضطراب الفرق واختلاف المذاهب وتبـاين الملل في زمانه ، فشبه ذلك ببحر غرق فيه الاكثرون ، فأحبَّ أن يقتحم لجَّة هذا البحر العميق ويخوض غمرته ويتوغل في ظلماته ، وكان ذلك بدافع طبيعي في نفسه ، فقال في كتابه « المنقذ من الضلال » : (وقد كان التعطش الى درك حقائق الامور دأبي وديدني من أول أمري وريعان عمري ، غريزة وفطرة من الله وضعتا في جبلتي لا باختياري وحيلتي) .

وفي معرض الاجابة عن مسألة الحكم بالنص او بالاجتهاد قال الغزالي : (اننا نحكم بالنص عند وجوده ، وبالاجتهاد عند عدمه) وقال : (ان النصوص المتناهية لا تستوعب الوقائع غير المتناهية ، فلا بد من الاجتهاد في إرجاع الوقائع الخاصة الى النصوص العامة) وقال : (فمن أشكلت عليه القبلة ليس له طريق الا أن يصلي بالاجتهاد ، إذ لو سافر لبلدة الإمـام لمعرفة القبلة لفات وقت الصلاة) .

وبصدد الحديث عن مهمة الرسول قال : (ان معلمنا هو محمـد ﷺ وإنه علمَّ الدعاة وبثَّهم في البلاد ولكنه أكمل لهم التعليم ، وبعد كمال التعليم لا يضر موت المعلم كما لا يضر غيبته) .

تلك نماذج صغيرة من أفكار الغزالي الحرة وآرائه المتعمقة وأحكامه المنطقية الصائبة التي يصدرها عن علم وتجربة وبعد فكر ونظر بلا محاكاة او تقليد او اندفاع أهوج بليد

خاتمة المطاف :

وفي سنة ٥٠٥ هـ . — ١١١٤ م . بلغ الغزالي منتهى الشوط الاخير من رحلة الحياة ولقي ربه سعيداً بلقائه ، وهو مشتغل بتحقيق (البخاري ومسلم) . وهكذا انطلقت تلك الروح الكبيرة المؤمنة تحلق بأجنحة من نور في آفاق الابدية ، وتمرح في رياض الفردوس الندية ، وطوى القدر تلك الموسوعة الضخمة من المعارف والعلوم والآداب والاخلاق ضمن سجل العالم المجهول وانطفت تلك الشعلة المتوهجة التي ظلت طوال جيل من الزمن تومض بالنور ، وتتضوّع بالعبير ، وستظل الاجيال تروي تلك العبقرية الفذة ، وتتقصى آثار تلك العقلية الملهمة ما بقيت على سطح الارض حياة .

رحم الله الغزالي ، وجزاه عن الاسلام والمسلمين أعظم جزاء .

متى تشرق الشمس من جديد؟

قبل أسبوع احتفلت دولة العصابات الاسرائيلية بذكرى تأسيسها الحادية والعشرين ، وراح زعماؤهـا يشيدون في تبجح وغرور بالمكاسب الضخمة التي حققوها ، والأمجاد العظيمة التي شيدوهـا ويعلنون في استهانة ولا مبالاة استصغارهم لشأن المقاومة العربية ، وأنها ليس لها أي تأثير على مشاريع التنمية الاقتصادية والاجتماعية والعلمية ، وأن شمس صهيون التي أشرقت على أرض الميعاد قبل خمس قرن من الزمان ، لا يمكن أن يعقب اشراقها غروب .. وأنها ستظل في توهج مستمر .. تعكس الضياء على طريق الزاحفين المناضلين ، حتى تتحقق الأحلام الكبرى لكل اليهود في بناء الدولة العظمى التي تمتد حدودهـا من النيل إلى الفرات . ويعقد لها لواء السيادة على هذا الشرق الذى لم يعرف منذ أربعة عشر قرناً سـادة غير العرب ورثته الشرعيين ، ولا رواداً هادين غير المسلمين .

وفي غمرة النشوة بأحلام الدولة الصهيونية العظمى خطب (موشى ديان) في أحد معسكرات الشباب اليهودي فقال : إن الجيل السابق قد حقق لاسرائيل حدود ما قبل الخامس من يونيو سنة ٦٧ ، وحققنا نحن جيـل اليوم الحدود الحالية التي تمتد من قناة السويس إلى ضفاف نهر الاردن وإلى ما وراء مرتفعات الجولان السورية . وبقي عليكم أنتم أجيال الغد أن تحققوا لأمكم اسرائيـل

المزيد من التوسع والانتشار والعظمة والازدهار .

وبعد .. تلك هي أحلام الصهيونيين في مداها البعيد ، وهذه هي مخططاتهم الجهنمية لما يتخيلونه من مستقبل مجيد ، فهل بعد هذا يمكن لعربي أن ينام ، ويستمرىء الشراب والطعام ؟ ... هل بعد هذا يسوغ لعربي أن يجترّ أقاصيص البطولة ويتحدث عن تضحية الآباء والأجداد في العصور الخالية ؟ .. وحثالات اليهود يدنسون المسجد الأقصى ويعبثون بقدسية (الصخرة المباركة) وإلى هذا المسجد كان مسرى رسول الله .. ومن هـــذه الصخرة كان معراجه إلى السموات العلى .. وفي تلك البقعة الطاهرة كان يهبط الوحي على الأنبياء.. وعلى أديمها صنع الفاتحون أروع الانتصارات على طغيان الرومان وجبروت الصليبيين، وأقاموا صروحاً من الأمجاد لأمة الضاد ، ومن فوق رباها الخضر نصب (خالد وأبو عبيدة ونور الدين وصلاح الدين وسيف الدين) راية القرآن . وعلى ثراهـا رفعوا قواعد العدل وأعلوا منارات التوحيد . ورغم تألب (أوروبا) كلها على الشرق الإسلامي وتحزب أمة الصليب جمعاء ، وزحفها في حشود هائلة لم يعرف مثلهـــا التاريخ القريب أو البعيد رغم تلك القوى المتعصبة الحاقدة ومن على رأسها من الملوك والأباطرة لم تخرج (فلسطين) من حظيرة العروبة ولم يهبط من سمائها لواء الإسلام بصورة كلية بفضل جهاد المؤمنين المخلصين ، وبذلهم الأموال والأرواح رخيصة في سبيل الله ، وحتى تلك الأجزاء الغالية التي وقعت في قبضة الصليبيين لم تلبث راية محمد أن أظلتها من جديد ، وقذفت بأعدائها المغيرين إلى بعيد، وأراد الله للحق أن ينتصر كما تقضي بذلك النواميس الكونية.. ولجحافل البغي أن ترتد وتنحسر ، لأن عمر الظلم وإن طال فهو قصير .. وظل الطغيان وان امتد زمناً فلا بد يوماً أن يتقلص ، طبقاً لسنن الله القاضية بحتمية هلاك العتاة والجبارين .

وإذا كان ذلك هو تاريخنا ، انتصارات وبطولات .. فما بالنا اليوم وقــد طعن الشرف وديس الحمى واستهين بالإسلام وأبناء الإسلام ، لا نهبُّ هبّة الاعصار لإزالة لطخة العار واستنقاذ الأرض السليبة من براثن العدو الغدار .

ما بالنا اليوم .. وأمتنا منكسة الرأس مزعزعة الكيان – لا نشعلها حرباً مقدسة تهدم حصون الأمان التي يحتمي فيها الغاصبون ، وتعيد مليون إنسان إلى غابات الكروم ومروج البرتقال والزيتون .

ما بالنا لا نبذل بسخاء ولا نغدق العطاء أفراداً وجماعات .. شعوباً وحكومات .. ولفحات المحنة تعصف بنا جميعاً ، والجرح العميق ينز بالدماء في كل قلب من قلوب أبناء العروبة ؟ .

لماذا لا تتدفق آلاف الفدائيين على أرض المعركة من كل قطر عربي ؟ .. لماذا لا تنطلق هناك جميع الجيوش التي تحمل شعارات العروبة ، وينطق جنودها اللسان العربي ؟ لماذا لا يعبأ كل ما في الخزائن الخاصة والعامة من أموال لتحطيم غرور (دايان) واستعادة كرامة أمة القرآن ؟ ..

لتوقف المشاريع في كل بلد عربي عاماً أو عامين . وتفرض برامج الزهد والتقشف فترة تطول أو تقصر لينقلب الشعور بهول المأساة وقدسية الثأر والانتقام دماء تتفجر في الشرايين ، وطاقات من الايمان تنبعث قوية جارفة في القلوب .

إننا يا قوم شعب واحد وان اختلفت مغانينا وأوطاننا .. فلنبرز جميعاً إلى خط النار بعزيمة الأبطال الأحرار ، وإرادة المارد العربي الجبار ، هاتفين في قوة وإصرار .. الثأر .. الثأر .. من عصابات الأشرار من كل طاغية جبار .

وعندما تنطلق جحافل المائة مليون فقل سلام على أبناء صهيون .. وتسمع الدنيا كلها قوماً يهتفون : نحن عائدون .. عائدون .

فيا أمة العرب في كل مكان، لا نريد للذكرى الثانية والعشرين أن تطل عليهم فيمرحون ويتبجحون ، بل نريد غروباً عاجلاً لشمس صهيون ، وشروقاً سريعاً لشمس (عدنان) وأمة القرآن ، فمتى تشرق هذه الشمس من جديد ؟ متى تتردد في جنبات المسجد المبارك آيات القرآن المجيد ؟ .

أريدكم أن تقولوا في وعد قاطع وعزم أكيد : إن ذلك اليوم السعيد ليس ببعيد .

شهر المآسي والآلام

عندما يطل شهر مايو من كل عام ينشر أمام العرب من المحيط إلى الخليج صفحات حالكة السواد ، ويثير ذكريات أشد وقعاً في النفوس من شوك القتاد، لأنها تعيد إلى الأذهان فصول الرواية الحزينة التي كان آخر مشهد فيها ميلاد دولة يهودية دخيلة ، وانهيار آمال أمة عريقة نبيلة ، وتمخض جهاد طويل ظل متأجج الأوار زهاء جيل ، عن خيبة مريرة وانتكاسة تاريخية خطيرة منيت بها أمة العرب على أيدي قلة من الاغراب والأوشاب ممن ضربت عليهم الذلة والمسكنة ، بمقتضى ما ورد في محكم الكتاب ، ولم يكن لهم بين شعوب العالم مكان يتواجدون فيه كأي قوم من البشر ، ولا كيان مستقل ، ثابت الدعائم راسخ الجذور في أي بقعة من بقاع الأرض ، وشد أزرهم الاستعمار وأمدّهم بقوة الحديد والنار حتى تهيأ لهم بفضل أعداء العرب من العناصر الصليبية الحاقدة أن يغتصبوا من صميم شرقنا المكان ، بعـــد أن لفظهم كل مكان .. ويقيموا على أرضنا العربية الكيان الذي ظلوا يحلمون به منذ أبعاد سحيقة من الزمان ، ولم يعرف لهم قبل شهر مايو سنة ١٩٤٨ م ، أي كيان .

وهكذا استحكمت حلقات المأساة وأصاب قلب الأمة الخالدة هذا الخنجر المسموم الذي لم تستهدف لأشد منه هولاً منذ كارثة بغداد على يـــد التتار ، وغروب شمس الإسلام عن الفردوس المفقود على أيدي الموتورين الاسبان . وحتى مذبحة بيت المقدس التي اقترفها الصليبيون قبل عدد من القرون ليست في رأينا بأبشع ولا أفظع من هذه اللعنة التي عصفت بأجيالنا الحاضرة ، لأن تلك

المجزرة وإن كانت أعظم مثل في التوحش والتجرد من الخلق الانساني ، إلا أنها جاءت على أيدي مجموعة من الأمم لها في صفحات التاريخ أدوار ، وبين دول العالم وزن واعتبار ، أما هذه المحنة التي نعيشها اليوم فقد صنعتها في الظاهر حثالات ونفايات لا تنتمي إلى جنسية معينة ، وليس لها ألوان خاصة تميزها ، فهي تتلون تبعاً لظروف مصلحتها ، وتتكيف حسب الأحوال والمقتضيات التي تتطلبها منافعها وغاياتها من غير أن يكون للضوابط الاخلاقية أي أثر في سلوكها الفردي والجماعي ، تمردت من قبل على رسالات الأنبياء وكفرت بتعاليم السماء ، فحلّ بها الخزي الإلهي ، وحاقت بها لعنة الله وملائكته والناس أجمعين ، ونالها من قديم الانحلال والتمزق والتشريد .

ولولا أن وراء هذه الحثالات قوماً يزعمون أنهم ربائب مدنية ورسل عدالة وسلام لما قدّر لوجودها أن يكون هنا فوق أرضنا العربية في شكل دولة ، لها راية مرفوعة وسياسة مشروعة وكلمة في الأوساط العالمية مسموعة ، ولكننا لم نقابل هذا التأييد الذي تلقاه دولة العصابات الإسرائيلية من قبل أولئك القوم بالدهشة والاستغراب ، لأننا على يقين بأنهم هم الذين بذروا بذرتها الأولى في التربة العربية ، هم الذين خلقوها لتكون شوكة في جنب أمة العرب ، ومنطلقاً لهم يستخدمونه متى تتعرض مصالحهم في المنطقة للخطر ، وحين يريدون أن يتلذذوا بإذلال هذه الأمة العريقة في المجد والحضارة وذات الرسالة الاشعاعية الخالدة . هذه الأمة وإن ضربوها ضربة قاصمة بخلق اسرائيل في قلب كيانها ، إلا أنها سوف لن تموت ، ولن تخبو لها شعلة ، لن يخمد الثأر الذي يتأجج في صدرها حتى تنتقم للشرف المطعون وتطهّر الحرم المصون .

ان هذه الدولة التي أقاموها لا تملك المقومات الأصيلة لوجودها ، ولا تمدها الحياة بأسبابها الطبيعية ، وإن الدماء التي تجري في عروقها ليست دماء ذاتية تهيأ لها أن تعيش إلى الأبد كأي كائن حي يستمد الحياة من داخله ، وإنما هي دماء مكتسبة تتمثل في إمدادات يهود العالم لها بالأموال ، والمنح السخية

التي تتلقاها من الدول الاستعمارية ، ولا ريب أن هذه الروافد ستجف يوماً ، وأن الظروف ستتغير حتماً بتأثير عوامل تاريخية ، وتيارات إنسانية ، سوف تحدث إن عاجلاً أو آجلاً ، ويومئذ يتوقف المدد ، ويفقد الوجود الدخيل مزايا البقاء وعناصر الدوام والاستمرار ، وهذا المصير الرهيب الذي لا مفر منه لدولة العصابات الصهيونية إذا قدرنا أنها تركت وشأنها ، وهو ضرب من المستحيل ، لأن الأحداث التي تجري في المنطقة الآن تدل على أن الحال قد أصبح غير الحال ، فيقظة الشعب الفلسطيني واندلاع ثورته على نطاق واسع ، وانبعاث طاقات جديدة هائلة في جيوش الدول العربية ، كلها شواهد وإرهاصات قوية تؤكد أن أياماً عصيبة وويلات رهيبة ستعصف بدولة الطغيان ، وتزلزل كيان هـذا السرطان ، وتحيطه بالنيران من كل مكان .

وإذا كان مصير العرب في الجولات السابقة الهزيمة والخذلان ، وتخلخل الصفوف وضعف الايمان وأسباب أخرى خارجة عن نطاق إرادة الإنسان . فإن كل الوقائع والعلامات الظاهرة للعيان تثبت أن الوضع قد تغير ، وأن مهزلة الماضي لن تتكرر ، وأن الأمل في نصر الله كبير فهو نعم المولى ونعم النصير .

من أجل أن نحرز النصر في المعركة

أيها العرب أينما كنتم وحيثما وجدتم .. افتحوا عقولكم لهذا النداء المتفجر من الأعماق ، ومـــا أكثر النداءات التي تنطلق هذه الأيام مهيبة بكم أفراداً وهيئات ، شعوباً وحكومات ، أن يتعمق إحساسكم بالمأساة التي اجتاحت أمتكم في مثل هذا الشهر قبل إحدى وعشرين عاماً ، وكان لها من الابعـــاد والنتائج الرهيبة ما زاد من ضرام نارها ، وشدة هبوب اعصارها .

وإذا أحسستم كما يجب بالمأساة الأم التي تمخضت فيما بعد عن مآس كثيرة مريرة ، فإن احساسكم هذا سينقلب إلى عمل عظيم مشترك في كل مجال ، يبذل فيه الجميع بسخاء ، ويعطون بلا حساب عطاء يتجاوز نطاق الأرقام ودائرة الحدود ، لأنه مبني على الشعور بأن الحرب التي ستضرم نارها إنما هي دفاع عن شرف العرب قاطبة ، واستعادة لكرامة الاسلام التي أُهدرت في أرض السلام. ودفاع حتمي ومفروض عن كل شبر من الأرض العربية على امتداد رقعتها ، من سواحل المحيط غرباً إلى ضفاف الخليج شرقاً .

ولكي نرتفع إلى مستوى المعركة – معركة المصير الكبرى – لا بد أن نحس في أعماق وجداننا بأننا وأي مواطن فلسطيني من (نابلس أو رام الله أو القدس أو غزة أو حيفا) في الأمر سواء ، كما هو شأن اليهود في جميع أنحـاء العالم القاصية والدانية ، إنهم يعتبرون اسرائيل (أماً) لكل يهودي ، يضحي في سبيلها بأعز ما لديه ، وبأغلى ما يملك ، إنه يرى في بقائها بقـــاء لوجوده ، وفي امتداد سلطانها اعزازاً له وإعلاء لشأنه ، ورغم تقديس اليهود للمـــال

واتخاذهم إياه إلهاً يعبدونه .. فإنهم يغدقون عليها التبرعات بصورة لا تخطر على بال .. وتبدو لأول وهلة ضرب من الخيال ، بينما نتبرع نحن لقضيتنا المقدسة بقدر محدود لا يعد شيئاً يذكر إذا قورن بالمبالغ الضخمة التي يبذلها اليهود ، فمنذ شهور قليلة قررت المنظمات اليهودية في (لندن) أن تجمع مبلغ خمسة عشر مليوناً من الجنيهات الاسترلينية لحساب اسرائيل،وحددت لجمع هذا المبلغ مدة أسبوع واحد،ولكن ما حدث فعلاً شيء مذهل قوبل من مختلف الأوساط بالعجب الشديد والدهشة البالغة ، ان مبلغ الخمسة عشر مليونا وصـــل إلى الخزانة الاسرائيلية قبل انبثاق فجر الليلة الأولى منذ اعلان المنظمات الصهيونية عن هذا المشروع .. أي بعد مرور ساعات قليلة فقط .

وهنا حادثة مماثلة لا تقل عن الأولى من حيث اثارة الدهشة والذهول .. وهي أن جماعات الصهيونيين في أمريكا قررت منذ بضعة شهور أيضاً أن تجمع لاسرائيل مبلـغ سبعين مليوناً من الدولارات لتستعين بها على شراء الطائرات (الفانتوم) وقدرت لجمع هذا المبلغ شهراً كاملا ، ولكن الوقائع جاءت تؤكد تحقيق هذا الهدف قبل أن يبلـغ الاسبوع الأول مداه .

وما هذه الحادثة وتلك إلا نموذجان صغيران للبذل الكبير والعطاء الغزير الذي يفيضه اليهود على دولتهم لتستكمل أسباب قوتهـا وتحافظ على مستوى تفوقها . ولكي تكون قادرة على انتزاع الانتصار وتحقيق المزيد من التوسع والانتشار ، وليس أدل على صحة هذا الذي نقول من الرقم الخيالي المهول الذي بلغته ميزانية الدفاع لاسرائيل في السنة المالية ٦٨ – ٦٩ ، فقد أعلن أن مجموع الأموال المخصصة للدفاع تقدر في السنة المذكورة بما يزيد عن ستمائة مليون جنيه استرليني . فكيف يعجب المرء بعد أن يسمع أرقام هذه الميزانية الدفاعية التي هى أشبه بالأسطورة لدولة صغيرة قوامها مليونان ونصف مليون من البشر . كيف يعجب أن تغطي كل سمائها بالطائرات الضاربة ، وتستحيل كل بقعة فيها إلى قلاع متراصة من الدبابات والمدافع الضخمة والأسلحة الثقيلة على اختلاف

أنواعها . كيف يعجب المرء وهو يسمع أقـــاصيص ذلك الدعم المالي المستمر من طرف ملوك المال في العالم وتدفق أمواج المتطوعين من الطيارين والفنيين وأرباب التخصصات العالية، كيف يعجب بعد هذا كله أن تربح اسرائيل معركة حربية ، أو تحقق مكاسب إقليمية بفضل إمكانياتها الهائلة ووقوف كبريات الدول الاستعمارية إلى جانبها تعزز مركزها وتمنحها كل ما يعوزها من عون وتأييد.

ولكن مهما بلغت دولة العصابات الصهيونية في قوتها العسكرية وتفوقها (التكنولوجي) ومهما تدفق في خزانتها من أنهار الذهب ، ومهما لقيت من مساندة الاستعمار فإن ذلك كله لن يهيىء لها أسباب البقاء ، ولن يحميها من المصير المحتوم في يوم قريب أو بعيد ، وذلك إذا تسلحنا نحن العرب في حربنا ضد هذا (السرطان) بسلاح العقيدة ، وارتفعنا في وعينا وإدراكنا ، وعلمِنا وبذلِنا وتضحياتنا إلى مستوى المعركة ، نعطي الكثير بـلا امتنان ، ونتذرع بقوة الايمان ، ويتجاوز البعيدون عن خط النار منا طور الأقوال إلى الأفعال ، ويقدم الرجال من لا يملك المال .

إذا فعلنا ذلك وسنفعل ان شاء الله ، فان الله السميع المجيب ســوف يثلج صدورنا بنصر قريب ، وإنه عز وجل لحقيق أن يزيح عن سماء نفوسنا هــذه الغمامة ، ويعيد إلى رؤوسنا تاج العزة والكرامة . وهو جلت قدرته واهب النصر المبين لعباده المؤمنين، وسوف لن يخذل أمة القرآن المجيدة ولو بعد حين.

إلى متى نتعزى بالدروس والعبر؟

كلما عصفت بنا محنة وخرجنا منها على غير ما نحب .. قلنا ان هذا درس جديد استفدناه ورصيد من التجارب إلى رصيدنا السابق أضفناه ، وعلينا أن نتخذ من هذه الانفتاحات على الآفاق العسكرية والسياسية التي لم تدخل من قبل في نطاق معارفنا ، ولم تقع في متناول مدركاتنا ، شموعاً مضيئة نستهدي بها في تلمس طريقنا نحو المستقبل الأفضل ، وطاقات عظيمة مكتسبة نسخرها في دعم كياننا المرتج ، وتثبيت أركاننا المتصدعة .

ولكن مرّت إحدى وعشرون سنة .. تعرضت الأمة العربية خلالها لسلسلة من الأحداث الدامية والانتكاسات الرهيبة المزلزلة ، وبعد تجرعها الكأس المرير إثر كل ضربة قاصمة تنزل بها .. ترتفع الأصوات من هنا وهناك مرددة تلك النغمة .. لا ينبغي أن نيأس ، ولا ينبغي أن نهول الموقف أكثر مما يجب ، هذه فرصة أخرى لاقتباس الدروس واستخلاص العبر ، وبفضل حصيلتنا الجديدة من تلك الدروس وهذه العبر فاننا سنتلافى أخطاء الماضي ، ولن يتكرر تمثيل المأساة المروعة على مسرح بلادنا مرة ثانية لأننا قد استكنهنا حقيقة العدو ، وعرفنا أسرار قوته ، واجتلينا على الطبيعة المزايا التي يتمتع بها ، والأسباب التي أدت إلى تفوقه ، كما أدركنا في الوقت نفسه مواطن ضعفنا والعوامل الحقيقية الكامنة وراء هزيمتنا ، وتلك هي نواميس الحروب .. يوم لك ويوم عليك ، نصر يثلج صدرك بمعسول رضابه اليوم ، وهزيمة تجتاح نفسك بعذابها وأوصابها غداً .

وهكذا تنطلق أجهزة إعلامنا بمثل هذه الأساليب عقب كل محنة نستهدف لسياطها الملهبة، وهدفها من وراء ذلك تهدئة النفوس والتخفيف من هول النكبة وبث روح العزاء بين الجماهير الجزعة الكئيبة ودعوتهم إلى تقبل الواقع بثبات وصبر، وعدم تحميل النكسة أكثر مما تستحق من الابعاد والمفاهيم، والتطلع إلى المستقبل بثقة عميقة وأمل كبير.

ونحن مع إيماننا بفاعلية هذا الاسلوب في التوجيه والتوعية، وأثره الايجابي في دفع الناس إلى التماسك والحيلولة دون المزيد من التلاشي والإنهيار في العزائم والهمم .. نريد من حكومات وشعوب أمتنا ألا تظل إلى الأبد هدفاً لمصاب أو محنة اثر محنة، وكلما تفتح عينيها عقب هبوب العاصفة تأخذ في التعزي والتعلل بالاستفادة من نتائج الأحداث ومعطيات المعارك ذات الآثار المدمرة، وإنما نريدها - وقد عظم رصيدها الآن من الدروس والعـــبر، وتضخمت حصيلتها من التجارب والخبرات في مجال الحرب والسياسة - نريد ألا تأخذ على غرة في هذه المرة، وأن تستخدم تلك المكاسب التي ظفرت بها طوال واحـد وعشرين عاماً، وتلك الاستطلاعات الواسعة لطبيعة استعدادات العدو في سبيل فرض نتيجة حتمية واحدة لا يسمو اليها الشك، ولا يتطرق اليها الاحتمال، نتيجة باهرة مبهجة تأسو جميع الجراح الناشئة عن النكسات الثلاث التي شهدتها الرقعة العربية خلال الواحـد والعشرين عاماً الماضية.

ولن تعجز الإرادة العربية تؤازرها إرادة الله أن تجعل هذه النتيجة الوحيدة التي تطلع اليها آمال كل العرب حقيقة ساطعة ملموسة الأثر، يرن صداها في أسماع العالم بأسره، وتصحح وضع هذه الأمة بين شعوب الأرض التي أخذت تتشكك في مقدرتها على حماية أوطانها وانتزاع حقها واسترداد كرامتها كما تؤدي إلى اعادة وصل حاضرها بغابرها، والقضاء على الصفحات السود التي تشوه سجل تاريخها المعاصر.

ولن تكون الارادة العربية النابعة من إرادة الله قادرة على صنـــع تلك

الحقيقة العظيمة ، ووضع حد للمحن والانتكاسات ، واقتباس العبر والدروس النافعات إلا إذا تنادى العرب من شواطىء المحيط إلى ضفاف الخليج بحتمية أخذ الثأر واستنقاذ موطن العرب الأحرار ، وتدفقت الأموال بلا حساب لرفع مستوى الاستعداد وتعبئة قوى جبارة لحمل لواء الجهاد على أن تكون الروح التي تحدو الجميع هي الاحساس بأن فلسطين أرض للعرب أجمعين ، بل لكل المسلمين ، وأن تحرير المسجد الأقصى والصخرة المباركة أمانة مقدسة في عنق أبناء أمة القرآن في كل مكان . وأن يصبح كل وطن عربي منطلقاً للفدائيين ينقضوّن منه على الجلادين الغاصبين ، ويمطرونهم حمم الجحيم ممسين ومصبحين ، وأن لا توصد الأبواب في وجه هؤلاء الأحرار الذين يناضلون من أجل محو العار وتحرير الديار ، واستعادة كيان الشرف المنهار .

أيها العرب .. أيها المسلمون .. ان كل ما صنعه أسلافكم من روائع وأمجاد في ميادين الحرب وكل ما دبجوا به أسفار التاريخ من آيات التضحيات والبطولات ، وكل ما قدموه من دفعات قوية لمسيرة الحضارة البشرية ، وكل الأدوار المجيدة التي لعبوها بكل نجاح في سبيل تطوير الانسانية ؛ معرّض الآن للتجاهل والاستهانة والتغاضي والاهمال وتضاؤل اسهامه في ازدهار حاضركم ومستقبلكم بتحقيق المزيد من الاشعاع والالهام ، ما لم تصدقوا اليوم بالعمل ؛ ذلك الرصيد التاريخي المكتوب ، وما لم تبرهنوا بالواقع المشاهد على أنكم أحفاد أولئك الأبطال الذين حطموا امبراطوريتين عظيمتين في أقل من ربع قرن ، وكانت عقولهم وجهودهم العلمية والحضارية أعظم نوافذ الضياء في تاريخ الانسان .

ونحن نناشدكم بقرآنكم وبمحمد مفجّر النور في قلوبكم ، وبعروبتكم رمز عزتكم ودوحة الشرف لأمتكم أن تكونوا أوفياء لأسلافكم ، أحرياء بتاريخكم ، أمناء على رسالة قرآنكم ونبيكم .

والله يلهمكم رشدكم ويجمع المتفرق من شملكم ، ويهبكم القدرة على استرداد

هيبتكم وفرض شخصيتكم واستنقاذ مسجدكم الحزين ، ومسح دموع أبنائه الضائعين المشردين .

ونحن على ثقة بأن هناك طائفة صالحة ما تزال ظاهرة على الحق موزعة هنا وهناك في أوطانكم مصداقاً للقول النبوي الكريم : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة » . هذه الطائفة هي ان شاء الله وعلى الأقل ستسمع وتستجيب وتغيث وتنجد .

ولا تيأسوا من روح الله

مر الآن ما يقرب من عامين على حلول آخر كارثة بهذه الأمة التي حفل تاريخها الطويل بالكثير من المحن المماثلة دون أن تهن لها عزيمة أو يخبوا لها أمل في انجلاء الليل الذي خيم على حياتها ، ودون أن تتزعزع ثقتها بنهوضها من كبوتها ، وتدارك الله لها في النهاية بواسع رحمته وجميل لطفه ، وعظيم نصره وتأييده ، وإنها في هذه المرة كالعهد بها من قبل ما تزال قوية الايمان بحقها ، راسخة اليقين بحتمية اشراق اليوم الذي تفرض فيه وجودها ، وتظهر معالم شخصيتها ، وتصفي تركة مآسيها وآلامها . وليس هذا مجرد خيال كاتب ينثر قلمه الكلمات على الورق جزافاً ودون سابق حساب للمعاني والمدلولات؛ ولكنه الواقع شهد ملامحه وآثاره القريب والبعيد بارزة مجسمة على الطبيعة مما لم يترك سبيلاً للشك في عملية التغيير الكبرى التي طرأت على الشعب العربي في جميع أقطاره وأمصاره ، وهذا الوعي الجديد الذي تفجر متعدياً نطاق الخطب الحماسية والمقالات المثيرة والهتافات المدوية ، ومتخذاً في هذه الصورة الاخيرة فاعلية أعمق وإيجابية عملية تختلف كل الاختلاف عن مجرد وضع القرارات ورسم برامج التنفيذ من غير تنفيذ .

ان هذا الوعي يتخذ شكل ثورة فلسطينية جماعية ضد الغاصب الدخيل ، إنه يتمثل في البنادق ينهمر منها الرصاص ليحصد أرواح الغادرين ، وفي المدافع تنبعث منها القذائف لتدمر أوكار المجرمين ، في الصواريخ تنطلق لتصب البلاء على رؤوس الظالمين .

ولم يكن مثل هذا قد حدث من قبل في أعقاب أية هزيمة مني بها العرب في فلسطين ، اللهم إلا في شكل حوادث فردية صغيرة وعلى نطاق ضيق لم يكتب له الدوام والاستمرار .

ان هذا الدور البطولي الرائع الذي يؤديه الفدائيون اليوم داخل الأرض السليبة، وكان من الأدوار التائهة التي تنتظر الممثلين البارعين لكي يخرجوها إلى حيز الوجود متوهجة ساطعة ، وكان ينبغي ألا يظل هذا الدور الحتمي في عالم التيه والنسيان حتى الآن ولكن من أحكام نواميس الله في الكون ألا تتواجد المسببات قبل الأسباب ، ولا تأتي النتائج إلا تبعاً للمقدمات؛ فلم يشأ ربك أن ينفخ من روحه في أبناء الشعب الفلسطيني ، ويأذن جلت قدرته بانقضاء فترة المصاعب والمعوقات إلا بعد تجرع العرب الكأس المريرة الثالثة في العشر الأوائل من شهر يونيو ١٩٦٧ م . ومنذ ذلك الحين بدأ أصحاب الحق مسيرة النضال من أجل انتزاع هذا الحق، وأخذوا يبذلون بسخاء وبلا حدود في سبيل ابراز كيانهم كشعب يجب أن يكون له بين شعوب العالم وجود ، وأخذوا يقدمون الضحايا على مذبح الحرية ، ويزلزلون بغاراتهم المركزة الأرض تحت أقدام العصابات الصهيونية ، ولم يلبثوا إلا قليلا حتى استطاعوا أن يسمعوا هدير مدافعهم ودوي رصاصهم كل قاص ودان من أبناء الإنسانية ، وأن يلفتوا أنظار العالم كله اليهم كطلائع ثورية تكافح بفدائية نادرة لتحطيم عدوها وتحرير أرضها .

وقبل انفجار هذه الثورة التحريرية العارمة ، كادت شخصية الشعب الفلسطيني تنطمس وتتلاشى بتأثير الدعاية الصهيونية وما وراءها من أبواق الدول الاستعمارية التي ما فتئت تعمل طوال العشرين سنة الماضية على تجميد قضية اللاجئين وفرض سياسة الأمر الواقع على الشعب العربي لكي ينفضوا أيديهم من فلسطين ويعتبروا شعبها كإحدى الأمم البائدة التي كانت فيما مضى تشكل مجموعة من بني الإنسان وتعمر بقعة من الأرض ، وأصبحت الآن خبراً من الأخبار ، لا دار ولا ديار ولا نافخ نار ، وإذا كانت عملية المحو الجماعي والدمار الشامل قد حدثت في العصور

القديمة ، لتمرد بعض الأقوام على تعاليم الله وعصيانهم لأنبياء الله ، مما أحل بهم نقمة السماء ، فما هو ذنب الفلسطينيين حتى يقتلوا ويشردوا ويلغى وجودهم من رقعة الوجود ، لا لجرم اقترفوه يستوجب هذا العقاب الرهيب ، اللهم إلا أن تقام لليهود دولة فوق أرضهم ، وتحت سمائهم ، وتفتت شخصيتهم ويدمر كيانهم ، لا لشيء إلا لتحقيق أحلام عصابات من المغامرين وتجميع نفايات من مختلف الشعوب ، لا تحكمهم مبادىء ولا تنظم سلوكهم قيم ولا اخلاقيات سامية ، ولعل المرء يندهش ويتملكه ذهول شديد عندما يرى أن المجتمع الغربي بحكوماته وشعوبه يقف موقف المؤيد والمناصر لعصابات صهيون يسندها ويعاضدها سياسياً وعسكرياً ، في حين أن أبسط فرد في ذلك المجتمع المتمدن يدرك بكل وضوح أن الأرض التي بنى عليها الافاقون اليهود دولتهم هي أرض عربية بنسبة ٩٥ ٪ على الاقل ، وان هناك مليوناً ونصف مليون من العرب قد أخرجوا من ديارهم بأسنة الحراب ووسائل التنكيل والارهاب ، واغتصبت ممتلكاتهم واستبيحت مقدساتهم وانتهكت حرماتهم وارتكبت في شأنهم من الجرائم والعظائم ما تتصدع لهوله جلاميد الصخور ، ومع تبلور هذه الحقيقة البشعة في أذهان الغربيين ، شعبيين ورسميين فانهم ما زالوا يدعمون الوجود الصهيوني في فلسطين بجميع ما يملكون ويشجعون دولة العصابات على المزيد من التوسع والعدوان ، وهم الذين يزعمون لأنفسهم الالتزام بقواعد العدل والمساواة واحترام حقوق الانسان في كل مكان ، وانهم هم النماذج الرفيعة لتطبيق مبادىء الحرية والسير على هدى من العقل والضمير الانساني .

فأي تناقض أفظع من هذا التناقض الذي يتخبط في متاهاته الغربيون ، بينما هم يمجدون تعاليم الثورة الفرنسية — الحرية ، الإخاء ، العدالة ، المساواة — نراهم يساندون اسرائيل التي تنطلق في اتجاه معاكس لهذه التعاليم ، وتمثل صورة صادقة متكاملة للتسلط والاجرام ، وإهدار كرامة الانسان بأخس أشكاله وأقذر أوضاعه ، وبالاضافة إلى المواقف الغربية الرسمية المتحيزة دائماً

لاسرائيل ، نجد صحافة الغرب لا تدخر وسعاً في مظاهرة اسرائيل ، ومباركة كل ما تقترفه من ألوان الظلم والطغيان ، فهي تبتهج لهزائم العرب وترقص طرباً لما يعصف بهم من آلام وانتكاسات ، وتأسى وتكتئب إذا وخزت اسرائيل أشواك الورد ، أو تمخضت الأحداث عن أي تطور لا يتفق مع هواها ، ولا يبارك نواياها العدوانية .

هل يعقل أن يوصف هؤلاء المطبلون المزمرون لاسرائيل بالنزاهة وحرية الضمير ، والاستهداء بتعاليم الحق والمساواة في سلوكهم .. كلا .. وألف مرة كلا .. انهم لا يستوحون أي مبادىء فيما ينشرون ويكتبون وفيما يتخذون من مواقف رسمية وغير رسمية ، وإنما هو منطق المصلحة يوجه سلوكهم ، وانعكاسات الدعاية الصهيونية الكاذبة المغرضة تشل أجهزة عقولهم ، فتصدق وتقتنع ولا تكلف نفسها مؤونة البحث عن الحقيقة ، وحتى إذا تهيأ لها أن تعرض هذه الحقيقة فانها تظل سادرة في ظلماتها ، متعصبة لباطلها وانحرافاتها . ونحن بصرف النظر عن كل شيء فإننا سننتصر بعون الله ، رغم التأييد الجماعي الغربي لإسرائيل ، فان قضية الشعب الفلسطيني سترجح كفتها في ميزان العدالة رغم الاسلحة اليهودية التي لا تدخل تحت حصر ، فانها ستتحطم على المدى القريب أو البعيد بسلاح الحق الذي لا ينكسر ولا يفل .

أيها العرب .. لا تمدوا يد السلام لعدوكم بنفوس ذليلة ورؤوس منكسة ، ولا تبرموا معه أي صلح ما لم يكن عزيزاً مشرفاً ، واعتمدوا في نضالكم المقدس على الله ثم على أنفسكم ، ولتكن قلوبكم مفعمة بالرجاء مشرقة بنور الأمل مع الجد والمثابرة على العمل ، وكونوا دائماً مؤمنين بقدسية قضيتكم وتألق مصيركم ، ولا تيأسوا من روح الله ، انه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

يجب أن تكون قضيتنا الكبرى أكثر وضوحاً

رغم مرور احدى وعشرين سنة على اغتصاب فلسطين ، وإدراك العالم كله بأبيضه وأسوده وجود أكثر من مليون عربي لاجئـــين مشردين .. وتفهم بني الانسان قاطبة لحقيقة الظروف التي لابست قيـام إسرائيل ، فإن معظم الناس لا سيما في الغرب .. وحتى افريقيا وآسيا ، ما زالوا يجهـلون الجوانب التفصيلية والنواحي الجوهرية للقضية الفلسطينية ، إذ أننا نسمع ونرى كل يوم تصرفـات عدائية ومواقف ظالمة متحيزة من أقوام غربيين وشرقيين ليس بيننا وبينهم مـا يبرر مسلكهم غير الودي نحونا، وتحاملهم الشديد علينا باستعمال أساليب دعائية بعيدة كل البعد عن روح الانصاف،وتوخي العدالة والحق. وليس من المعقول أن يعزى هذا الذي نسمعه ونقرأه ونشاهده بياض النهار وسواد الليل ، إلى مجرد تأثير الدعاية الصهيونية وتغلغل النفوذ اليهودي في الاوساط الشعبية والرسمية الغربية منها وغير الغربية ، ممـــا يقلب تفكيرها وتصوراتها بالنسبة للعرب ويعكس اتجاهاتها إزاء قضيتهم المقدسة كأنما أجريت لتلك الأوســـاط عملية (غسل مخ) التي تجعل المرء يتنكر لمبادئه ومفاهيمه التي كانت من قبل جزءاً من كيانه ، ويعتنق في الوقت نفسه مبادىء جديدة حقن بها بطريقة جهنمية ، وأمليت عليه إملاء إيحائياً فتشربها عقله ، وتفتحت لها مداركه ، وأصبح كل ما سواها في اعتباره زيفاً وباطلاً .

إن قيل هذا .. أي أن ما نلمسه من مواقف عدائية إنما هو رد فعل الدعاية

الصهيونية ذات الأساليب المدروسة البارعة .. قلت : إن ذلك صحيح إلى حد كبير ، فاليهود يملكون من وسائل الإغراء والإجتذاب والتأثير ما يجعل الفوز الذي حققوه في مجالات الدعاية العالمية ليس بعجيب ولا مستغرب ، ولا ينبغي أن يقابل من جانبنا نحن العرب بالدهشة والذهول ، ولكن الذي أريد أن أقوله رغم تسليمي بفاعلية الدعاية الصهيونية ــ هو أننا معشر العرب مقصرون في التعريف بقضية فلسطين وإبرازها في إطار عصري يعطيها من الجلاء والوضوح ما يفتح أمامها القلوب ويهيىء لها أن تشق طريقها بين مختلف الشعوب . ونحن بهذا التقصير أو القصور نسهم بدور ملحوظ في إتاحة فرص النجاح الذي وصل إليه اليهود في إلباس باطلهم ثوب الحق وإظهار الحق العربي في صورة الباطل ، وتقديم أنفسهم في شكل أقلية لا هم لها إلا أن تعيش في أمن وسلام ، وهي إنما دفعت دفعاً لبناء القوة العسكرية لتحمي نفسها من التهديد المستمر بالدمار والقذف في النار ، بينما تعمد إلى تصوير العرب بأنهم قوم جفاة متسلطون ظالمون أعداء للسلام والنظام ، متعطشون إلى سفك الدماء متربصون دائماً بجيرانهم الضعفاء .

ولو أننا ارتفعنا إلى مستوى العصر في أساليبنا الدعائية ، وجندنا الكفايات القادرة في هذا المضمار ، وبذلنا الأموال بكل سخاء لتحقيق النصر في هذه الحرب التي لا تقل شأناً عن حروب الميدان بعد دراسات متعمقة مستفيضة لنفسيات الشعوب وطبيعة ميولها ، لو أننا فعلنا كل ذلك لقللنا الكثير من عدد الأعداء ، ورفعنا نسبة عدد الأصدقاء ، وكنا مع اليهود في مجالات الدعاية على قدم المساواة رغم خسة أساليبهم ، نهدم ما يبنون ونبني ما يهدمون ، ونصحح وضع الصور والمفاهيم التي يقلبون .

وحتى الآن لا يزال المال أمضى سلاح لإحراز النصر في أية معركة ، ونحن بحمد الله نملك من هذا السلاح أكثر مما يملكه اليهود . والعلم .. وإن سجلوا فيه سبقاً بيناً وتفوقاً مشهوداً به ، إلا أنه في مقدورنا إدراكهم في هذا المضمار ، ومجاوزتهم بمراحل ، لو صحت منا الإرادة وصدق الإيمان ، إذ أن الفارق الضخم في النسبة العددية يعطينا مزايا عظيمة من المستحيل أن يتاح لهم مثلها ، أو

يمكنهم من تحقيق بديل عنها، ولو أن يهود العالم أجمعين أصبحوا نوابغ موهوبين.

ولعل تلك الصور المقلوبة والحقائق الكاذبة المزورة التي تنشرها صحف الغرب، وتلوكها إذاعاته وتعرضها (تلفزيوناته) وما يدور في فلكها من أجهزة الإعلام الأفريقية والآسيوية، لعل تلك المعلومات التي تعكس الوقائع تدفعنا إلى التحرك بسرعة على شتى الجبهات في مختلف القارات مناصرة لحقنا ودعماً لموقفنا وكشفاً لأباطيل عدونا.

إن هذه الحملات الدعائية الظالمة التي هي من تدبير الصهيونيين أو بتأثير إيحاءاتهم المضللة تعمق إحساسنا بوجوب الظهور على المسرح العالمي بوعي أعمق (واستراتيجية) أدق وتفهم أوسع وأصدق.

وقد حدث قبل أسابيع قليلة أن نشرت جريدة (التايمس) اللندنية ملحقاً خاصاً عن إسرائيل يتكون من اثنتي عشرة صفحة، وكل ما احتواه هذا الملحق تأييد صريح لليهود وتحامل حاقد مسعور على العرب ومما جاء فيه قول الصحيفة: (إن الإسرائيليين معقولون في مطالبهم منطقيون في آرائهم، عادلون في جميع مواقفهم، وإن العرب مشتطون متعسفون .. لأنهم يطالبون بحقهم إن كان لهم حق — بأسلوب غير واقعي وطريقة ليست بملائمة).

هذا ما تقوله صحيفة (التايمس) اللندنية في الوقت الذي يعلن فيه العرب قبولهم لقرار مجلس الأمن الصادر في شهر نوفمبر سنة ١٩٦٧ م. ويرفض الإسرائيليون المعقولون المنطقيون هذا القرار، وفي الوقت الذي يذيع فيه بعض زعماء العرب على مسامع الدنيا كلها انهم مستعدون للالتقاء مع اسرائيل في أكثر من منتصف الطريق، ويعرضون نقاطاً محددة لهذا الإلتقاء، وترد إسرائيل يد السلام المبسوطة إليها رداً غير كريم، وتمعن في صلفها وتجبرها وطغيانها، ولا تزيدها العروض العربية السخية والتنازلات الكبيرة التي ما كانت تحلم بها في أي وقت مضى إلا تعنتاً وغروراً وعناداً.

ومن هذا النموذج الذي أوردناه يتضح أن الواقعية والمعقولية كلها في جانب العرب، وأن التصلب الذي يفوق حدود التصور هو ما يظهره اليهود، فهل يسيغ منطق العدل أن يوصفوا بالمعقولين المعتدلين، ويوصف خصومهم العرب رغم ما قدموه من تنازلات بالمتعسفين المشتطين؟

سلاح العقيدة هو السبيل الوحيد إلى النصر

أطل شهر يونيو بذكرياته الرهيبة المحزنـــة ، وصوره الحمراء الدامية للمرة الثانية بعد هبوب آخر عاصفة مدمرة على شعوب أمتنـــا العربية ، طوحت بالأجزاء الباقية من فلسطين، وجعلت آمال الشعب الطريد في العودة إلى أحضان الام تبدو أبعد مما كانت بمسافات شاسعة .

ولو أنها من ناحية أخرى أشعلتها غضبة مضرية بين أبنـاء الأرض السليبة ، وفجرتها ثورة فلسطينية جمـاعية على الوجود الصهيوني الدخيل ، كما كان له بالغ الأثر في إبراز كيان فلسطين بعد مـــا كاد يتلاشى ويندثر ، وظهور شخصية أولئك الضائعين المشردين ، بعدما أوشكت معالمها أن تنطمس وتزول ، وبالتالي فإن تلك الغضبة العربية الفلسطينية نجحت مرة أخرى في إحيـــاء الآمال بين حنـايا الصدور ، وجعلها واضحة الرؤيا ، قريبة التصور ، وقد كانت توارت في أعقاب محنة يونيو خلف الأفق البعيد .

والآن .. مر عامان كاملان منذ قضى الله قضاءه وكأنهما في ثقل وطأتهما وشدة هولهما جيلان إثنان ، بل قرنان من الزمان .. وما زلنا بعد انسلاخ هذه الأربعة والعشرين شهراً ، حيث أحلتنا المقادير العادلة نتطلع إلى اللحظة المشرقة التي نستعيد فيها التاج الذي فقدناه ؛ تاج العزة والكرامة بلهفة أشد اضطرامـاً من لهفة الظمآن إلى جرعة الماء الباردة في اليوم الملتهب الهجير ، وما زال العدو ورغم التنازلات التي قدمها العرب متصلباً في موقفـه مصراً على رأيه المتمثل في

ضرورة انصياع الطرف المقابل لقبول مبدأ المفاوضات المباشرة ، ولم تفلح جميع الجهود في زحزحته قيد شعرة عن تعنته الجنوني الذي تجاوز مداه وبلغ حداً من التشدد والغرور لم يصل إلى مثله أي جبار من الجبابرة ، أو أي فاتح من الفاتحين العظام .

ورغم أن بعض الدول تخسر مئات الملايين من الجنيهات سنوياً بسبب تعطيل الملاحة في قناة السويس فإنها لم تفعل شيئاً يذكر لحمل إسرائيل على اتخاذ موقف أكثر مرونة والتخلي عن تصلبها الذي يعكس أبشع صورة من صور الطغيان والإعتداد بالنفس ولو من أجل تلك الدول التي هي في الواقع واهبة الحياة لإسرائيل ، والمصدر الرئيسي لإمدادها بأسباب البقاء ، ذلك لأن هذه الدول تناصر اسرائيل ولو على حساب مصالحها ، وتظاهرها في الباطن على تجريع العرب المزيد من الإذلال والمهانة ، وتجريدهم كلية من أي ريش قد يمكنهم من الطيران في المستقبل .

ونحن ما دمنا نتصور هذه الحقيقة من صميم الوقائع والأحداث ، ومن تجاربنا الطويلة مع الاستعمار فإنه ليس أمامنا إلا أن نقابل تعنت اليهود ومؤيديهم من الاستعماريين بتعنت أقوى وأشد ، وأن نعمد إلى دعم مركزنا وتصعيد قدراتنا الحربية بتجنيد إمكانياتنا البشرية الهائلة ومواردنا الطبيعية الغنية ، واتخاذ هذه وتلك أسلحة جبارة لتحطيم الجبهة المزدوجة ، ورد اللطمة المروعة بلطمة أقسى عنفاً وأعظم ترويعاً ، ولضمان خروج أمتنا من المحنة معززة مكرمة .

ومع قيامنا بحشد جميع طاقاتنا لخوض غمار المعركة المصيرية الكبرى ، يتحتم لكي نجني ثمار النصر على سبيل القطع ، وتكون قطوف الفوز دانية وفي متناول أيدينا .. يتحتم أن نعود إلى حظيرة الدين نرفع شعاراته ونقف عند حدوده ، ونلتزم بالسير على هدي مبادئه وتعاليمه ، ولا شك اننا إذا حملنا راية الإسلام في جهادنا ، وكان سلوكنا الظاهري والباطني تجاوباً عميقاً صادقاً مع هاتف قرآننا الذي لا يفتأ ينادينا بقوة وإصرار ، أن هلموا إلى رحاب الله يا قوم ،

هلموا إلى التسلح بسلاح العقيدة والتمسك بدرع الإيمان، إن أردتم لأوضاع حياتكم أن تستقيم ، وأن يجبر الله كسركم بنصر عظيم .

وما لم تضيفوا الى استعدادكم المادي هـــذا السلاح الروحي والخلقي الذي يجعلكم تحرصون على الموت أشد من حرصكم على الحياة ، فـــإنه ليس من سبيل أمامكم لرد اعتباركم وتحرير المغتصب من دياركم إلا أن تفضلوا العـــدو في التجهيزات الحربية ، وتتفوقوا عليه تفوقاً ساحقاً في القوة المادية والفنون (التكنولوجية) فذلك هو الطريق الى كسب الفوز في المعركة المنتظرة ، وليس هناك طريق سواه يمكن أن تسلكوه لاستعادة الكرامة الضائعة إلا أن تحملوا كما قلنا قبل سطور نفس الشعارات التي كانت تحملها جيوش (خالد وأبي عبيدة) في جهادها لاعلاء كلمة الله ونصرة دين الله وابتغاء الشهادة في سبيل الله .

محمد يوسف الدويشي

بالدّين انتصرنا في جهادنا

أيها المواطنون .. يا أحفاد الأبطال المناضلين ، إن تلك التضحيات التي بذلناها دماءً غالية وأرواحاً زكية ، وإن تلك البطولات التي مثلناها روائع خالدة على كل شبر من أرضنا الصامدة ليست هي وحدهـا صانعة النصر الذي ننعم اليوم بوارف ظلاله ، ونرتشف من رحيق سلساله ، ونجني من ثمار دوحه كل جني وشهي . ولكنه الدين ، ذلك السلاح الذي لا يفل مهما تعددت المعارك ، ومهما بلغت من العنف والضراوة ، الدين هو الذي يفجر في أعمـاق المناضل الحماس للبذل والإستعداد للتضحية ، وهو الذي يقضي على روح التخاذل والفشل ومشاغل الخوف والتردُّد والإنهزامية التي تتولد من حب الحياة التعلّق ببهارج الدنيا وزخرفها الذي لا يدوم ولا يستقر ، الدين هوالذي يحبب للمكافح في أي ميدان أن يبذل الكثير من ذات نفسه ، وأن يعتصر المزيد من حبّات العرق ، وأن ينفق كل ما استطاع من جهوده وطاقاته لأنه يرتجي علىكل ما يبدعه المثوبة الآجلة ، فضلاً عن المثوبة العـاجلة ، إذ أن من يعمل صالحاً سواء أكان دنيوياً أم أخروياً يفيـد المجتمع من صلاح عمله ، ويفيض على غيره من نفحات خيره فيكون غنمه وفيراً ، وكسبه كبيراً ، وفوائده جليلة مزدوجة .

أجل .. ليست التضحيات بالمهج والأرواح ، وإن كانت تعني البسالة

الفذّة والوطنية المؤمنة المتأججة ، ليست هي كل شيء فيما حققناه من أهداف مجيـــدة ، وليست هي الطريق إلى ما صنعناه اليوم من أمجاد الأمة وقفزات عملاقة ، ولكن العقيدة بالإضافة إلى الهمة الشماء والعزيمة الصادقة المثابرة هي التي جعلتنا نهزم الكثرة ، ونحن قلـّة في معارك متعدّدة ، ونسحق القوة ونحن الضعفاء العزّل ، وهي التي جعلت الآلاف من أبطالنا يبيعون نفوسهم لله ويسقطون شهداء ابتغاء مرضاته ، ومن أجل الذود عن حمى الديار ، فإن هـــذه الروح الدينية القوية التي كانت تضرم بين جوانح المناضلين ، وتصهرهم شوقاً إلى الفوز بالشهـــادة والإنتظام في موكب الخالدين ، هي التي أنهلتنا رحيق الفوز في كفاحنا الحربي والسياسي ، لأنها بمثابة النور الذي يهدي التائه إلى معالم الطريق فينطلق نحو غايته من غير أن يحفل بالمخاطر ، أو يبـــالي بالمصاعب والاهوال ، بل إنها أعمق من ذلك وأبلغ أثراً ، فهي ليست مجرد نور يهدي ، بل إنها طاقات جبـــارة تنبعث في داخل الجندي المناضل فيقدم ويندفع غير هيّاب ، ويستمرىء المر ، ويستعذب العذاب ، لأنه يؤمن بأن ثمن الشهادة الفوز بالسعادة وبالحسنى وزيادة ، وأن ثواب الجهاد تحرير الاوطان من رق الاستعباد ، وعبور لجسر الامان يوم الميعاد .

إن التسلـّح بالعقيدة في أي نضال هو الذي يقرّب أجل النصر ، ويحمي المناضل من أي شعور باليأس والخيبة والفشل ، وهو في الوقت نفسه يضخّم رصيد المكاسب ويضع على هامة صاحبه دائماً أكاليل النجاح ، وأي مكافح لا يشدّ أزره الدين ، ولا يعمر قلبه الإيمان بالجزاء الآجل ، وورود المعين الابدي الذي لا ينضب ، فإنه كمن يسعى لغير هدف ، وكمن يجاهد في غير عدوّ .

مع أسبوع الوعي

يوم الصحة العالمي

إن هـــذا الركن الإذاعي للجامعة الإسلامية ، إذ يحتفل بيوم الصحة العالمي الذي يصادف اليوم السابع من شهر إبريل ، إنما يسهم بدوره في نشر الوعي الصحي بين المواطنين ، ودعوتهم إلى تجنيد جميع القوى ، وتعبئة كل الجهود لمحاربة أخطر أعداء الإنسانية ، والقضاء على أسبابه وبواعثه ، والبيئات الصالحـــة لتولده ونموه وانتشاره ، وهو (المرض) الذي يشكل مع الفقر والجهل ثالوثاً مروعاً رهيباً ، هو سر شقـــاء الإنسان منذ أن هبط آدم إلى هذه الارض حتى الآن ، وسيظل العامل الرئيسي لتعـــاسة البشر وتخلّفهم وانحطاطهم إلى أن يشرق اليوم الذي ينتصرون فيه انتصاراً ساحقاً على ذلك الثالوث المخيف ، باستئصال جراثيمه ومكروباته من حياة الشعوب ، وانتزاع رواسبه وآثاره من الاجسام والارواح والعقول .

ونحن إذ نحبّذ الاحتفال بأمثال هذه الايام التي تهدف إلى أغراض إنسانية وخدمات اجتماعية ، وتتسّم بصبغة خيرية ، نريد في الوقت ذاته أن نشير هنا إلى حقيقة باهرة ، وهي أن الإسلام قد سبق شعوب هذا العصر إلى رسم قواعد عـــامة ، للمحافظة على الصحة ، والوقاية من العدوى ، ومحاربة الامراض على اختلاف انواعها وأشكالها ، وقد راعى

في جميع أحكامه وتشريعاته الناحية الصحية من الحياة الإنسانية ، حتى أنه يعفي أتباعه من بعض التكاليف إذا كان يؤدي إلى إنحراف في صحتهم ، أو يسبب لهم إرهاقاً جسمانياً وهبوطاً صحياً .

وحرص الإسلام على وجوب التزام النظافة في الجسم والملبس والمأكل والمشرب ، وكل مـا يتصل بمعيشة الإنسان ، وهو يعتبر مبدأ أساسياً لحياة المسلم الدينية والدنيوية ، وشعاراً له في سلوكه الفردي والاجتماعي ، وهو في نفس الوقت حصانة كبرى ضد الأمراض ، وأمضى سلاح لتقليل انتشارها ، واقتلاع جذورها ، وضمان السلامة من عدوانها ، وما الوضوء والغسل والأمر بغسل اليدين قبل الطعام وبعده إلا تجسيد واقعي ملموس لمبدأ النظـافة في الإسلام ، وقد كانت النظافة ولا تزال هي الدرع الواقية من إصابات المرض ، وهي الحصن المنيع الذي يرد هجماته ، ويصد غزواته ، ويحول دون توافر المرتع الخصيب والتربة الملائمة لتلاقحه وتكاثره وتعاظم عناصره .

يقول نبي الاسلام في هذا الصدد : « النظافة من الايمان ، إن الاسلام نظيف ولا يدخل الجنـــة إلا نظيف » كما يقول محذّراً من خطر العدوى : « فر من المجذوم فرارك من الأسد » ويقول : « إذا سمعتم به (الطاعون) بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه » ، وهذا النظام الذي يقضي بعزل الاماكن المصابة عن الاماكن السليمة تفادياً لخطر العدوى هو ما يسمى اليوم (بالحجر الصحي) وقد شرعه نبي الاسلام عليه الصـــلاة والسلام قبل أربعة عشر قرناً ، وهو مظهر من مظاهر الرعاية الصحية التي يعتني بها ديننا الحنيف ، ودليل قاطـــع على تكامل الوعي الصحي في مجتمعنا الاسلامي الأول .

وليست هذه الباقة التي استعرضناها من الأحاديث الصحية إلا نموذجاً صغيراً من عناية الإسلام بالصحة العامة ، وحفاظه الشديد على سلامة الأجسام والعقول ، ومحاربته التي لا هوادة فيها لجميع الأمراض الحسية والمعنوية التي من شأنها أن تضعف الكيان المادي والروحي من تركيبنا الإنساني المزدوج .

والإسلام يريد من المؤمن أن يكون قوياً في جسمه وروحه ، قوياً في إيمانه وخلقه ، فهو يحارب الضعف ، ويحارب النقص في أية صورة من الصور ، لأنه دين القوة ، ودين السمو والكمال ، ودين السعادة التي هي أسمى أمل وأجمل حلم ينشده الإنسان في عمره المحدود ، وفي عالم الخلود على السواء

ومن مجموع هذه المثل الإنسانية الرفيعة تتكامل مقومات الحياة المثالية الفاضلة التي هي من إبداع العقول السليمة ، والعقول السليمة لا تعيش إلا في الاجسام السليمة ، كما تقول الحكمة المأثورة : (العقل السليم في الجسم السليم) وما من سبيل لخلق أجيال بشرية متينة في تركيبها الجسماني ، قوية في جهازها العقلي والروحي ، إلا بتطهير بيئة الحياة الإنسانية ، وتنقية أجوائها بصورة عامة من كل جراثيم الأمراض التي تشكل حرباً شعواء لا ينطفىء لها أوار ضد سعادة البشر وطمأنينة الإنسان .

ذكرى ميلاد الأمم المتحدة

في كل عام تحتفل شعوب العالم كله بذكرى ميلاد الأمم المتحدة ، وانبعاث وجودها في عالم الحقيقة كأمل كبير كان محتبساً في الصدور ، ثم قدّر له أن يرى النور وأن يتجسّد في شكل واقع مشاهد له كيان وأركان ، وله شأن وأي شأن ، ولطالما تطلعت الشعوب المغلوبة على أمرها إلى إشراق هذا الرجاء الحبيب في عالم مادي جشع تفاقم فيه الظلم وتحكّمت فيه النزعات الاستعمارية ، واستبدّت به قوى الشر ، واكتسحت جميع ارجائه جحافل الظلام ، وانطمست فيه كل معالم الضياء ، ضياء الحق والحرية وسائر المثل والقيم الإنسانية ، ولذلك كان اليوم الذي هبطت فيه المنظمة العالمية دنيا تحكمها الشهوات وتتنازعها الأهواء والرغبات المتصارعة ، عيداً رقصت له مئات الملايين طرباً ، وانطلقت الهتافات تدوّي في كل مكان من بلاد المعمورة مترجمة عن أصدق أحاسيس البهجة والسرور ، وأعمق معاني السعادة والحبور ، مرحى ، مرحى ، لقد انبثقت الارادة الجماعية العالمية وتواجدت قوية غلاّبة تحمي المستضعفين وتضرب على أيدي الظالمين ، وتحطم نير المستعمرين ، وتكون صمام الأمان للخائفين ، تذود عن حياض السلام ، وتحارب الشر والفساد والإجرام ، وتأسوا الجراح والآلام ، وتشكل انعكاساً صادقاً لما تتطلع اليه الشعوب من آمال وأحلام . ولماذا لا تكون كذلك ودول الأرض تنضوي تحت لوائها وتعلن كل منها بأنها

تسندها وتؤيدها وتلتزم السير على هدى من ميثاقها ، ذلك الميثاق العظيم الذي لو طبّقت مبادؤه بعزم وإصرار ، وتحققت غاياته وأهدافه الكبار لعم الخير والازدهار جميع الأقطار ، ولما سالت دماء الابرياء كالانهار ، ولما أهدرت كرامة الانسان في وضح النهار أشنع إهدار ، وانتهكت حرمات الشعوب الصغيرة في غير مبالاة وبكل استهتار ، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث على الاطلاق ، فإن الميثاق وإن كان في صورته النظرية المجردة يرسم مخططاً لعالم جديد ، شريعته العدالة والمساواة ، وشعاره الاخاء والمحبة والحرية ، إلا أنه في واد وكبريات الدول التي وضعته ونادت باعتناقه في واد آخر ، ولا يربط بينهما أي سبب ، فهي تؤمن به إيماناً لا يتجاوز الشفتين واللسان ، وتكفر به في سلوكها مع المستضعفين من بني الإنسان ، انها تستبيح ترويع الآمنين بحمم الجحيم وقذائف النار والدمار بحجة الدفاع عن السلام ومحاربة النشاط الهدام ، وهي تدفع بموجات من الأفاقين الواغلين إلى أرض قوم آخرين ، آمنين مسالمين فيجلونهم عن ديارهم بقوة النار والحـــديد ويحوّلونهم إلى شعب تائه طريد ، ويبنون على أرضهم دولة قوامها عناصر إجرامية مغامرة لا ترى حرمة الدمـــاء ، ولا تقيم وزناً لقدسية الأعراض ، وليس في قاموسها شيء إسمه القيم والمثل والفضائل والمكرمات .

وإنه لعجب من العجب أن تمعن تلك الدول الموقعة على ميثاق المنظمة في مقارفة هذا الاجرام وتمزيق أوصال السلام بمظاهرة اليهود أعداء السلام على استباحة أرض السلام ، وتشريد مليون من أبنائها في عرض الصحراء حيث لا شيء إلا البؤس والشقاء ، والظلام والآلام ، ثم تمضي في احتضانها لهذا الوليد غير الشرعي وتحوطه برعايتها وتغدق عليه من فيض عطائها بـــلا حساب ، ويتخذ كل ذلك شكل هبات تتدفق كالسيل المنهمر ، وأسلحة تنهال بالغدو والآصال طوال عشرين

عاماً ، تؤثر اسرائيل من هذه الاسلحة بكل رهيب جبار وتمد بعض العرب بمـــا أصبح أثراً من الآثار ، حتى تضمن لها التفوّق الساحق باستمرار ، وتجعلها قادرة في كل وقت على تحقيق الأحلام الصهيونية العدوانية ، وتنفيذ المخططات الاستعمارية في الأرض العربية ، ولقـد أظهرت الحرب الأخيرة التي خاض العرب غمارها ذوداً عن حمى الأوطان ، ووقوفاً في وجه الطغيان ، أن اسرائيل كلها قد تحولت إلى قـلاع ضخمة من الاسلحة المدمرة ، وان أمريكا كبرى الدول الاستعمارية ترى في وجود دولة العصابات الصهيونية امتداداً لوجودهـا والخط الأول في الدفاع عن كيانها والوصول إلى أهدافها في تشتيت وحدة العرب وإضعاف قوة العرب وإبقائهم دائماً منقسمين متفرقين متخاذلين .

ووضعت الحرب أوزارها ، وحصدت مناجل الموت أرواح الآلاف من الأبرياء ، واستطاع السرطان أن يحقق المزيد من الانتشار بتهيئة الأجواء وتقديم العون والتأييد في الأرض والسماء .

وجاء بعد ذلك دور الامتحان العسير الذي كان لزاماً على الأمم المتحدة أن تجتازه ، أليست هي معقد آمـــال الشعوب المستضعفة ؟ أليست هي القوة الرادعة للظالمين ؟ والريـح العاتية التي تطفىء نار الحرب دون أن تمس بسوء راية السلام ؟ ولكن ماذا صنعت في هذه المرة ؟ هل استطاعت أن تفعل شيئاً لإدانة المعتدين والانتصاف منهم لضحايا عدوانها بإنزال العقاب وتحقيق الانسحاب ؟ كلا . . انهـا لم تستطع أن تفعل شيئاً من ذلك ، بل وقفت عاجزة مغلولة الأيدي لا تقدر أن تدين وتعاقب ، بل لا تستطيع حتى أن تلوم وتعاتب ، لقد تدخلت القوة فزلزلت كيانها زلزالاً شديداً وفرضت عليها أن تقف موقف السلبية والجمود ، وأن تظل خرساء لا تنطق كلمة الحق ،

ومشلولة لا تقوى على تأديب الطغاة وتغيير المنكر ، انها ترى بعينيها وتسمع بأذنيها تحدّي العصابات الصهيونية لإرادتها بكل تهاون واستهتار ، وتمردهم على قراراتها في قحة وإصرار . فلا تملك إلا أن تطأطىء رأسها في استسلام واستكانة شأن الضعيف المغلوب على أمره الذي عدم الحيلة والوسيلة .

وهكذا أخفقت المنظمة العالمية في هـذا الامتحان إخفاقاً شنيعاً ، وعصفت بها التجربة المريرة القاسية ودكتها دكاً ، وجرّدتها من صبغة الإجلال والقداسة التي كانت تعيش داخل اطارها كحلم للشعوب ومنطقة دولية للأمان ، ومفزع للمضطهدين من بني الإنسان

والآن قد أصبحت هـذه المنظمة العالمية خاضعة لسلطان الأهواء ومجرد دمية يحركها القوي أينما شاء ، وليس لها من المناعة ما يضمن لها الاستقلالية في الاتجـاه والوقوف الى جانب الحق مهما اشتد هبوب العواصف ومهما كانت قوة التيارات . الآن وقد أصبحت هيئة الأمم هكذا عزلاء من أي سلاح ، ولم تكن كما كانت تؤمل الشعوب ، تعبيراً صادقاً عن ميثاقها ، فليس أمامكم أيها العرب من ملجأ بعد الله الا أن تعتمدوا على أنفسكم في استخلاص أرضكم والثأر لشرفكم وعرضكم ، وغسل العار الذي يلطخ جبين أمتكم ، ليس أمامـــكم إلا الآلاف ، إلا الملايين من الابطال يبذلون أرواحهم وقوداً للهيب ، (لهيب المعركة المقدسة) معركة المصير الكبرى ، ومهما جلـّت التضحية فإنها قليلة ، ومهما عظم الفداء فإنه صغير لا يذكر ، إذا استحالت النار الى نور ، وانقلبت الأشواك إلى زهور . إن بضعة ملايين منـــكم تظلهم راية العز والانتصار خير من مائة مليون يجللهم سواد الذل والعار .

محمد يوسف الحبشي

ذكرى الوعد المشؤوم

تحتفل شعوب الأمة العربية بالذكرى التاسعة والأربعين لوعد (بلفور) البغيض ، ذكرى الشعب الذي كان هانئاً سعيداً فأصبح شقياً طريداً شريداً ، ذكرى البلدة التي كانت تعيش في أمان واطمئنان فعدت عليها عوادي الزمان ، وألقى بها الطغيان بين أحضان البؤس والتعاسة والهوان ، ذكرى هذا الوعد المشئوم الذي أثمر أكبر جريمة تاريخية تواجدت في قلب المنطقة العربية لتكون شوكة قتاد ومنطلقاً لقوى الظلم والاستبداد ، ووكراً يضطرم بعناصر الشر والفساد .

وهكذا تحقق الميعاد ، وتم لبلفور ما أراد ، كأنما فلسطين ضيعة من الضياع التي ورثها عن الذاهبين من آبائه حتى يهبها لمن يشاء ، ويتصرف فيها كيف يشاء .

ولم يقطع هذا الاستعماري العريق ذلك العهد الأثيم على نفسه (لوايزمان) رئيس المنظمة الصهيونية سنة ١٩١٧ م . حباً لليهود ورغبة في لمِّ شعائهم ورد حق مزعوم اليهم ، ولكنه فعل ذلك إرضاء لنزعة صليبية تتأجّج في صدره ، وتحقيقاً لأهداف استعمارية بعيدة تحن اليهـا دولة مدرسة

الاستعمار الأولى وصانعة قيود العبودية وناشرة ظلام الجهل والرجعية . وتلك هي سياسة الاستعمار ، كل شيء فيها إلا القيم والمبادىء الإنسانية ، وأولئك هم الاستعماريون الغربيون ، كل شيء يعرفونه إلا شيئاً اسمه العدل والضمير ، وحق الشعوب في تقرير المصير ، وإلا فلماذا هذا الليل الطويل الثقيل الذي فرضوه على مئات الملايين من بني الإنسان ؟ وما معنى استلاب ثروات الشعوب ومقدّرات أرزاقها ليشيدوا بها أمجاداً لأوطانهم وينشروا ورود السعادة والرفاهية في بلدانهم ، ويدعوا أصحابها الاصليين جهلة جامدين كالحجارة ، جياعاً ضائعين مهملين كسوائم الفلاة . أي إجرام أبشع من هذا الإجرام ؟ قلة بيضاء ظالمة متسلطة تعيش في أوج النعيم وتغدق على نفسها الخير العميم ، وأكثرية ساحقة تعيش حياة أهون منها الجحيم . لا علم ينير لها الطريق ويجعلها تستشعر وجودها وتحس شخصيتها وتدرك حقيقة وضعها الأليم وخطبها الجسيم ، في حين أن تلك الأقلية المجرمة الباغية انما وصلت الثريا في زحفها الحضاري والفكري لأنها اتخذت من كنوز هذه الأكثرية التي تستعبدها ، ومن طاقاتها البشرية الجبارة سلماً ترتقي درجاته حتى انتهى المطاف بها الى هذه القمة الشامخة في عالم الاختراع والإبداع ودنيا الانطلاق والاشعاع بينما لا تزال الشعوب التي نهبت خيراتها وسلبت مقدّراتها هناك في أسفل السفح حيث الجهل والظلام والبؤس والشقاء والبدائية والرجعية .

ونحن إذ نحتفل بذكرى مأساة الأرض السليبة لا نريد أن نذكي الأشجان بين الضلوع أو نهدف إلى المزيد من ذرف الدموع لأن عهد التباكي والندم على ما فات يجب أن يتلاشى ويزول ، وإنما نريد أن يتمثل العرب النكبة الكبرى في هولها وبشاعتها ونتائجها المروعة الرهيبة ، حتى يدركوا مدى الخطر الساحق الذي يتهدّد الوجود العربي كله ويتربص الدوائر

بالأمة العربية جمعـــاء ، ليطعن في يوم ما طعنته النجلاء التي لا تبقي ولا تذر .

إننا نريد أن يتمثل العرب هـــذه الحقيقة المفزعة ، حقيقة الخطر الصهيوني المنتظر ، لتحسّ كل دولة عربية إحساساً واقعياً عميقاً بأنها حين تساهم بدورها في معركة التحرير الكبرى إنما هي بذلك تدافع عن وجودها ، وتدرأ الخطر عن حدودها ، وتحمي كيانها من امتداد السرطان الذي سيخرج حتماً من قوقعته في يوم قريب أو بعيد ليحاول التهام كل من حوله ، وما حوله .

فنحن إذن عندما نقف إلى جانب الشعب الفلسطيني مؤيّدين مساندين ، ومشاركين له بكل ما نملك في ما هو مقدم عليـــه من صراع جبار رهيب ، يجب أن نعتبر المعركة معركتنا جميعاً لأن مصيرنا واحـــد ، ووجودنا واحد لا يتجزأ .

والشعب الفلسطيني بصفته صاحب الأرض السليبة هو الذي يجب أن يشكل الطليعة في هذا الصراع المرتقب ، وهو الذي يتحتم أن يكون أول صاعقة تنقض على الغاصب الدخيل ، وهو حين يفعل ذلك لا تدينه قرارات الأمم المتحدة ولا ترغمه القوات الدولية على التراجع والإنسحاب ، كما ستفعل ذلك حتماً مع الدول العربية إذا دخلت فلسطين غازية ، لأنها تعتبرها متجنية معتدية ، ولا بدّ أن يعود المعتدي إلى النقطة التي انطلق منهـــا ، إذ لا يجوز في قانون المنظمة ذات المنطق العجيب المعكوس ، أن تنتهك حرمة دولة تنتسب إليها وتتمتع بعضويتها ، ولو كانت مثل إسرائيل دخيلة مغتصبة متسلطة ظالمة ، أما الشعب الفلسطيني متى انطلق كالإعصار مكتسحاً فلول العدو الغادر فلن ترغمه على الارتداد إلى الوراء أية قوة ، لأن الأرض أرضه والدار داره ، وكل شيء في فلسطين ملك

له ، البرتقال والكرم والزيتون ، والتلال والجبال والرمال .

وليس عجيباً أن يصنع الشعب الفلسطيني البطل المعجزة الكبرى ، معجزة العودة إلى الحمى المقـــدس ، ويخط بنجيـــع أبنائه الطاهر الزكي الصفحة المضيئة المتألقة التي سيجعلها – إن شاء الله – أول عنوان ضخم ، أول سطر لامع من كتاب تاريخه الجديد في عهده المقبل المجيد .

وإن ليبيا العربية المسلمة حكومة وشعباً – كانت دائماً ولا تزال – سبّاقة إلى نصرة الشعب الفلسطيني وتأييده تأييـــداً مطلقاً في نضاله المقدس من أجل استعادة الوطن السليب ، وإزاحة الكابوس الرهيب .

وستظل ليبيا نصيراً للشعب الفلسطيني على الصعيد الدولي ، وفي المحافل السياسية العربية ، وظهيراً يشد أزره ، ويحمي ظهره عند قيامه بدوره الطليعي في تحقيق الأمل المنشود وإطلاع فجر اليوم الموعود .

ذكرى وثيقة حقوق الإنسان

احتفل العـالم كله في الاسبوع بالذكرى الثامنة عشرة لإعلان وثيقة حقوق الإنسان التي كان من أبرز نصوصها تقرير مبـدأ المساواة بين جميع الأجناس على اختلاف أوطانهـم وألوانهم وأديانهم ومستوياتهم الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والحضارية ، ولقد كان هـذا الاعلان مبعث سرور وموضع ترحيب من كل إنسان ، إنه انتصـار للشعوب المستضعفة ، واعتراف بكيانها في المجـال الإنساني ، وإدانة جماعية للاستعمار بالخزي والعار ، وفوق ذلك فإن تلك الوثيقة الدولية أصدق برهان على يقظة الضمير العالمي ونبل الشعور الإنساني ، وانبعاث نوازع الخير في نفوس البشر وارتفاع لأسهم الأمم المغلوبة على أمرهـا في سوق الكرامة

ونحن إذ نحتفل بذكرى الوثيقة العـالمية باعتبارها ركيزة من ركائز السلام ، ودعامة من دعائم الحرية ، لا نراها ميزة من مزايا هذ العصر أو آية من آيات التطور البشري أو فضيلة من فضائل مدنية الغرب وإنما نعتبر تلك الوثيقة بكل ما حوت مجرد صدى للصرخة القوية التي أرسلها عمر الفاروق في اجواء الجزيرة قبل ثلاثة عشر قرناً حين قال لعمرو بن العاص : « يا عمرو متى استعبدتم الناس وقـد ولدتهم

أمهاتهم أحراراً » ولقد كانت تلك الصرخة العمرية إعصاراً عاتياً دمّر أوكار العبودية وقضى على مظاهر الاستبداد والتحكّم والفوارق العنصرية ، إذ أن تلك الصرخة المدوية، صرخة الحق والحرية التي ما زالت تتردّد في أسماع العصور هي القـــاعدة الأساسية الكبرى التي تقوم عليها وثيقة حقوق الإنسان التي احتفل بذكراها العالم قبل أيام . ان الصورة هي هي كما وضعها الفاروق لم تتغير ولم يعلق بجوهرها الأصيل أي غبار ، وإنما الاطار الخارجي هو الذي تغير وبدا في شكل تبويب وترتيب وتنظيم وتقسيم اقتضته طبيعة العصر ، ولكن العبرة باللباب لا بالقشور ، وبسمو المعاني لا برشاقة الحروف وبهرجة السطور .

ونحن إذ نعيد إلى الأذهان هذا السبق الإسلامي في إعلان مبدأ الحرية الإنسانية الجماعية لا نقلل من قيمة وثيقة حقوق الإنسان في قالبها العصري ، ولا نغض من أثرها العظيم في نصرة الحرية ومحاربة العبودية ، بل نباركها ونستبشر بيوم ميلادها مع المستبشرين ، وإنما نهدف من وراء تلك الإشارة التاريخية الى التدليل على أن كل مبدأ نبيل قد نبع من تعاليم ديننا ، وكل شعاع يضيء قد انبعث من شمس إسلامنا وعقول عظمائنا ، ولا نقول هذا ادعاء وتباهياً ولكن أحكام التاريخ تزكّي ما نقول ، وتشهد بصدق ما نورد من حقائق باهرة ، وإن يعجب المرء فإنما يعجب العجب كله لدولة كالبرتغال توقع على وثيقة حقوق الإنسان وهي تريق دماء الإنسان كالانهار ، وتهدر آدمية الانسان في وضح النهار ، وتدوس مقدسات الأرض والسماء بكل وقاحة واستهتار ، ودولة كجنوب إفريقيا توقع على الوثيقة العالمية وهي تمارس أبشع ألوان الفوارق العنصرية وأفظع صور المظالم السياسية والاجتماعية ، فهي تقر مبدأ المساواة الكاملة كما نصت عليها الوثيقة — نراها تقسم شعبها إلى سادة في أسمى مراتب السيادة ، وإلى عبيد في أحط وأخس منازل العبودية . وتتكرر نفس هذه

الصورة من صور التمييز والاستعلاء في (روديسيا) حيث تتحكّم أقلّية ضئيلة من الاغراب الدخلاء في أكثرية كاثرة من الوطنيين الأصلاّء ، وتستأثر دونهم بالحكم والسيادة ، وتحرمهم من التمتع بالحقوق التي كفلتها شرائع الله وقوانين الأرض لكل إنسان يعيش على ظهر البسيطة ، وتلقى هذه المعاملة المهينة التي تأنف منها حتى أوابد الصحراء المؤازرة والتأييد من قبل (بريطانيا) التي تتظاهر بالسخط والنقمة على نظام حكم (سميث) وترفض في الوقت نفسه أن تستخدم القوة لإسقاط الحكم الدخيل ، وإتاحة الفرصة للأغلبية الإفريقية لتتنسم عبير الحرية وتضع على هامتها تاج الكرامة الوطنية . ثم دولة كاسرائيل . . توقـــع هي الأخرى على الوثيقة وهي نفسها الجريمة في أقذر صورها بكل ضروب الشر تتخذ شكل دولة ، وهل هناك اشد نكراً وأفظع جرماً من قوم ينتزعون ديار الآخرين ويسلبونهم أموالهم وممتلكاتهم بقوة الحديد والنار ومؤازرة الاستعمار ، ليستخلصوها لأنفسهم ويقذفوا بأصحابها الى براثن الموت البطيء بفعل الجـوع والزمهرير وفتك الأوبئة . وإذن فأي معنى لهذه الوثيقة إذا كان من بين الموقعين عليها من يبصق عليها ثم يدوسها تحت قدميه ، كالبرتغال وجنوب إفريقيا وإسرائيل ، هـذه الدول الفاجرة التي تكفر بالإنسان وتمرغ في الوحل كل القيم والمبادىء التي يقدسها الإنسان . وأنى للصوص أن يحـاربوا رذيلة السرقة ، وأنى للذئاب أن تعف عن لحوم الحملان ، وأنى للكلاب أن تكف عن الولغ في الدماء .

من أجل ذلك ، فإننا نناشد هيئة الأمم المتحـدة أن ترغم المنتسبين اليها على احترام مواثيقها والتجاوب الصادق مع أهدافها وقراراتها قبل الاهتمام بالمظاهر والشكليات ، كإقامة الاحتفالات في شتى المناسبات ، وذلك إن أرادت أن تثبت وجودها وتنشر في كل مكان بنودها ، وتحمل شعوب الإنسانية جمعاء على الايمان برسالتها والتعلق بمبادئها ، بأنها قوة قادرة على إحقاق الحق وترسيخ قواعد العدل والنظام والأمن والسلام .

المعطيات الإيجابية للمعركة

أيها العرب .. أيها المسلمون .. إن هذه المعركة الضارية التي خضنا غمارها قبل أسابيع قليلة وإن كانت قد اثخنتنا جراحاً وبذلنا وقوداً لها آلاف الشهداء وجرّت علينا ويلات رهيبة عاصفة إلا أنها ألهمتنا بنتائجها وآثارها أكثر مما ألهبتنا بلفحات اعصارها، وقوّت رصيد تجاربنا الحربية وخبراتنا السياسية ومكاسبنا المعنوية أكثر مما أنضبته من امكانياتنا وطاقاتنا المادية، وبالتالي إنها أعطتنا بإغداق وسخاء وكان أخذها أقل من العطاء، فنحن رابحون وخاسرون في الوقت ذاته ولكن أرباحنا أكثر من خسائرنا، ومغانمنا أوفر من مغارمنا، فعلام التشاؤم إذن، وفيم اليأس والإمعان في تهويل النكبة وتحميلها من الأبعاد ما لا تحتمل، وكل ما هناك أننا خسرنا معركة حربية، وليس بدعاً أن يحارب أي جيش فلا ينتصر، إن الهزيمة والنصر صنوان منذ أن عرفت الشعوب خوض غمار الحروب، ألم تحقق هذه المعركة لكل العرب المزيد من الانفتاح على آفاق رحيبة كانت بالنسبة اليهم أسراراً مستغلقة ومجاهيل غامضة غير مطروقة، لقد كشفت لهم كيف يجب أن يكون الاستعداد الذي يجعل فرص النجاح وإمكانيات الفوز أقرب مورداً وأدنى قطوفاً، وكيف يجب أن يكونوا أبعد نظرة وأعمق تصوراً للأحداث وإدراكاً لمجريات

الأمور ، وأكثر تأهباً للمفاجآت والاحتمالات ، وأصدق تقديراً لطاقات العدو وامكانياته المادية والمعنوية ، وألا تقتصر أرقامهم على حصيلة المعلومات التي تأتيهم من أجهزة المخابرات ووسائل الاستكشاف التقليدية ، بل يتحتم أن يحسبوا ألف حساب لما يكمن وراء الصورة من حقائق مستورة وجوانب غير منظورة ، لا سيما وأن عدوهم يملك قوة خارقة على التضليل وله في فن الخداع والتمويه باع طويل ، فهو يهوّل قوتهم واستعدادهم العسكري إلى أبعد حدود التهويل ، بينما يتستر على قوته ويظهر نفسه دائماً بمظهر الضعيف المغلوب على أمره أمام الغول العربي الذي يتحفز لابتلاعه والقضاء عليه ، ومن أكبر أخطائنا أننا كنا نتلقف هذه الأخبار التي تبرزنا في صورة الأقوياء وكأنما ظفرنا بكنز ثمين ، وتتولى أجهزة إعلامنا ترويجها على أوسع نطاق ، وهي لا تعلم أنها بذلك تخدم مصلحة الأعداء وتحقق أغراضهم البعيدة المدى وتسير طائعة مختارة في نفس المخطط الذي رسموه لحاجة في نفس يعقوب ، وقد قضى يعقوب حاجته في هذه الجولة الأخيرة المريرة ، ولم ندرك نحن ما كان يهدف اليه يعقوب من وراء تلك الأخبار التي تبين الآن أنها كلها من تأليف وإخراج (تل أبيب). لم ندرك هذه الحقيقة الرهيبة البشعة إلا بعد أن وقعت الواقعة ولم يعد في مقدورنا تدارك ما فات ، اللهم إلا انتزاع الشموع التي تعكس المزيد من الضياء على طريق مستقبلنا وتحول دون وقوعنا في الأخطاء التي ارتطمنا بصخرتها العاتية من قبل ونحن مغمضو الأعين وفي حالة تكاد تكون اللاشعورية ، ولا ينبغي أن نستهين بتلك الشموع المضيئة الهادية التي وضعتها المحنة في أيدينا لنعرف خلال الظلام كيف نسير وإلى أين نسير ، إنها من أفضل المعطيات الايجابية التي أسفرت عنها معركتنا الأخيرة ضد القوى الاستعمارية الباغية .

أيها العرب من المحيط إلى الخليج . . أيها المسلمون في كل مكان . . استمعوا إلى هـذه الأمثلة الحية التي كانت تتناقلها وكالات الأنباء من حين لآخر كأي خبر من الأخبـــار وتتخطفها أجهزة اعلامنا في زهو ونشوة ونرددها نحن الشعوب مغتبطين فخورين غير مدركين أن السم في الدسم ، وأن منطلقها الأول إسرائيل هي التي خلقتها وهي التي دبّرتها ، وأوعزت إلى الوكالات الإخبـارية ومعظمها أجهزة صهيونية أن تنسبها إلى أي مصدر وتذيعها على مسامع العالم كله ، ومن هذه الأمثلة التي كنا نجد لذة في الاستماع اليها أن إحدى الدول العربية تملك اسلحة جوية وبرية وبحرية من أحدث طراز ، وهي تفوق ما تملكه اسرائيل مرات ومرات ، مما يهدد وجود هذه الأخيرة بخطر ساحق مدمِّر ، ويجعلها باستمرار مستهدفة للزوال والفناء ، وقصة الصواريخ العربية التي تستطيع أن تصل إلى أهدافها في إسرائيل دون أن تحملها طائرة أو يطلقها مدفع ظلت تستغلها أبواق الدعاية الصهيونية في فزع وتكلف ورهبة مصطنعة فترة من الزمن . وكانت صحافاتنا وإذاعاتنا تروي بدورها هذه القصة في إسهاب واستعذاب ، وهي بهذا الصنيع تلتقي مع أجهزة الدعاية الإسرائيلية في نفس الطريق وتستعمل مثلها نفس الوسيلة ولكنها تختلف معها في الهدف والغاية ، إنهما تتجانسان في طريقة إذاعة الخبر وتفترقان فيما يكمن وراء ذلك من سر . . سطحية هنا وعمق هناك ، مجرد تأميل ودغدغة للمشاعر وإشباع للعواطف المتعطشة للثأر بالنسبة الينا ، واستراتيجية هادفة مدروسة قائمة على أسس تكنولوجية بالنسبة اليهم ، إن البون شاسع والفرق جد كبير ، ومثال آخر وأخير هو أن جميع وكالات الأنباء قد تضافرت كلها على القول بأن (آبا إيبان) وزير خارجية إسرائيل قد فشل في المهمة التي أوفد من أجلها إلى واشنطون ولندن قبل بدء العدوان بوقت قصير ، لقد ذكرت هذه الوكالات أن

إيبان أخفق في الحصول على وعد من كل من (جونسون وولسن) للتدخل الفعلي إلى جانب اسرائيل في حالة قيام الحرب بينها وبين العرب ، في حين أن العكس هو الصحيح ، وأن ما أعلن على رؤوس الإشهاد كان مجرد خداع وتضليل ، بجرد وسيلة لمحاولة التستر ونفي التهم والشبهات ، ومن المؤسف حقاً أننا سمعنا فصدقنا وقابلنا أنباء هذا الفشل المزعوم بارتياح كبير ، بل إننا اسهمنا بدورنا في ترويجه ونشره على نطاق واسع من غير أن يصحب ذلك أي تحذير أو يشير جهاز واحد من أجهزتنا الإعلامية إلى التشكيك في صحة ما قيل ، مع أن الظرف الذي نمر به يحتم أن نكون أشد حذراً وأكثر يقظة واستعداداً للتركيز على البواطن قبل الظواهر ، والتطلع إلى مـــا وراء الكواليس وخلف الحجب قبل الحرص على اجتلاء ما فوق خشبة المسرح . إن كل ما يحيط بنا يدعونا إلى الريبة في كل ما يصدر عن الدوائر الاستعمارية التي لنا معها تاريخ حافل بالمآسي والآلام والأحداث السود ، ولم تأتنا من قبلها إلا الأشواك ، أما الورود فليس لها في قاموس المستعمرين وجود لأنها تعني الإخـــاء والمحبة والرحمـة وترمز إلى كل جميل ونبيل من الفضائل والقيم الإنسانية وكل هذه لا يستسيغها منطق الاستعمار ولا يقام لهـا في شريعته وزن ولا اعتبار .

أيها العرب . . أيها المسلمون . . إن ما كانت تهدف اليه إسرائيل من وراء تهويل قوة العرب هو أن تستدر عطف أسيادها في الغرب وتضمن الحصول على المزيد من السلاح والمال والدعم والتأييد من يهود العالم ودوائر الاستعمار الغربي لتستطيع مجابهة قوى العرب المتزايدة على مر الأيام ، كما تقول أجهزتها المضللة ، لهـــذا الغرض تصطنع الدعاية الإسرائيلية وجود أزمات مستحكمة داخل إسرائيل ترجع إلى انتشار البطالة حيناً والعجز الكبير في ميزان المدفوعات حيناً آخر وتكبد إسرائيل

مبلغ الف مليون دولار بسبب الحرب الأخيرة التي خاضت غمارها ضد الجيوش العربية، وكل هذه افتعالات ودعاوى باطلة لا تعكس أي ظل من الحقيقة ، وقد كان اليهود ولا يزالون دهاقنة في الكذب وعباقرة في التمويه والتزوير ، لأن المبدأ الذي يؤمنون به ويسيرون على هديه يبيح كل منكر من أجل المصلحة ، ولا يعترف بشيء اسمه القيم والفضائل الخلقية ، إنه مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة) ذلك هو الدين الذي يدينون به وينهجون منهجه في سلوكهم الفردي والاجتماعي ، وعلاقاتهم مع الدول والشعوب ، إنه يجب أن نرتفع في تفكيرنا السياسي والحربي إلى مستوى العصر ونخلق في أنفسنا القدرة على مجاراته في تطورهم المستمر ، فلا أقل من أن نستطيع اللحاق إذا كنا عاجزين الآن عن الانتظام في موكب السباق ، وإن علينا أن نفترض ونضع في حسابنا بأن الغرب لا يضن على ربيبته إسرائيل بأية ابداعات أو ابتكارات تنبثق في أي مجال من المجالات فضلاً عن إغراقها بسيل منهمر من الأسلحة والأموال . مما يدعونا بإلحاف شديد إلى عدم الاعتماد على العين المجردة في استبطان خبايا العدو واستكناه طاقاته وطبيعة علاقاته ، فتلك وسيلة لا تكفي وحدها لتبلور الصورة وضمان وضوح الرؤيا ، بل يجب أن نستخدم مجهر العقل والذكاء في استكشاف الأبعاد السحيقة المتوارية خلف الجدار السميك الذي تقيمه الدعاية المعادية من الزيف والخداع والتضليل لتغطية حقيقة ما يصنعون ، وعلينا بعد ذلك أن نلجأ إلى أجهزة الدول الصديقة التي تتمتع بقدرات أكبر وخبرات أوسع في هذا الميدان عساها أن تظاهرنا على معرفة عدونا بإزاحة الحجب وتسليط الأضواء كما تصنع الأجهزة المعادية في مساندة عدونا بكشف أسرارنا ومخبآتنا حتى جعلتنا أمامه كالكتاب المفتوح يعرف عنا الكثير ولا نعرف عنه إلا القليل ، مسخّرة في هذا السبيل أحدث مبتكراتها العلمية من أقمار صناعية وأجهزة الكترونية ، وقد ظهر ذلك واضحاً

وضوح الشمس في الحرب العدوانية الأخيرة التي شنتها القوات الإسرائيلية الغادرة على الأقطار العربية المجاورة ، لقد وصلت طائراتها إلى أهدافها المرسومة بسهولة تامة ودون أن تخطىء أي هدف منها كأنما كان طياروها يعيشون بيننا من عهد الطفولة ، وذلك بلا ريب هو نتاج الحصاد الذي جناه العدو من دوائر المخابرات المركزية الأمريكية التي تقود الآن ثورة الرِّدة ضد الحركات التحررية وتعمل على إحباط كل انتفاضة تقدمية واتجاه متطور في شعوب القارات الثلاث . وفوق هذا وذاك فإن علينا أن نستخدم في تخطيطنا العسكري المنطق الذي يعتبر غير الموجود في حكم الموجود ويمضي في حساباته التخمينية إلى أبعد الحدود ، ثم يبني استعداداته الحربية على هذا الأساس الذي لا يعتمد فقط على مجرد الأرقام المتواجدة فعلاً في حيز الواقع ، بل على اعتبار واقع آخر مقدر ومفروض .

أيها العرب . . أيها المسلمون . . لقد رأيتم أن العدو الاسرائيلي ظهر على مسرح الحرب بقوات تفوق ما كنا نتصوره ونقدره أضعافاً مضاعفة ، وبذلك استطاع أن يحرز نصراً في هذه الجولة وأنه قد حشد كل هذه القوات المزودة بأحداث التجهيزات الحربية داخل سياج من السرية والتكتّم ، وأننا رغم ما بذلناه من محاولة لمعرفة النسبة التقريبية لطبيعة استعداداته العسكرية لم نتوصل إلا إلى جزء ضئيل من حقيقة هذه الاستعدادات الهائلة ، وانخدعنا بالقدر الذي انتهينا اليه من العلم في هذا الصدد دون أن نستعمل منطق الإفتراضات الذي لا يقف عند حدود العلم الحاصل بل يضع في حسبانه أرقاماً تخمينية أخرى من قبيل الاحتياط واستعداداً للطوارىء التكنولوجية في ميدان الحرب والسياسة ، إنّ علينا أن نستعد للمعركة المصيرية المنتظرة في صمت وتكتّم وتكتيك دقيق بعيد الغور ونستبعد منذ الآن أساليب الأعلان عن أنفسنا والإشادة بإمكانياتنا وطاقاتنا

في استعراضات سافرة كما كنا نصنع من قبل ، إنّ علينا أن نعبىء كل سلاح نملكه ، بترولنا ، أسواقنا ، مبادلاتنا التجارية ، مشروعاتنا الصناعية والعمرانية من أجـــل الفوز في الجولة القادمة ، وإن الإستعداد لليوم القريب الموعود يحتم علينا نحن أبناء الأمة العربية والإسلامية أن نفعل أكثر مما نقول ، بل نفعل دون أن نقوله ، إن لغة التهديد والوعيد يجب أن تزول ، وأن منطق النذير والتحذير لا يؤدّي إلى تحقيق الأمل الكبير بل إن ثمراته أشواك ونتائجه فشل وإخفاق ، إن الرشيد ، ذلك النجم اللامع في سماء المجـــد العربي عندما وصله كتاب (نقفور) امبراطور القسطنطينية مهدداً متوعّداً لم يرد عليه بنفس أسلوبه المبرق المرعد وإنما كتب على ظهر الخطاب جواباً وجيزاً رائعاً لا يزال صداه يرن في أسماع الأجيال ويتردّد لحناً طروباً في دنيا البطولة والأبطال . . (أيها الملك المغرور إن الجواب ما تراه بالعين لا ما تسمعه بالأذن) وهذا ما نريدكم أن تفعلوه أيها العرب ، أيها المسلمون ، إستعدادٌ متواصل في غير ضجة ولا هدر ، ثم انقضاض عـلى العدو لا يبقي ولا يذر ، والله أكبر والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، والله أكبر ، والمجـــد للعروبة والنصرة لفلسطين .

إذا لم تستح فاصنع ما شئت

أيها العرب .. أيها المسلمون .. إنه لا جدوى الآن من اجترار ما فات واستعراض الوقائع والأحداث بأجوائها الغائمة وصورها القاتمة لأن ذلك يطفىء إشراقات الأمل في النفوس ويقوي الروح الانهزامية المتخاذلة ، ولا يعكس إلاّ ظلالاً دكناء مكفهرة من اليأس والتشاؤم وانعدام الرجاء ، ولا يثمر إلا الحسرات والآلام التي تشل جهاز التفكير وتؤثر على الإرادة أسوأ تأثير وتسهم في إضعاف العزائم والهمم بنصيب كبير ، إنه لا جدوى من استعادة تلك الأشرطة الحزينة إلا للدرس والاستنتاج واستخلاص المعطيات والعبر وتقصّي العوامل والأسباب مما يؤدّي إلى تقدير صحيح لطاقات العدو : ما ظهر منها وما بطن ، وتغيير شامل وحتمي في طبيعة الاستعداد للمعركة المصيرية القادمة ، وماذا نجني من الآهات والحسرات والتباكي على ما فات ، وتوجيه الانتقادات والاتهامات غير شر حصاد وغير استمرار جو الحداد ، الأمر الذي يقعد النفوس عن النهوض بأي عمل بنّاء ويدعوها إلى الخور والانخدار والاستسلام للأمر الواقع في خنوع ومذلّة وانكسار ، وذلك هو الهدف الكبير الذي يركز عليه العدو من وراء حملاته الدعائية المسعورة التي يشنها على شعوب الأمة العربية ، بكل ضراوة وبلا هوادة ومن ورائه اجهزة الإعلام الغربية الاستعمارية بجميع إمكانياتها الضخمة وأساليبها الجهنمية ، إنها لا تكف

عن الصياح والنباح سواد الليل وبياض النهار ، تعطي الحق كله لليهود وتلتمس المبررات الكاذبة لهجومهم الغادر على الأراضي العربية وتصف عدوانهم الوحشي بأنه مجرد دفاع عن النفس وحماية للوجود وذود عن حمى الوطن ، ومن حق كل دولة أن تدرأ الخطر عنها بكل ما تملك من قوة ، وهذا مـــا فعلته (اسرائيل) بينما تتحامل تلك الأجهزة المضللة المأجورة على العرب في تحيز سافر ونزعة تعصبية حاقدة ، لا أثر فيها للانصاف والواقعية والحكمة وروح الاعتدال ، لأن العرب ينكرون على إسرائيل حق البقاء ويمنعونها تعسفاً وقسراً من العبور في الممرات المائية الدولية ويستعدون لمحوها والقضاء عليها وهي تخطب مودتهم وتنشد حسن جوارهم، ولا تريد إلا أن تعيش معهم في سلام ، وتبادلهم الصداقة والاحترام ، وهي لا تنطوي على أية نوايا عدوانية أو أغراض توسعية.. هذا ما تقوله أجهزة الإعلام الإستعمارية في الغرب، تبرز إسرائيل في صورة الحمل الوديع ، وتظهر العرب بمظهر الظلمة المتسلطين المستهترين بحقوق الآخرين ، المتمردين على مبادىء العدل ، العابثين بالمواثيق الدولية ، بل تذهب في تهجمها على الشعوب العربية إلى ما هو أبعد من ذلك ، فتصفهم بأنهم جفاة متوحشون يفكِّرون بعقلية القرون المظلمة . يا له من تزوير شنيع ومنطق معوج معكوس يحاول أن يقلب الليل إلى نهار ويحجب شمس الحق الأبلج بسياج منهار ، لماذا لم تقولوا لشعوبكم إن كنتم منصفين إن دولة إسرائيل تواجدت في قلب الوطن العربي بقوة الحديد والنار ، وانها لحماً ودماً من نسيج الاستعمار الذي طرد أصحاب الدار من الدار وأسكنها عصابات الأفاقين الأشرار من نفايات الشعوب وحثالات الامصار . لماذا لم يقل أولئك الصحفيون والإذاعيون المأجورون ، إن مليوناً ونصف مليون عربي من أهـــل فلسطين قد شردوا من أرضهم بأحقر الوسائل وأقذر الأساليب ، وإنهم منذ عشرين سنة يعيشون تحت الخيــام عيشة تعافها ديدان الثرى وحشرات الأرض ، وإنه لا يربطهم بالحياة أي سبب

إلا أمل العودة إلى أحضان الأم التي انتزعوا منها انتزاعاً ليحلها قوم أغراب متسلطون . لماذا لم تقولوا للرأي العام الغربي ، إن اليهود كانوا يشكلون في فلسطين قبل الانتداب البريطاني سنة ١٩٢٠ م ، أقلية ضئيلة ويملكون من الأراضي مساحات قليلة ، فما الذي جعلهم الآن يقيمون فيها دولة وينشرون في سمائها راية ، وهي ميراث تاريخي للعرب بشهادة المنصفين من الشرق والغرب . أهذه هي عدالتكم أيها المتمدينون ، يطرد قوم من ديارهم بوسائل الفناء والدمار لتكون مسرحاً لقوم آخرين واغلين يستبيحون حماها ويغتصبون مدنها وقراها ، بينما يهيم أهلها الشرعيون على وجوههم هدفاً للهجير والزمهرير ، وفريسة للجوع والأوبئة والأمراض . وإذا تكلم العرب مدافعين عن حقوق هؤلاء الضائعين ، منددين بالغزاة الغاصبين ومن يظاهرهم من المستعمرين صبّت على رؤوسهم حمم النقمة والغضب ، ونعتوا بالفظاظة والوحشية والتجرد من روح المدنية والنزوع إلى التسلط والعدوان من قبل الإذاعات والصحف الغربية الاستعمارية التي برعت في قلب المفاهيم وتشويه الحقائق وطمس معالم الواقع في قحة سافرة وإسفاف هابط خسيس، وكان يجب أن تحترم قدسية هذه الرسالة وترعى لها حرمتها وتحافظ على شعاراتها كوسيلة عالمية لخدمة القيم العليا وصون كرامة الحق ، والدفاع عن الإنسانية بصرف النظر عن الاجناس والأديان واختلاف المذاهب والأوطان ، ولكن هذه الأجهزة الاعلامية الأجيرة بما تشنه من حملات دعائية حقيرة تدوس بقدميها هذه الرسالة الإنسانية المقدسة ، وتمرّغ كل المبادىء والقيم الرفيعة في الوحل، انها تختلق وتزيّف وتنتحل لخدمة أغراض الصهيونية العالمية ، وهي في دعاياتها المسعورة لا تؤمن بشيء اسمه الصدق والأمانة والنزاهة والعدل وقول الحق لوجه الحق .

أيها الإخوة العرب . . إن القوّامين على أجهزة الإعلام الاستعمارية

يهدفون من وراء هذه الحرب الكلامية الواسعة النطاق إلى تشويه سمعة الإنسان العربي وتجريده من مقومات الشخصية الأصيلة وعناصر الرجولة في مفاهيمها العليـا وإطاراتها المشرقة ، فهو كما يزعمون جبان متخاذل في الحرب ، وهو بدائي متعصب متعجرف نزّاع إلى الشر والعدوان ، إلى هذا الحد من التحامل والقدح والتجريح في شخصية الإنسان العربي تنحدر أجهزة الإعلام في العالم الغربي الاستعماري ، انها تظاهر اسرائيل وتناصرها بكل تهور واندفاع ، كأنما بينها وبين الأمـة العربية ثأر ، فهي تريد أن تنتقم ، تريد أن تتشفى ، تريد أن تشبع نزعاتها الصليبية الحاقدة ، إنها تكبر الصغائر وتضخم تفاهات الأمور وتشيد بمكاسب العدو في مبالغة وتهويل كما لو كانت هي الظـافرة المنتصرة حتى أن (تلفزيون) إحدى الدول التي نعتبرها صديقة أخـذ منذ بدء العدوان يعرض صوراً شوهاء قاتمة تعكس بعض المشاهد الحربية ، وكلها تحقـير وتشهير وسخرية بالجندي العربي وتشكيك في قدرته على القتال وصموده في مواقف التضحية والفداء . إنها في كل ليلة تقدم إلى الملايين نماذج جديدة من هذه الصور المخجلة على حساب شرف العرب ، ومن غير أن تقيم وزناً لمشاعر مئة مليون عربي ولروابط الصداقة التي تربطها بشعوب هذا العالم الكبير الممتد من المحيط إلى الخليج ودون أن تراعي مصالحها الكبرى في هذه البلاد التي قد تغفر وتتسامح وتغضي وتتجاوز في الأمور التي لا تتعدى السطح والمظهر ، أما أن يطعن الشرف وتجرح الكرامة هذا الجرح الدامي العميق وبهذه الأساليب الساخرة المهينة ، فإن التسامح ينقلب جريمة والإغضاء يستحيل مذلـة واستخذاء ، واستسلاماً عاجزاً للمهـانة والصغار ، وهو ما لا يقبله العربي ولا يرتضيه أي إنسان يؤمن بالكرامة ويعتبرها من العناصر الجوهرية للحياة العزيزة الفاضلة ، وقد نسيت هذه الدولة أن أسواقنا مفتوحة لبضائعها من كل صنف ولون ، وأن عدداً كبيراً من شركاتها تقوم في بلادنا بمشروعات كبرى تدر على خزينتها عشرات الملايين

من الجنيهات ، وما لها قد نسيت كذلك وهي تعيّر العرب بالهزيمة ، أن دولة صغيرة قد ألحقت بها هزائم منكرة في الحرب العالمية الأخيرة ، وأنها لم تستطع أن تثبت أمام جيشها في أية معركة وهي تفوقها في عدد السكان تسعة أضعاف . لمـــاذا لا تتمثّل هذه المواقف المخزية في تاريخها العسكري قبل أن تشهر بالعرب كل هـذا التشهير ؟ لماذا لا تنظر إلى عيوبها قبل أن تكون حريصة على نشر عيوب الناس ؟ كان عليها أن تصمت وتنخرس لأن بيتها من زجاج ، ومن كان كذلك لا يستطيع أن يقذف بالحجارة بيوت الآخرين ، وكان عليها أيضاً قبل أن ينطلق لسانها بالسخرية والتشهير أن تذكر أن أربعمائة ألف من جنودها قد هزموا هزيمة ساحقة في الصحراء الغربية أمام خمسة وثلاثين الفاً من جنود العدو وليس غير . ونعتقد أن الدولة التي لا تحسن إلا الفر ولا تعرف شيئاً إسمه الكر ، لا تملك منطقاً تتحدث به عن هزائم الآخرين في الحروب ، ولكن إذا انعدم الحيـاء لم يعد هناك رادع من اقتراف الفضائح وتمثيل المهازل المخجلة ، كأن تلفزيون هذه الدولة المنعدمة الشخصية الدائرة في فلك الصهيونية العالمية ، لم يجد في حربنا مع اليهود أية صورة مشرفة يعرضها على المتفرجين حتى ينهج منهج الإنصاف ، ولو إلى حد محدود ، ولا يظهر للرأي العـــام العالمي بأنه مأجور من قبل حثالات اليهود يسخرونه بالمال لخدمة أغراضهم الإجرامية ، وتحقيق غاياتهم المجردة من جميع القيم والمعاني الإنسانية ، في حين أن الوقائع تشهد بصورة قاطعة بأن العرب قد مثّلوا في هذه الحرب ألواناً رائعة من التضحية والفداء وضروباً من البطولات الفذّة تتجاوز العشرات والمئات ومع ذلك يحرص هذا التلفزيون المأجور على اختلاق المناظر وافتعال الصور ذات الانعكاسات المضادة ، ويتجنب كل ما فيه احقاق للحق وتصوير للواقع المجرد تبعـاً لمخطط مرسوم وانطلاقاً من مبدأ صهيوني معلوم .

أيها الأشقاء العرب . . إن هذه الدولة التي تسخّر جميع إمكانياتها الإعلامية في تحطيم معنوياتكم وتدمير آمالكم والقضاء على إيمانكم بأنفسكم وثقتكم بأمتكم وعدالة قضيتكم ، هذه الدولة تقف في صف عدوكم وتظاهره بشكل سافر مفضوح على انتزاع حقكم وإهدار كرامتكم وإلغاء وجودكم كأمة ذات حضارات ورصيد ضخم من الأمجاد الحربية والبطولية ، وما دامت تشن هذه الحرب النفسية ضدّكم على أوسع نطاق وتتضافر مع أعدائكم في تحيز هستيري حاقد ، فإن دينكم الحنيف وإن عروبتكم الخالدة وكل مقدساتكم تستصرخكم أن تهبّوا للذود عن شرفكم ، وأن تثأروا لكرامتكم ، وإن تغضبوا لعرضكم وأرضكم ، فإن إباء الضيم هو شعار العربي الأبي الحر ، وأن الانتصار للشرف والكرامة هو خلق المسلم الحق ، وإن الرضا بالهوان ليس من دأب أمة القرآن ، وإن مقابلة الأشواك بالورود قد مضى عهده الآن . إنه اليوم ليس من المكرمات والفضائل ، ولكنه في عداد النقائص والرذائل التي يصبح التخلّق بها دليلاً على انهيار الشخصية وتبخر الشعور بالنخوة والرجولة وانعدام الإحساس بقدسية الحق العربي في أرض السلام ، وأول قبلة في الاسلام .

أيها الأشقاء العرب . . فلنبذل اليوم بلا حدود ، ولنستحل كلنا إلى جنود ، ولنرتفع فوق مستوى الإقليميات وجميع الاعتبارات ، فإن المعركة هي معركة الشرف الذي أُصيب بطعنة نجلاء ، معركة الكرامة العربية ، التي ما زالت تنز بالدماء ، معركة المصير ، مصير الأمة العربية جمعاء ، بل مصير المسلمين في كل مكان ، مهما اختلفت الألوان والأوطان ،

والله أكبر والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، والله أكبر والمجد للعروبة والنصر لفلسطين ، أرض الرسالات ، ومهبط الوحي والأنبياء .

إحذروا هذا الغزو الرهيب

أيها الأشقاء العرب . . أيها المسلمون . . إذا كنا قد ابتلينا اليوم بغزو عدواني استعماري تكالبت علينا فيه قوى باغية طاغية ، وقدّر لهذا الغزو الصهيوني الغاشم أن يحقق بعض أهدافه فلا ينبغي أن نتركه يتحول إلى غزو من الداخل يحطم معنوياتنا ويضعف رصيد إيماننا ويزرع الأفكار الإنتحارية في أعماقنا ، ويرسّخ جذور اليأس في نفوسنا ، لأن هذا الغزو الباطني أشد خطورة من ذلك الغزو الخارجي ، وأبلغ تأثيراً في اكتساح المناعة النفسية والخلقية ، والقضاء على عوامل البذل والتضحية والاستعداد للمقاومة بروح أقوى وعزيمة أشد وإصرار أكبر وإيمان أرسخ .

إن الشعور بالإنهزامية والركون إلى التردُّد والاستسلام للضعف والتخاذل نتيجة للحملات الدعائية المركّزة التي تستهدف سحق طاقاتنا المعنوية ، لهو أعظم هدف تتطلع اليه القوى الاستعمارية المعتدية ، من وراء هذه الحرب النفسية الواسعة النطاق التي تشنها على شعوب الأمة العربية وتستخدم فيها ما لا يخطر على بال أحد من فنون الكذب والاختلاق وأساليب المبالغة والتهويل وذلك بشكل دقيق ومدروس ، وفي صورة جهنمية مبتكرة ، إنها تدرك أعمق الإدراك ان غزوها للقلوب بقتل الآمال وإشاعة روح الفشل والقنوط عن طريق افتعال الشائعات المضللة ، لا يقل أهمية عن الانتصار العسكري الذي حققته في الميدان الحربي ، إذ أن في انتصارها النفسي على أبناء الأمة العربية تحقيقاً لأمنيتها وتأميناً لوجودها إلى آماد بعيدة من الزمن ، من أجل هذا فنحن نناشد كل عربي أن

يوصد باب قلبه في وجه هذا الغزو السيكلوجي المدّبر ، وأن يستخلص من نتائج المعركة وهول النكبة دروساً عميقة وعظـات بالغة وتجارب هادية مضيئة ، إذ أن تاريخ الحروب حافل بنماذج مماثلة مما حدث اليوم بين القوى الصهيونية والاستعمارية وشعوب الأمة العربية ، فما نحن بأول معشر خاضوا غمار الحرب وخسروا المعركة الأولى من معاركها ، بل إن هناك آلاف الشواهد والأمثلة التي تدل على أن مـا حدث أمر عادي ومألوف في نواميس الحروب على مر العصور .

لذلك فإنه لزام على كل فرد من أبناء الأمة العربية أن يعتبر هذه النكسة التي منينا بهـا مرحلة جديدة للاستعداد والتعبئة على أوسع نطاق ، وناقوساً انبعث رنينه قوياً مجلجلاً لتحقيق يقظة أكبر ، وتفجير وعي أعمق بين جماهير العرب من المحيط إلى الخليج ، مما سيدفعهم دفعاً إلى التلاقي في صعيد واحد وتكتيل جميع الطاقات والجهود في سبيل الهدف المشترك ، ومن أجل القضاء على العدو المشترك في اليوم الموعود .

أيها العرب . . أيهـا المسلمون . . لا تهنوا ولا تحزنوا ولا تسمحوا للخور يدب إلى عزائمكم ويسري في كيانكم فإنها سنّة التاريخ — يوم لك ويوم عليك — وإن الحرب سجال ، فوز وإخفاق وهزيمة وانتصار ، وإنّ لكم في رسول الله أسوة حسنة ، فهو قد تعرض لنفس التجربة في معركة أُحد واستهدف لنفس الإمتحان في غزوة (حنين) عندما ارتد المسلمون في بداية المعركة ولكنهم وإن تراجعوا إلى الوراء في الميدان لم تفتر منهم الهمم ولم تخب في نفوسهم شعلة الإيمـان ولم يقولوا كما يقول اليوم نفر من ضعاف النفوس — لن تقوم لنا قائمة بعد الآن — إنهم لم يلبثوا أن أعادوا الكرة وانتزعوا النصر رغم تفوق الأعداء . وما دام رسول الله وهو المكلّف بحمل أمانة الرسالة إلى جميع الناس ، وهو الموعود من السماء بالنصر والتأييد ، قد لقي في بعض معاركه

شيئاً مما أُصبنا به نحن الآن ، لا بدع أن يحدث هذا الذي حدث ولا داعي أن يهوّل كل هذا التهويل ، وإن ذلك لخير مثال للتأسي والعزاء واستخلاص النتائج والعبر . لذلك لم يكن للهزائم التي مني بها الفاتحون المسلمون في حروبهم عبر أحقاب التاريخ أي تأثير على عزائمهم وطاقاتهم النفسية والإيمانية . بل إنهم استفادوا من تلك النكسات استفادة كبرى كان لها أثر بعيد المدى في تجدد انبعاث المد الاسلامي ، وانطلاق كتائب أمة القرآن في كل مكان ، فهزيمة الجيوش الاسلامية في إفريقيا على يد الكاهنة الشهيرة لم تفت في عضد ولاة الإسلام ، ولم تقعدهم على استئناف الزحف على إفريقيا مرة أخرى بعد فترة من الزمن ، فقد عادوا ونشروا في آفاقهـا لواء الاسلام ، من ضفاف النيل الى شاطىء المحيط الأطلسي ، ولم يكن لتلك المعركة التي خسروها أمـام جيوش الكاهنة أية انعكاسات مظلمة على نفوسهم القوية المؤمنة وعزائمهم الفولاذية الصادقة وإنما نبهتهم تلك التجربة الرهيبة القاسية إلى أخطاء كثيرة بادروا الى إصلاحها ، وتصوّرات ومفاهيم مغلوطة سارعوا الى تصحيحها ، وهكذا علّمتهم الهزيمـة كيف يمكن أن يحرزوا النصر ، وأمدَّتهم برصيد من التجارب الجديدة كانت لهم في معاركهم التالية أمضى سلاح ، وخير جسر لتحقيق الفوز والنجاح . ثم معركة بلاط الشهداء في جنوب فرنسا التي سقط فيها البطل الشهيد (عبد الرحمن الغافقي) ومعركة الخندق التي انكسر فيها جيش الخليفة العظيم (عبد الرحمن الناصر لدين الله) وأشد من هذه وتلك هولاً مأساة (بغداد) على أيدي جموع التتار ، وتكالب الصليبيين على أرضنا المقدسة فلسطين في أعداد هائلة حاقدة متعصبة ، وكل هـذه الإرتكاسات التاريخية المزلزلة لم تسحق آمال المسلمين في تحقيق انتفاضات أخرى رائعة ومدهشة ، وصنع أمجاد حربية وحضارية كانت للاجيال اللاحقة نجوم هداية وينبوع إلهـام وضروباً من المعجزات في التضحية والبطولة وقوة الإرادة وصدق الإيمان وتحويل الهزائم الى انتصارات ،

والانتكاسات الى انطلاقات وتحليقات ، وهذا ما يجب أن نفعله اليوم .

أيها العرب . . لا ينبغي أن نعيش في أجواء قاتمـة توحي باليأس والفشل ونقضي على كل إشراقة للأمل ، بل يجب أن تزيدنا المحنة إصراراً على حقنـــا المقدس وتغيير واقعنا الأليم ، وأن تحدث فينا تبجحات الأعداء بانتصارهم الرخيص ردود فعل قوية دائمة مستمرة تفجّر الكامن من الطاقـــات في الشعوب والحكومات ، وتدفعهم الى نكران الذات وإذابة جليد الخلافات والوقوف في ميدان المعركة صفاً واحداً وقلباً واحداً بقيادة واحدة وتحت راية واحـــدة ، ذلك هو أقوى سلاح لإحراز الانتصار وتحويل ليل العروبة الى نهـــار ، وغسل مـــا يلطّخ جبينها من عار .

أيها العرب . . أيهـا المسلمون . . إننا نسمع الكثيرين يقولون – نائحين متحسرين – وا خجلاه ، وا مذلّتاه ، إن بطن الأرض اليوم خير من ظهرها ، ثلاثة ملايين من اليهود الذين ضربت عليهم الذلة والمسكنة يهزمون مئة مليون من العرب أصحاب التاريخ الطويل الحافل بالفتوحات الظافرة والبطولات النادرة والحضارات الزاهرة . ونسي هؤلاء الإخوة الذين نلتمس لهم بعض العذر في هذا التشاؤم القاتم الذي استحوذ على نفوسهم أن العبرة في هذا العصر بالنسبة للحروب ليست بكثرة العـدد بل بنوع التسليح وطبيعة التجهيزات العسكرية ، ألم تستطع ألمانيا الهتلرية في الحرب العالمية الأخيرة أن تكتسح وحدها دول أوروبا مجتمعة خلال فترة قصيرة من الزمن وكان من بينها فرنسا ، وهي من كبريات الدول ، إنها لم تصمد أمـام الاسلحة الألمانية الجبارة إلا إياماً قليلة ثم لم تلبث أن انهارت واحتلها النازيون ، كما اجتاحوا روسيا اجتياح الأعصار واستولوا على مسافات شاسعة من أرضها ، وهي الأخرى من كبريات الدول بالإضافة الى بلجيكا وهولندا والدنمرك وبولاندا وتشيكوسلوفاكيا والنمسا وجميع دول البلقان ، ألا ترى أن أربعين او خمسين مليوناً من الألمان انتصروا

في البداية على ثلاثمائة أو أربعمائة مليون ، فما هو السر يا ترى ؟ لماذا دحرت القلة الكثرة في غضون أسابيع معدودة ؟ لا شيء إلا الإختلاف في طبيعة الاستعداد الحربي والبون الشاسع بـــين الفريقين في كميات الاسلحة – قوة ضخمة تملكها المـــانيا النازية والأمر بالعكس بالنسبة لأعدائها – لقد فاجأتهم بما لم يكن في حسابهم ولم يخطر لهم على بال من وسائل الفناء والدمار ، لذلك حاقت بهم الهزيمة رغم تفوقهم الساحق في العدد . وبريطانيا نفسها لم يحمها من غزو الالمان واستيلائهم عليها بقواتهم البرية الهـــائلة الا أن البحر يحول بينهم وبينها ، ولولا ذلك لسقطت في أيديهم خـــلال أيام ، ولما كانت أحسن حظاً من فرنسا وروسيا ، وهي إن سلمت من الاحتلال العسكري لمركزها البحري المنيع لم تسلم من الدمـــار الشامل الذي ألحقته بها الأساطيل الجوية الألمانية ، ولم تستطع أن تدفع عن نفسها حمم الموت التي تصب عليهـــا صباً الا بقدر بسيط وعلى نطاق محدود .

إنّ هذا المثال الحي الذي أوردناه من التاريخ القريب لهـــو أصدق شاهد على واقعية ما نقول ، وهو لا يدع مجال لتشاؤم أولئك الضعاف الانهزاميين الذين يتمنون الموت تخلصاً مما يستشعرونه من مذلة وهوان كما يزعمون ، ثم إننا لم نغلب أمام ثلاثة ملايين من اليهود كما يتشدقون ، بل أمام مئات الملايين من الصليبيين الاستعماريين الذين حوّلوا اسرائيل كلها الى خزّان ضخم من الأسلحة الساحقة المدمرة .

أيها العرب . . أيها المسلمون . . تسلحوا بقوة الإيمـــان وتذرّعوا بالصبر والثبات وصدق العزيمة ، وثقوا بنصر الله وتأييده، فإنه قال في كتابه المبين ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ فهلم الى تجنيد امكانياتكم البشرية الضخمة وطاقاتكم المادية الهائلة لخوض معركة طويلة فاصلة ضد أعدائكم الصهيونيين ومن وراءهم من المستعمرين، ولتكونوا على يقين بأن حقكم سيسحق باطلهم وان جهادكم الطويل سيقضي على ربيبتهم اسرائيل ، وإن حشدوا لنصرتها آلاف الطائرات والأساطيل ، والله أكبر والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

عبد يوسف الكويتي

تحية العام الجديد

تحية أيها العام الجديد ، ولو أن أخاك الذي سلف لم يبعث فينا من الآمال المضيئة ولم يشع في دنيانا الحزينة من المناظر المبهجة ما يفجر في قلوبنا مشاعر الفرحة بحلولك ، ويطلق ألسنتنا بتوجيه التحية اليك ، وكان كل يوم من أيامه مقبضاً للنفوس حافلاً بالنحوس عاشته الأمة العربية وكأنما هو دهر طويل ، وعلى ضمير كل فرد من أبنائها كابوس ثقيل ، والصفحات الحاضرة من تاريخها يجللها السواد ، وفوق جبينها الذي كان وضيئاً ناصع البياض تبدو علامات الكآبة وشارات الحداد . وها أنت قد أطللت بعد مرور عام ونصف العام على هبوب عاصفة الهزيمة المدمرة ، هل ستكون أسعد حظاً من أخيك ؟ هل ستحيي موات الأمل وتسحق عوامل الخيبة والفشل ؟ هل ستأسوا الجراح الدامية ؟ هل ستكفكف دموع العين الباكية ؟ هل ستعيد نور الثقة وإشراقات الفوز الى القلوب الداجية ؟ هل ستطمئن النفوس المتقلبة في جحيم القلق المتجرعة لعذاب الحسرة والألم ؟ هل سيعمد فيك التاريخ إلى اصلاح ما ارتكب من خطأ شنيع في حق قوم زينوا بروائع الأمجاد الآلاف من صفحاته ، ومثلوا على مسرح أيامه ولياليه أخلد الروايات البطولية والمفاخر الحربية ؟ هل ستعود الأسود الى طبيعتها فتغضب لحماها

الذي انتهكت حرماته الثعالب ، وتهب لتطهير عرينها الذي لوّثته النفايات الواغلة الموبوءة ؟ هل سيشهد يوم من أيامك أيها العام الجديد عيد أمتنا الأكبر ولحظة إشراق أملنا الأعظم حين يعود التاج الثمين اللامع يزين مفارقنا كما كان ، حين تمتد أنامل سماوية مباركة فتمسح عن قلوبنا غبار الأحزان ، حين تهزّ دنيا العرب من المحيط الى الخليج أجمل ألحان سمعتها الآذان وطرب لها الوجدان ، إنها ألحان النصر الذي يحوّل الظلام الى إشراق وحالة الإسار التي يعيشها الوطن الجريح الى تحرر وانعتاق ، والتجمّد المميت الخانق الذي منيت به القافلة العربية الى اندفاع وانطلاق .

إننا نحيّيك أيها العام وأنت في اول مسيرتك ، آملين أن تكون اشراقتك نقطة تحول في سير قضيتنا ، وطالع يمن لشعوب أمتنا ، وجرساً قوياً ليوقظ النائمين من بني قومنا لكي يحسوا احساساً أعمق بهول المأساة ويدفنوا في قبر النسيان جميع الخلافات والحزازات التي لا تزال ظلالها الكئيبة تخيم على آفاق عالمنا العربي فتزلزل وحدته وتضعف قوته وتؤخر زمن وثبته المنتظرة التي سترد اليه الجزء الغالي الثمين ، وتحقق لأبنائه الرجاء الحبيب .

نحييك أيها العام وفي قلوبنا أمل كبير ان الله جل شأنه سيكشف في يوم قريب عن أمتنا هذه الغمة وسيهبها القدرة على انتزاع حقها ودحر باطل عدوها ، واستعادة هيبتها بين شعوب البسيطة كأمة ذات رسالة حضارية خالدة وأدوار تاريخية رائدة .

أيها العام الجديد . . تسعة عشر شهراً تناثرت حلقاتها من سلسلة الزمن وأمة العرب من أقصى المشرق الى أقصى المغرب تعيش محنة رهيبة مفجعة ، وتجابه ظروفاً عصيبة قاسية ، ولكنها رغم هول النكبة وفظاعة

المأساة لم تهن لهـا عزيمة ولم تفتر لها همة ، ولم يعرف اليأس سبيله الى قلبها لأنها تؤمن بأن ما حدث ليس شاذاً عن نواميس الطبيعة ولا هو بخارج عن سنن الحياة ، إذ أن طبيعة الحروب هزيمة لفريق ونصر لفريق ، وتغلب فئة واندحار فئة ، وليس من المحتم أن يكون الفوز حليف فريق معين يلازمه في كل حروبه ولا يتخلى عنه أبداً ، وما هذه المأساة التي تعصف بشعوبنا اليوم بأشد هولاً وبشاعةً من مأساة بغداد على يد التتار ، ومأساة بيت المقدس على يـد الصليبيين ، ومأساة محاكم التفتيش على يد الاسبان ، ومع ذلك كانت النهاية أملاً أشرق في حلكة اليأس فعادت بغداد لأبناها الأمجـاد واستنقذت بيت المقدس وجميع فلسطين من أيدي الصليبيين . ولذلك فإننـــا لسنا بيائسين ولا قانطين مهما تعاظمت قوى العدو ومهما أمعن الاستعمار في مناصرته وتأييده والعمل على تحويل أرضه كلها إلى خزانات ضخمة من البارود وترسانات هائلة من الأسلحة الجبارة ، فذلك كله لا يستطيع أن يهب العدو الحياة فوق أرضنا ، ولا يهيء له أسباب البقـاء بيننا إلى الأبد ، بل ان جميع هذه الحصون التي يحيط بها نفسه ستنهار والموارد التي يستمد منها وجوده سيدركها البوار ، وحتماً سينقلب ليل العروبة إلى نهار ، وتستحيل أشواكها إلى أزهار ، إن الحكم ليس للقوة المـادية تهيمن وتطغى وتسيطر كما تشاء ، بل إن الحكم لله الواحد القهار ، هو الملك القدوس العزيز الجبار الذي يسحق كل جبار ، وما هي قوة اسرائيل أمام قوة ألمانيا الهتلرية ، ألم تلتهمها النار ؟ ألم ينقلب موجها الكاسح الى انحسار ؟ تلك هي سنة الله في خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، اليوم أحزان وغداً مسرات ، الآن دموع وبعد قليل بسمات .

أيها العرب .. إن تسعة عشر شهراً وحتى عشرين عاماً ليست بشيء يذكر في عمر الأمم والشعوب ، فلا تهنوا ولا تحزنوا ، وثقوا بنصر الله ولا تيأسوا من روح الله ، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ، ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾ .

الفهرس

صفحة

مؤلفات في طريقها إلى الطبع

١ ـ صور من أدب العرب .

٢ ـ نوافذ الضياء في تاريخنا ..

٣ ـ في رحاب البلد الأمين .

٤ ـ من أسرار هذا الدين .

٥ ـ أيتها الوفود الغادية إلى حرم الله .

٦ ـ خالد بن الوليد .. القائد الذي لم يهزم قط ـ مسرحية ـ

٧ ـ القديس الزاهد أبو ذر الغفاري ـ مسرحية ـ

٨ ـ أمين الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح ـ مسرحية ـ